

مَدِينَةُ الْمَقْدِسِ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اکاذیب الوهابیہ

كاتب:

صالح وردانی

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	اکاذیب الوهابیہ
٨	اشارة
٨	اشارة
١١	تقديم
١٣	مدخل تاریخی
١٣	اشارة
١٣	بین الخوارج والحنابلة
١٧	تاریخ الحنابلة
٢٣	بداية الأئمّة
٢٦	الوهابیون والحنابلة
٣٣	أکاذیبهم علی أهل السّنّة
٣٦	أکاذیبهم حول التوحید
٣٦	اشارة
٥١	ابن تیمیة والاستواء
٥٦	اعتقادات أهل السّنّة
٦٣	منشورات الوهابیة
٨٨	أقوال ابن تیمیة
١١٨	أکاذیبهم حول القبور والتوصّل
١١٨	اشارة
١١٩	موقف الفقهاء
١٢٥	قضیّة التوسل
١٣٤	أکاذیبهم علی التّراث

١٣٤	إشارة
١٣٦	فتح البارى
١٣٩	العقيدة الطحاوية
١٤٥	الأذكار
١٤٥	منهج السالك
١٤٦	مطراق النور
١٤٨	مناظر الرافضى
١٤٩	نهج البلاغة
١٥٠	العواصم من القواصم
١٥٤	أكاذيبهم على الشيعة
١٥٤	إشارة
١٥٧	ابن سباء
١٦٣	ادعاءات
١٨٦	تقية
١٨٨	الشيعة والقتار
٢٠١	الألاعب
٢٠٨	أكاذيب أخرى
٢٠٨	ابن تيمية
٢١١	التقليد
٢١٥	الفرقة الناجية
٢١٨	ملحق الكتاب
٢١٨	مُلحق: ١ موجز مسائل ابن تيمية التي خالف فيها السنة:
٢١٩	مُلحق: ٢ نماذج من ردود أهل السنة على ابن تيمية.
٢٢٠	مُلحق: ٣ نماذج من كتب أهل السنة التي ترد على الوهابية

٢٢١	ملحق: ٤ جدول يبين أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابيين
٢٢٢	ملحق: ٥ صور من خلافات الوهابيين ووقعهم في بعضهم
٢٢٥	مراجع الكتاب
٢٣٣	تعريف مركز

اکاذیب الوهابیہ**اشارة**

سرشناسہ : وردانی، صالح

Wardani, Salih

عنوان و نام پدیدآور : اکاذیب الوهابیہ / صالح الوردانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۱۸۹ ص.: جدول.

شابک : ۹-۲۸۹-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فیضا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامہ: ص. [۱۸۲]-[۱۸۷]؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : ابن تیمیہ، احمد بن عبدالحیم، ۶۶۱ - ۷۲۸ق. -- نقد و تفسیر

موضوع : وہابیہ -- دفاعیہ ها و ردیه ها

رده بندی کنگره : BP207/6 BP207/6 الف ۷ ۱۳۹۰

رده بندی دیوبی : ۴۱۶/۴۹۷

شماره کتابشناسی ملی : ۳۶۰-۲۳۲۰

ص: ۱

اشارة

تقديم

ص: ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتمدت الوهابية منذ ظهورها، ولما زالت تعتمد، على الأكاذيب والأضاليل، وعملت على التستر بأهل السنة والسلف تارة، وبالإجماع تارة أخرى ..

وكان عmadها في هذه الأكاذيب وهذا التستر هو ابن تيمية، الذي كان ينسب أقواله وفتاويه لأهل السنة والسلف والإجماع دائمًا، ويتلقيف الوهابيون أقواله بمنطق التسليم.

وكما كذب ابن تيمية على أهل السنة والسلف، كذب الوهابيون كذلك، وما يُبني على الكذب فهو كذب. ولم تتحصر أكاذيب الوهابية في محيط نقل أقوال ابن تيمية ونسبتها لأهل السنة، بل امتدت إلى تراثهم فحرّفت، ليكون في خدمة عقائدها المنحرفة.

وامتدت أيضًا إلى المذاهب والاتجاهات الأخرى في محيطهم، التي تم السطو على كتبها وتحريفها؛ لخدم

ص: ٥

مذهبهم، وتبعد الشبهات عنهم.

ولما كان وضع ابن تيمية ضعيفاً، وزنه قليلاً وسط أهل السنة، قام الوهابيون بنسج العديد من الأساطير حول شخصيته، بهدف تضليله في أعين المسلمين.

ولقد عمدت الوهابية على بث الأكاذيب؛ لتشتت كونها حركة إصلاحية، بينما هي في الحقيقة -حركة إرهابية، استحللت دماء المسلمين وأموالهم، وعملت على اختراق المؤسسات الإسلامية، وشراء الأقلام والكتاب واستخدامهم في الدعاية لها. وما كان لحركة تقوم على الأكاذيب أن تبرز وتذوم إلا بدعم ومساعدة آل سعود، ومن ورائهم أعداء الإسلام.

كان وجود الوهابية ضرورة حتمية لنفريق المسلمين وتخلفهم، وتوطين العداوة والبغضاء بينهم.

وهذا الكتاب يؤكّد، من خلال نصوصه، على أنّ الوهابية ليست سوى فرقه ضالّة دعواها كاذبة، وهي امتداد لفرق الضالّة السابقة، فمن شئّ هى لا- تُعبّر عن أهل السنة والسلف، بل تتمسّح بهم. وهو ما سوف نعرضه في هذا الكتاب، ونؤكّده من خلال مصادرهم ونصوصهم.

صالح الورданى

مدخل تأريخي

اشارة

في تاريخ المسلمين، واجه الإسلام العديد من صور التمرد والانحراف والفرق الضاللة والمتطرفة، وكانت الأصابع التي تحرك هذه الفرق وتدعيم هذه الحالة، تتركز في المنافقين وأصحاب المصالح والنفوذ، من القوى الحاكمة وأعوانهم، بالإضافة إلى أصحاب الأهواء والنفوس المريضة، الذين لا يخلو منهم زمان، ولا تسلم منهم الأديان ..

ومن أخطر الفرق التي واجهت الإسلام وتركت بصمتها في واقع المسلمين، لتصبح المثل القائم والنموذج الدائم على الاعوجاج والتطهير وتفريق المسلمين، هي فرقـة الخوارج، ثم تلتها فرقـة الحنابلة.

بين الخوارج والحنابلة

وهناك تشابه كبير بين الحنابلة والخوارج، من حيث تناول الدين، ومن حيث المواقف والسلوك، كذلك هناك تشابه أو تطابق بين العناصر التي تنتمي لهاتين الفرقتين.

ص: ٧

الخوارج وردت فيهم الكثير من الروايات النبوية التي هي بمثابة نبوءات، والتي تحذر الأمة منهم، وتكشف تركيبتهم وتحذر ملامحهم وتجسّم الخطر المُحدّق منهم.

ومن أهم الملامح التي حذرتها هذه الروايات:

- * سفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان.
- * يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.
- * تحقر صلاتك خلف صلاتهم.
- * أيديهم كثفات الإبل.
- * محلقى الرؤوس.
- * يقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان.
- * سِمْتهم المكابرة وغاظة القلوب.
- * طبائعهم بدوية أعرابية.
- * يتبعّدون بالقشور ويهمّلون عظام المأمور.

والمتّأمل في فرقـة الحنابلـة يجدـها تحـمـل نفس طـبـاع وـمـلامـح فـرقـة الـخـوارـج.

الـخـوارـج هـم أـوـل مـن حـمـل رـايـة التـكـفـير فـي مـواجهـة الـمـسـلمـين، وـالـحنـابـلة حـمـلـوا نفسـ الرـايـة.

الـخـوارـج أـرـاقـوا دـمـاء الـمـسـلـمـين، وـالـحنـابـلة كـذـلـكـ.

الـخـوارـج قـشـريـون مـسـطـحـون يـتـبعـّدـون بـالـرـوـاـيـات، وـالـحنـابـلة كـذـلـكـ.

الـخـوارـج يـبـالـغـون فـي الـقـشـور وـالـشـكـلـيـات، وـالـحنـابـلة كـذـلـكـ.

الـخـوارـج مـن الـبـدـو وـالـأـعـراب، وـالـحنـابـلة كـذـلـكـ.

ص: ٨

الخوارج غلاظ القلوب، والحنابلة كذلك.

الخوارج سِمْتهم المكابرة والتحدى، والحنابلة كذلك.

والأهم من ذلك كله، أنَّ الخوارج وقفوا في مواجهة أهل البيت: بقيادة الإمام على (ع)، وكذلك الحنابلة وقفوا في مواجهة أهل البيت، واعتبروا شيعتهم عدواً دائمًا لهم. وهذه من الظواهر المُلْفِتة في التاريخ.

والسؤال هنا: لماذا ارتبطت حركة الإمام على بمواجهة الخوارج؟

ولماذا يقف الحنابلة هذا موقف العدائى من أهل البيت وشيعتهم؟

والجواب هو أنَّ حركة الإمام هي امتداد لحركة الرسول (ص)، فمن ثُمَّ لا يملك أحد سوى الإمام القدرة على مواجهة هذه الفرقه. والقدرة هنا لا تنحصر في السيف، فالسيف يملكه الجميع، وإنما تنحصر في علم الإمام ومقوماته الخاصّة، التي ورثها عن الرسول، والتي لا يملكها أحد سواه. وتلك المقومات ورثها عنه أهل البيت.:

من هنا، شَكَّلَ نهج الإمام الخطير القائم والدائم لفرقة الخوارج، ومن سار على نهجها وتطبع بطبعها.

الإمام واجه الخوارج باسم الإسلام الذي يمثله ويعبر عنه، لا باسم الحاكم.

والخوارج يعلمون حقَّ العلم ويعرفون حقَّ المعرفة أنَّ علياً هو الناطق الشرعي باسم الدين، وهو الذي يمثل الخط

ص: ٩

الشرعى، خط الرسول (ص)، ذلك الخط الذى يهدّدهم على الدوام.

أما الخطوط الأخرى التى انتحلت الإسلام وتلحت بالرسول، فلا تشکل أدنى خطر عليهم، بل تعدّ امتدادات لهم.

ولأجل ذلك .. كانت المواجهة بين الخوارج والإمام مواجهة مصرية. كذلك المواجهة مع خطّه ونهجه من بعده.

لقد أصبح الخوارج النموذج الدائم لأعداء أهل البيت: وشيعتهم على مرّ الزمان. وأهل البيت وشيعتهم شكلوا الحصن المنيع الذى

يحتمى به الإسلام الحقّ، الذى يكشف ضلالهم واعوجاجهم، وضلال واعوجاج الفرق التى تولّدت منهم عبر الزمان، وعلى رأسها فرقـة

الحنابلة والوهابية المعاصرة.

وقد استعرضت لنا كتب السّينين وكتب التاريخ والترجمـون العـديـد من الملامح والظواهر والممارسات التي تتعلق بالخوارج، مما اشتهر

أمرـه، ليصبح هؤلاءـ الخوارج محلـ نبذ ورفض جميع المذاهب والاتجاهـات الإسلامية. وهو الموقف الذى طالـ الحنابلـة فيما بعدـ

ليصبحـوا محلـ رفض ونبـذـ المذاهبـ الإسلاميةـ، ويتحولـواـ إلىـ أقلـ المذاهبـ شأنـاً؛ مـمـا دفعـ بهـمـ إلىـ إعلـانـ الحربـ علىـ المذاهبـ

والفقـهـاءـ، واتهـامـهـمـ بالمرـوقـ والرـنـدقـةـ، وإـحـيـاءـ الـبـدـعـ وـنـصـرـةـ أـهـلـ الـأـهـوـاءـ وـإـمـاتـهـ الـسـنـةـ، وـغـيرـ ذـلـكـ منـ التـهـمـ التـىـ تـلـقـفـتـهاـ مـنـهـمـ الـوـهـابـيـةـ

ص: ١٠

المعاصرة، وأخذت تلقى بها على المسلمين شيعةً وسنيةً.

إِلَّا أَنَّ الْحَنَابِلَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ صَفَاتَ الْخَوَارِجَ، مِنَ الْعَيْدِ بِالرَّوَايَةِ وَسُطْحَيَّةِ الْفَهْمِ، وَضَعْفِ الْعُقْلِ وَغَلَظَةِ الْقَلْبِ، وَالْتَّرْكِيزِ عَلَى الشَّكَلَيَّاتِ؛ وَجَدُوا فِي حَرْكَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَشِيعَتِهِمُ الْخَطْرُ الدَّائِمُ وَالْدَّاهِمُ الَّذِي يَتَهَدَّدُ مَذْهَبَهُمْ وَأَفْكَارَهُمُ الْمَعْوَجَةُ؛ فَحَمَلُوا رَأْيَ الْعَدَاءِ وَالْمَوَاجِهَةِ لِهَذِهِ الْحَرْكَةِ، وَرَكَّرُوا جَهُودَهُمْ عَلَيْهَا، مَحَاوِلِينَ النَّيلَ مِنْهَا وَتَشْوِيهِهَا، وَتَحْرِيْضِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى شِيعَتِهِمْ.

وَكَمَا تَسَبَّبَ الْخَوَارِجَ فِي تَفْرِيقِ الْمُسْلِمِينَ وَزَرَعَ الْفَتْنَةَ بَيْنَهُمْ، تَسَبَّبَ الْحَنَابِلَةُ أَيْضًا فِي تَفْرِيقِ الْمُسْلِمِينَ وَزَرَعَ الْفَتْنَةَ بَيْنَهُمْ.

تاریخ الحنابلة

وَفِرْقَةُ الْحَنَابِلَةِ قَامَتْ عَلَى يَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٢٤١ - ١٦٣ هـ)، الَّذِي يَنْتَمِي لِقَبِيلَةِ بْنِ شَيْبَانَ، فِي الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ.

وَشَخْصِيَّةُ ابْنِ حَنْبَلٍ وَمَقْوِمَاتُهُ لَمْ تَكُنْ تُتَبَيَّحْ لَهُ الْقَدْرَةُ عَلَى الْبَحْثِ وَالْاجْتِهَادِ وَإِعْمَالِ الْعُقْلِ، فَمِنْ ثَمَّ اتَّجَهَ نَحْوَ الرَّوَايَاتِ وَأَقْوَالِ الرِّجَالِ، فَعَمِلَ عَلَى تَدوِينِهَا وَالْتَّعَبِدِ بِهَا، وَتَعَصَّبَ لِهَذِهِ الرَّوَايَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَاعْتَبَرَهَا الصُّورَةَ الْوَحِيدَةَ لِلْإِسْلَامِ، وَنَاصَبَ الْعَدَاءَ كُلَّ مَنْ يَرْفَضُ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ وَالْأَقْوَالِ أَوْ يَشَكُّكُ فِيهَا، وَاعْتَبَرَهُ مِنَ الْمُبَدِّعِينَ الْضَّالِّينَ.

ص: ١١

من هنا بدأ الصدام مع مَنْ حوله من الفقهاء وأصحاب المذاهب الأخرى، والاتجاهات العقلية وأصحاب الرأي، من الأحناف والشيعة والمعزلة وغيرهم.

وانجذب نحو ابن حنبل العديد من السُّوقَة وضعايف العقول والقشررين، الذين لم يجدوا لهم مكاناً في دائرة المذاهب والاتجاهات الأخرى؛ ليشكلوا إزعاجاً كبيراً للفقهاء والمسلمين، ويحدثوا الكثير من القلاقل والفتنة على ما سوف نُبيِّن.

ونتيجة لسيطرة العقل الروائي على شخصية ابن حنبل، واعتماده الكلى على النقل لاعلى العقل؛ رفض فكرة خلق القرآن التي تبنَّها بعض المذاهب، وحكم بُكفر القائل بها. كما حكم بُكفر تارك الصلاة، فكان أولَ مَنْ قَنَنَ للتکفیر في واقع المسلمين. وكان من نتيجة هذا الموقف المتطرف من قبله، أنْ أصدر المأمون العباسى أمره بالقبض عليه وحبسه وجلده، حتى يرجع عن أفكاره المتطرفة [\(١\)](#). واستمرَّ الموقف العدائي، منه ومن أتباعه، طوال عصر المأمون والمعتصم والواثق من بعده، حتى جاء المتوكل، فتحالف معهم ضدَّ المذاهب الأخرى؛ مما أعطاهم دفعَة قوية ساعدتهم على مواجهة خصومهم والفتک بهم [\(٢\)](#).

١- انظر البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبوالفداء، ج ١٠، ص ٣٣٠؛ سيرة ابن حنبل، صالح بن أحمد.

٢- قال الحنابلة عن المتوكل: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماماة التجهم؛ انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.

ص: ١٢

وقد رصدت لنا كتب التاريخ الكثير من الفتن والحوادث المفجعة التي وقعت على يد الحنابلة المتعضّين، والتي تعدّ صورة مصغرّة لحوادث الخارج. ومن هذه الحوادث:

حدث الاعتداء على الفقيه المُفسِّر الطبرى، وقدفه بالمحابر ومطاردته في طرقات بغداد ومحاصرة بيته؛ بسبب قوله: إنَّ ابن حنبل ليس فقيهاً؛ ورفضه حديث جلوس الرسول (ص) إلى جوار الله على العرش [\(١\)](#).

ثمَّ أخذوا فتنةً أخرى كبيرةً في بغداد أيضاً، بسبب قوله تعالى: عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاماً مموداً، وذلك في عام ٣١٧ هـ. قالت الحنابلة: معناها: يقعده الله على عرشه. وقال غيرهم: بل هي: الشفاعة. ودام الخصم واقتلوا حتى قُتل جماعةً كثيرةً [\(٢\)](#).

كذلك وقعت فتنةً كبيرةً بينهم وبين الشيعة في بغداد، كاد الشيخ أبو حامد الأسفرايني أنْ يُقتل فيها [\(٣\)](#).

وتمكن الحنابلة من إقناع الخليفة القادر العباسي بأفكارهم، ووضعوا كتاباً في العقيدة أهدوه إليه فنسبه إلى نفسه، وسمّاه (العقيدة القادرية)، وحمل الناس عليه

١- انظر: ترجمة الطبرى في كتب التاريخ؛ وانظر: حوادث عام ٣١٠، ٣٢٣، ٤٥٨، ٤٧٥ هـ.

٢- انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٤. وقد توسع في أمر هذا الحديث الحالى الحنفى المتعصب في سنته، وحشد العديد من النصوص التي تکفر منكره. انظر: باب ذكر المقام المحمود.

٣- انظر: حوادث عام ٣٩٨ هـ في كتب التاريخ، والأسفرايني من فقهاء الشافعية.

ص: ١٣

بتحريض من الحنابلة، واستتاب فقهاء المعتلة والحنفية فأظهروا الرجوع [\(١\)](#).

وأتجه الحنابلة بعد ذلك، سيراً مع الروايات التي يتعبدون بها، إلى تبني فكرة التجسيم والتشبيه، فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وإعلان الحرب على منكري هذه الروايات والمشككين فيها. ومن أبرز مواقفهم من خصوم التشبيه والتجسيم من الفقهاء وغيرهم، موقف أبو إسماعيل الهروي، شيخ الحنابلة المتوفى عام ٤٢٢ هـ، من ابن حبان صاحب السعدين؛ حيث أخرجه من بلدته سجستان بسبب إنكاره لله تعالى! [\(٢\)](#).

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي، المتوفى عام ٤٥٨ هـ: ألمونى ما شئتم أى: في حق الله تعالى - فإنى ألتزمه، إلّا اللّحىء والعوراء [\(٣\)](#). وقد كفرَ صاحب العواصم بسبب هذا القول [\(٤\)](#).

وذكر المؤرخ ابن الأثير في حوادث عام ٤٢٩ هـ: وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى الفراء الحنبلي ما ضمّنه كتابه (إبطال التأويلات) من صفات الله سبحانه وتعالى، المُشرعة بأنه يعتقد التجسيم، وحضر أبو الحسن الفزويني الزاهد بجامع

١- انظر: حوادث عام ٤٠٨ هـ في كتب التاريخ. وقد استتاب الشيعة أيضاً، ونهى عن المنازرة في شيءٍ من العقائد، ومن فعل ذلك نكل به وعوقب.

٢- تذكرة الحفاظ، شمس الدين ذهبي، ج ٣، ص ٩٢٠.

٣- انظر: كتابه إبطال التأويل.

٤- انظر: النسخة الكاملة من العواصم من القواسم لأبي بكر بن العربي، ج ٢، ص ٨٣. وسوف يأتي الحديث عن هذا الكتاب في باب أكاذيبهم على التراث.

ص: ١٤

المنصور وتكلّم في ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون، علوًّا كبيرًا.

وقال في عام وفاة الهروى: وفيها توفى أبو يعلى الفراء الحنبلي، وهو مصنف كتاب الصفات، أتى فيه بكلّ عجيبة، وترتيب أبوابه يدلّ على التجسيم المحسن.

وكذلك قيل في ابن قدامه الحنبلي الدمشقى، صاحب كتاب (ذم التأويل ولمعه الاعتقاد) ^(١).

وهناك فتنۃ شهيرة وقعت على يد الحنابلة بمصر، على يد ابن مرزوق والکيزانى؛ بسبب قولهما بالتجسيم، مما أدى إلى صدور أكثر من فتوی بتکفيرهما وردهما، واستتابتهما وطلب قتلهما ^(٢).

وقد ردّ ابن الجوزى على الحنابلة بسبب قولهم بالتجسيم وتبنيهم التشبيه، مبررًا ابن حنبل من تھمة التشبيه التي أطلقوا عليه، ناقصاً ومکذبًا روایاتهم التي اعتمدوا عليها في تبني التجسيم ^(٣).

١- انظر: ترجمة ابن قدامه في سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢٢، ص ١٦٨؛ وانظر: حوادث عام ٦٢٠ هـ، عام وفاة ابن قدامه، في كتب التاريخ.

٢- ابن الکيزانى المصرى الشافعى، هو أبو عبد الله محمد إبراهيم بن فرح الأنصارى. قيل عنه: إنه ابتدع مقالة ضلل بها اعتقاده وزلّ في مزلقها سداده، وادعى أنّ أفعال العباد قديمة. والطائفة الکيزانية بمصر على هذه البدعة مقيمة. توفى الکيزانى في عام ٥٦٠ هـانظر: ترجمته في جريدة القصر، وجريدة العصر للأصبهانى. وابن مرزوق هو عثمان بن سلام القرشى، توفى عام ٥٦٤ هـ، انظر: ترجمته في طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٢٦.

٣- سوف يأتي استعراض هذا الرد لاحقاً.

ص: ١٥

وقد صورت الروايات التي اعتقدتها الحنابلة الله سبحانه وتعالى على شكل إنسان، يأتي ويذهب وينزل ويتصعد ويضحك، وأثبتوا له بالإضافة إلى ذلك الأعضاء البشرية، وصوروه على صورة شابٍ أَمْرَد أو شيخ كبير، وهم بذلك يتلقون مع تلك الصورة التي أبرزها اليهود والنصارى في كتبهم [\(١\)](#)

وتبدو فكرة التجسيم والتتشبيه واضحة بقوّة في كتب الحنابلة القدامى، والوهابيين المعاصرين، على ما سوف نبيّن.
يقول عثمان الدارمى: إنَّ الله لو شاء لاستقرَّ على ظهر بعوضة [\(٢\)](#)

وكان المرزوقي، صاحب ابن حنبل المتوفى عام ٢٧٥ هـ، قد صنف كتاباً يثبت فيه جلوس الرسول إلى جوار الله على العرش. قال عنه الذهبي: فقام المرزوقي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً [\(٣\)](#)
وقال ابن تيمية: الله جسم لا كال أجسام. وقال: وليس في كتاب الله ولا في سنته رسوله قول أحد من سلف هذه الأمة

١- من هذه الروايات: لِمَا أُسْرِيَ بِي، رأَيْتُ الرَّحْمَنَ فِي صُورَةٍ شَابٍ أَمْرَدًا، وَإِذَا كَانَهُ عَرْوَسًا ...
وأُخْرَى تقول: إِنَّ النَّبِيَّ رَأَى رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، شَابًاً مَوْفَرًا، رَجَلًا فِي خَفَّ، عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأُخْرَى تقول: إِنَّ
الله خلق آدم على صورته ...

٢- انظر كتابه: النقض، أبو سعيد عثمان بن سعيد دارمى، ص ٤٥٧.

٣- انظر: العلو للذهبي؛ وانظر: ترجمة المرزوقي في سير أعلام النبلاء: ج ١٣، ص ١٧٣. وهو يعدّ من الغلاة.

ص: ١٦

وأئمّتها أَنَّه لِيُس بِجَسْمٍ، وَأَنْ صَفَاتَه لَيْسَ جَسْمًا وَلَا عَرَاضًا؛ فَنَفَى الْمَعْانِي التَّابِةُ بِالشَّرْعِ بِنَفْي الْفَاظِ لِمَ يَنْفَعُ مَعْنَاهَا شَرْعٌ وَلَا عُقْلٌ جَهْلٌ

[وصلات \(١\)](#)

بداية الأفضل

من هنا، ونتيجةً لهذه المواقف، تُبَدِّل الحنابلة من قبل المذاهب والحكومات، وأصبحوا من أقلّ مذاهب أهل السنة شأنًا وحجمًا، ولم يعد لهم ذكر، خاصةً بعد سقوط الدولة العباسية وقد بغداد، التي كانت قاعدتهم الكبرى؛ لدورها ومكانتها وتأثيرها، وحلّت مكانها مدن وعواصم أخرى.

انتشر المذهب الحنفي في بلاد ما وراء النهر بدعم من الحكومات التي برزت في تلك البلاد، وانتشرت معه عقيدة الماتريدي الحنفي، التي تناقض عقيدة الحنابلة.

وفي بلاد الشام ومصر، انتشر المذهب الشافعي بدعم الدولة الأيوبيّة، وانتشرت معه عقيدة الأشعري المتصادمة مع عقائد الحنابلة. وفي بلاد المغرب والأندلس ساد المذهب المالكي، وسادت معه عقائد أخرى، كما سادت الصوفية ..

وفي ظلّ هذه المتغيرات، تقع الحنابلة وتناقضوا، ولم يبقَ منهم إلّا بعض الرموز المتفرقة بين العراق والشام ومصر، ومنذ ذلك الحين لم يعد لهم صوت، ولم تصدر عنهم حركة،

١- انظر: تلبيس الجهميّ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ج ١، صص ١١٥ و ٣٠٢.

ص: ١٧

حتى جاء القرن الثامن الهجري، الذي بُرِزَ فيه ابن تيمية، المتوفى عام ٧٢٨^٥، محاولاً إحياء أفكار الحنابلة المتطورة. وكانت النتيجة أن تصدى له فقهاء عصره وناظروه وأوقفوه، إلا أنه تمادى في موقفه الشاذ، وعمل على إبراز فكرة التجسيم والتشبيه التي كان ينادي بها الحنابلة من قبل، وتصدى لها فقهاء أهل السنة، بل أضاف إليها فكرة جديدة لم تكن مطروحة من قبل، وهي تحريم شد الرحال وزيارة قبر النبي (ص) وقبور الأنبياء والأولياء والصالحين.

ونوْدَى بدمشق - يومئذ - أنَّ مَنْ اعْتَقَدَ عِقِيدَةَ ابن تيميةَ حَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، خصوصاً الحنابلة، ثُمَّ جَمَعَ الْحَنَابِلَةَ مِنَ الصَّالِحِيَّةِ - مَرْكَزِ تَجْمُعِهِمْ بِدِمْشَقِ وَغَيْرِهَا، وَأَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى مَعْتَقَدِ الشَّافِعِيِّ^(١)

وقد انقسم الفقهاء في مواجهة ابن تيمية:

منهم من نسبه إلى التجسيم.

ومنهم من نسبه إلى الكفر والزنقة.

ومنهم من طالب بقتله^(٢)

وابن تيمية من القائلين بفناء النار، وهو ما دفع بشيخ الشافعية (السبكي الكبير) في زمانه للرد عليه، مؤكداً فساد هذا القول ومخالفته لعقائد أهل السنة^(٣)

١- انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ترجمة ابن تيمية، ج ١، ص ١٤٤ و ٣٧٤

٢- المرجع السابق.

٣- انظر رسالة السبكي: الموعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار.

ص: ١٨

هذا وغيره هو ما أدى إلى حبسه، ومعه تلميذه ابن القيم الجوزيَّة، الذي أُفرج عنه بعد وفاة ابن تيمية في الحبس، ليجهز بأفكاره أستاذه ومعه ابن كثير، ويتم القبض عليهما، ويُطاف بهما في الطرقات على حمارٍ معكوسين [\(١\)](#)

وابن القيم كان يحمل الكثير من طبائع ابن تيمية، وسار على سنته في النيل من علماء عصره، والتعصب لفكرة التجسيم، وإنكار شدَّ الرحال، وترك الكثير من الآثار التي تدور في محيط هذه الأفكار.

أما ابن كثير، فقد اتجه نحو التركيز على التفسير والتاريخ، فقام بجمع تاريخ الطبرى وغيره من التواريХ فى كتاب واحد، وقام بتهذيب تفسير الطبرى، وليس له آثار تذكر سوى كتاب فى مصطلح الحديث.

وظلَّ ابن كثير على التزامه بنهج ابن تيمية وعقدهاته، ونزعته العدائية للأخر، والتى تبدو بوضوح من خلال عرضه للحوادث التاريخية التى تتعلق بخصوص الحنابلة، أو الحديث عن أهل البيت، أو رموز المذاهب والتىارات الأخرى. وقد اهتم الوهابيون بتاريخه وتفسيره، وقدموهما على المصادر الأخرى [\(٢\)](#)

١- انظر: الدرر، ج ٣، ص ٤٠٠؛ ودفع شبه من شبهه وتمَّد للحصنى. وكان ابن القيم قد تبع أستاذه في القول بالتجسيم وإنكار المجاز. انظر: منشورات الوهابيين في الباب القادم.

٢- سمى تفسيره بتفسير القرآن العظيم. أما تاريخه، فسمى البداية والنهاية. انظر: ترجمة الإمام الصادق حوادث عام ١٤٨ هـ، وقارن بينها وبين ترجمته لابن حنبل وابن تيمية.

الوهابيون والحنابلة

وهو لاءُ الثلاثةُ هم مَنْ اعتمدُ عليهمُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ فِي دعوَتِه؛ فَهُوَ لَمْ يَجِدْ دُعْمًا لِأفْكَارِهِ إِلَّا مِنْ خَلَالِ أَفْكَارِ هُؤُلَاءِ، وَلَمْ يَجِدْ عُونَانِ مِنْ رَمْزِ أَهْلِ السَّنَّةِ سَواَهُمْ، وَلَا حَتَّى مِنْ الْحَنَابِلَةِ الْقَدَامِيِّينَ، الَّذِينَ لَمْ يَطْرُحُوا قَضِيَّةَ التَّوَسُّلِ أَوِ الْإِسْغَاثَةِ بِالْأَمْوَاتِ، أَوْ شَدَّ الرَّحَالَ أَوْ إِنْكَارَ إِحْيَاءِ الْمَنَاسِبَاتِ، وَهِيَ الْأَفْكَارُ الَّتِي بَرَزَ وَهُوَ يَدْعُوُ لَهَا، وَجَعَلَهَا أَسَاسَ دعوَتِهِ، وَالْفَيْصِلَ بَيْنِ الْإِسْلَامِ وَالشَّرِكَ.

وَابْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ لَمْ يَكُنْ سَوْيَ شَخْصِيَّةً بَدْوِيَّةً جَافَّةً، غَلِيظَةُ الْقَلْبِ لَا نَصِيبٌ لَهَا مِنْ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ الْعُقْلِ، فَلِيْسَ فِي تَارِيْخِهِ مَا يُشِيرُ إِلَى نَبُوغِهِ أَوْ اجْتِهادِهِ، فِي أَيِّ مَجَالٍ مِنْ مَجاَلَاتِ الْعِلْمِ، وَهُوَ لَيْسَ إِلَّا مَعْرِدَ نَبْتَ مَفَاجِئَهُ، تَحِيطُ بِهِ الْعَدِيدُ مِنْ عَلَامَاتِ الْاسْتِفْهَامِ! وَمِنْ الْطَّبِيعِيِّ لِشَخْصِيَّةِ تَحْمِلِ هَذِهِ الصَّفَاتِ، أَنْ تَمِيلَ لِطَرْحِ ابْنِ تِيمَيَّةِ الشَّاذِ، الَّذِي لَا يَحْتَاجُ تَنَاوِلَهُ لِأَدْوَاتِ سَوْيِ الْقَدْرَةِ عَلَى النَّقْلِ وَالْجَهْرِ بِمَا يُنْقَلُ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْمُتَاحُ لِكُلِّ النَّاسِ.

يَرْوِيُ الشَّيْخُ (الْزَّيْنِيُّ دَحْلَانُ): أَنَّ شَقِيقَهُ سَلِيمَانَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَكَانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ إِنْكَارًا شَدِيدًا فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ أَوْ يَأْمُرُ بِهِ، وَلَمْ يَتَبعَهُ فِي شَيْءٍ مَمَّا ابْتَدَعَهُ. وَقَالَ لَهُ يَوْمًا: كَمْ

ص: ٢٠

أر كان الإسلام يا محمد؟

قال: خمسة.

قال: أنت جعلتها ستة! السادس: من لم يتعك فليس بمسلم. هذا عندك ركن السادس للإسلام!

وقال له رجل يوماً: كم يعتق الله كل ليلة في رمضان؟

قال: يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما اعتق في الشهر كله.

قال له: لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت، فمن هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله تعالى وقد حضرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك؟!

فبُهت الذي كفر.

قال له رجل آخر: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة، وأنت تعرف صدقه، بأنَّ قوماً كثيرين قد صدوك، وهم وراء الجبل الفلانى، فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل، فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم.

أتصدق ألف أم الواحد الصادق عندك؟

قال: أصدق ألف.

قال له: إنَّ جميع المسلمين من العلماء، الأحياء والموات، في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه، فصدقهم ونكذبكم؟!

فلم يعرف جواباً لذلك.

قال له رجل آخر: هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟

ص: ٢١

فقال: حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلّهم مشركون.

قال له: إذن، دينك منفصل لا متصل، فمن أخذته؟

فقال: وحي والإلهام، كالخضر.

فقال له: إذن، ليس ذلك محصوراً فيك، كل واحد يمكنه أن يدعى وحي الإلهام الذي تدعى ..

ثم يقول دحلاز: وقد اعنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة بالرد عليه؛ في كتب مبسوطة، عملاً بقول النبي (ص): (إذا ظهرت البدعة وسكت العالم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). وبقوله (ص): (ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجّته على لسان من شاء من خلقه).

فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب، من جميع المذاهب، والتزم بعضهم بالرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبة، وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها؛ لأنّه لم يكن له تمكّن في العلوم، وإنّما عرف هذه الترّعات التي زينها له الشيطان.

وكان العلامه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالي قد صنف كتاباً جليلاً في الرد عليه، وسأله عن أشياء تعلق بالعلوم الشرعية والأدبية، فعجز عن الجواب عن أفلّها، فضلاً عن أجّلها.

ومن جملة ما سأله عنه، قوله تعالى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، التي هي من قصار المفصل .. كم فيها من

ص: ٢٢

حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرقية؟!

وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب، واستعارة حقيقة واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة؟

وأين الوضع والترشيح والتجريد والاستعارة بالكتابية والاستعارة التخيالية؟

وكم فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب؟

وما فيها من المعجم والمفصل؟

وما فيها من الإيجاز والإطناب، والمساواة والإسناد الحقيقى والإسناد المجازى، المسمى بالمجاز الحكيم والعقلى؟

وأى وضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس؟

وما موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات، وموضع الفصل والوصل، وكمال الاتصال وكمال الانقطاع؟

والجامع بين كل جملتين متعاظفتين؟

ومحل تناسب الجمل، ووجه التناسب ووجه كماله فى الحسن والبلاغة؟

وما فيها من إيجاز وقصر وإيجاز وحذف؟

وما فيها من احتراس وتنميم؟

وبين لنا موضع كل ما ذكر ..

فلم يقدر ابن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما

ص: ٢٣

سؤاله عنه (١)

إلا أنَّ مقوّمات ابن عبد الوهاب وظروف عصره، لم تكن لتسريح له القدرة على نشر دعوته وتمكينها وسط المسلمين، لو لا تحالفه مع ابن سعود، الذي وجد فيه ضالتَه المنشودَة لتحقيق أطماعه في حكم جزيرة العرب، ووجد ابن عبد الوهاب أيضًا في ابن سعود ضالتَه لتحقيق الدعم والانتشار لدعوته.

من هنا، وكما تروى المصادر الوهابية، وضع ابن عبد الوهاب يده في يد ابن سعود، وعاهدَه قائلًا: الدم الدم، والهدم الهدم (٢) ومن الواضح أنَّ الدم هنا هو دم المسلمين. والهدم هو هدم صروح المسلمين.

وهذه المعاهدة، فضلًا عن كونها تصطدم بنصوص الإسلام الصريحة، تصطدم أيضًا بعقيدة أهل السنة، التي تنصُّ على عصمة دماء المسلمين، وعدم جواز الخروج على الحاكم وإنْ كان فاجرًا فاسقًا.

١- انظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية. ومثل هذه الروايتين اللتين جاء بها دحlan، يستخدمهما الوهابيون أيضًا ضدَّ خصومهم باعتبارهم جاؤوا لينقذوا الدين من البدع، أمَّا اللغة التي استخدمها السائلون لابن عبد الوهاب، فهو أدنى منها بكثير، هو وأتباعه من العوام وضعاف العقول. وهو وأتباعه أراحو أنفسهم من الأدوات العقلية والمنطقية، واعتبروها من البدع والضلالات؛ حتى لا يواجهوا بمثل هذه التساؤلات.

٢- انظر: تاريخ الجزيرة العربية في عصر محمد بن عبد الوهاب لحسين خزعل، ج ١، ص ١٦٠، وانظر: في تاريخ نجد لعثمان بن بشير، ج ١، ص ٢٤.

ص: ٢٤

إِلَّا أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْوَهَابِ ضَرَبَ بِنَصْوُصِ الدِّينِ وَعَقِيْدَةِ أَهْلِ السَّنَّةِ عَرْضَ الْحَائِطِ، وَانْطَلَقَ يَرِيقَ دَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِسَيْفِ
آلِ سَعْوَدِ، بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، مُعْلَمًا عَصِيَّانَهُ لِلخَلِيفَةِ الْعُثْمَانِيِّ.

وَلَمْ تَفْرُزْ لَنَا الْوَهَابِيَّةُ سَوْيَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْفَرَقِ الْمُتَعَصِّبَةِ، الَّتِي يَتَرَعَّمُهَا ضَعْفُ الْعُقُولِ، الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى النَّقلِ، وَهُمْ أَشَبُهُ بِحَمْلَةِ
الْأَسْفَارِ، الَّذِينَ قَدَّمُوا لَنَا صُورَةً طَبِيقَ الْأَصْلِ مِنْ حَنَابَلَةِ الْمَاضِيِّ الْمَشَاغِبِينَ، الْمُتَرَبَّصِينَ بِالْمُسْلِمِينَ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ.

إِلَّا أَنَّ حَظَ الْوَهَابِيَّينَ كَانَ عَظِيمًا بِظَهُورِ النَّفْطِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ مَا وَفَّرَ لَهُمُ الْأَمْوَالِ وَالْإِمْكَانِيَّاتِ الَّتِي سَاعَدَتْهُمْ عَلَى نَسْرَ عَقَائِدِهِمْ
وَأَفْكَارِهِمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَسَاعَدَتْهُمْ أَيْضًا فِي اسْتِقْطَابِ الرِّمْوزِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَاخْتِرَاقِ مَؤَسَّسَاتِهِمْ وَتِيَارَاتِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
كَذَلِكَ اسْتَغْلَلَتِ الْوَهَابِيَّةُ بِرُوزِهَا فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ فِي الدِّعَايَةِ وَالثَّأْثِيرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَعَلَيْهِ يَمْكُنُ القَوْلُ: إِنَّهُ لَوْلَا ظَهُورَ النَّفْطِ، وَلَوْلَا وُجُودِ الْوَهَابِيَّةِ فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ؛ لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ لَهَا أَنْ تَصْبِحَ فِي ذَمَّةِ التَّارِيخِ
شَأنًا شَانِيًّا دُعْوَةً وَضَيْعَةً أَوْ فِرْقَةً ضَالَّةً مِنَ الْفَرَقِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِذَا كَانَ الْحَنَابَلَةُ الْقَدَامِيُّ مَجْرِدَ نَقْلَةً مَعَطَّلَوْلِ الْعُقُولِ، فَإِنَّ حَنَابَلَةَ الْعَصْرِ مِنَ الْوَهَابِيَّينَ كَذَلِكَ، فَهُمْ قَدْ انْكَبُوا عَلَى تِرَاثِ الْحَنَابَلَةِ
الْمُتَطَرِّفِينَ وَتِرَاثِ ابْنِ تِيمِيَّةَ وَبَعْثَوْهُ مِنْ رَقْدَتِهِ،

ص: ٢٥

ونشروه وسط المسلمين بدعوى أنه يمثل خط السلف الصالح، وعقيدة أهل السنة. وانطلت الخدعة على البسطاء من المسلمين، الذين لا يملكون القدرة على التمييز بين عقيدة هؤلاء الحنابلة وعقيدة أهل السنة.

أكاذيبهم على أهل السنة

تبين لنا مما سبق مخالفه الحنابلة لأهل السنة في العديد من القضايا العقدية.

وتبيّن لنا أيضًا تطرفهم في مواجهة المخالفين لهم من أهل السنة وغيرهم.

وأنه بعد سقوط الدولة العباسية توارى الحنابلة لتحل محلهم مذاهب وعقائد أخرى، أصبحت هي الممثل الشرعي لأهل السنة.

وعلى رأس هذه المذاهب: المذهب المالكي، والحنفي، والشافعى.

وعلى رأس هذه العقائد: العقيدة الماتريدية التي ارتبطت بالأحناف، والعقيدة الأشعرية التي ارتبطت بالشافعية.

وبرز ابن تيمية محاولاً إحياء عقائد الحنابلة وفشل، واستمررت هذه العقائد هي السائدة في واقع المسلمين حتى ظهور الحركة الوهابية،

التي عملت على بعث معتقدات

ص: ٢٧

الحنابلة المتطرفه، وأفكار ابن تيمية المتصادمه مع أهل السنة، وتمكنت من فرضها فى جزيرة العرب بقوه السيف.
و عملت الوهابية، ولا زالت تعمل، على إثبات صحة مذهبها وسلامة أفكارها؛ بادعاء تمثيلها لأهل السنة، ونطقها بلسانهم.

ولما كان الحنابلة لا يمثلون أهل السنة، كان الوهابيون الذين يسيرون على نهجهم، لا يمثلون أهل السنة أيضاً.
وعلى الرغم من شک العديد من المسلمين في دعوى تمثيل الوهابية لأهل السنة، إلا أنهم لم يتحرّكوا للتصدّي لهم وكشف الأعييهم،
وذلك للأسباب التالية:

- * تغلغل الوهابية في المؤسسات والهيئات الإسلامية.

- * إرهاب الفرق الوهابية.

- * مجاهدة الحكومات للنظام السعودي.

من هنا وجد الوهابيون أمامهم الساحة خالية من المنافسين، فرفعوا شعار السلف وشعار الفرقه الناجية من النار، حتى صدقوا أنفسهم
أنهم الممثلون للسلف، وأنهم الفرقه الناجية من النار.

وفي دائرة هذا الباب، سوف نعمل على كشف صور التضليل والتزييف لعقائد أهل السنة، التي يحاول الوهابيون من خلالها دفع
المسلمين إلى اتباعهم وتبنّي أفكارهم.

أما أكاذيب الوهابية على أهل السنة، فيمكن حصرها فيما يلى:

ص: ٢٨

- * أكاذيبهم حول التوحيد.
- * أكاذيبهم حول القبور والتوصّل.
- * أكاذيبهم على التراث.

أكاذيبهم حول التوحيد

إشارة

عرضنا فيما سبق نماذج من صور التجسيم والتشبيه التي تبنّاها الحنابلة في الماضي، و موقف فقهاء أهل السنة الرافض لها. وهذا الإنكار كان على أساسين هما:

- * إنكار الروايات التي استندوا إليها.
- * تأويل هذه الروايات.

والحنابلة لم يعجبهم الموقفين، وأعلنوا الحرب على أصحابهما.

وقد تبنّى الوهابيون فكرة التجسيم والتشبيه من الحنابلة القدامى وابن تيمية كما هي، وتعصّبوا لها كما تعصّب لها حنابلة الماضي، وأنزلوا لعناتهم على الرافضين لهذه الفكرة من مسلمي العصر، وأطلقوا عليهم اسم (الجهمية)، تماماً كما أطلق الحنابلة في الماضي لفظ (الجهمية) على كل من رفض روایاتهم أو قام بتأويلها.

ص: ٣٠

وحتى تَتَّضح لنا الصورة؛ سوف نستعرض هنا موقف فقهاء أهل السنة من مسألة التجسيم والتشبيه، ومن تبنّاها من حنابلة الماضي. وأول ما سوف نعرضه هنا، هو موقف ابن الجوزي الحنبلي، الذي أعلن رفضه لفكرة التجسيم والتشبيه التي تبنّاها أصحابه، واعتبرها لا تُعبّر عن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل والسلف.

قال ابن الجوزي: (رأيت من أصحابنا من تكلّم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحب القاضي، وابن الراغوني، فصنفوا كُتبًا شانوا بها المذهب، ورأيهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحسن، فسمعوا أنَّ الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة وجهه، زائدًا على الذات، وعيتين وفمًا، ولهوات وأضراسًا، وأضواء لوجهه هي السمات، ويدين وأصابع وكفًا وخنصرًا وإبهاماً، وصدرًا وفخذًا وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا: يجوز أنْ يمس ويعُمس، ويدنى العبد من ذاته، وقال بعضهم: يتتنفس. ثُمَّ يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل).

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسمّوها بالصفات تسمية مُبتدعة، لادليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصرافية عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر

ص: ٣١

من سمات الحدوث، ولم يقتنعوا بأن يقولوا صفة (فُغْلٌ) حتى قالوا صفة (ذات). ثُمَّ لَمَّا أَبْتَوْا أَنَّهَا صفات ذات، قالوا: لَا نَحْمِلُهَا عَلَى توجيه اللغة، مثل: يد على نعمة وقدرة، ومجيء وإتيان على معنى بِرٌّ وَلُطْفٌ، وساق على معنى شَدَّةً. بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميin، والشيء إنما يُحمل على حقيقته إذا أمكن.

ثُمَّ يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلقٌ من العوام. وقد نصح التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر ابن حنبل يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يُقل، فإياكم أن تبتدعوا في مذهب ما ليس منه.

ثُمَّ قلت في الأحاديث: تُحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة؛ فإنه لَمَّا قيل في عيسى روح الله، اعتقدت النصارى أنَّ الله صفة، هي روح ولَجَّت في مريم. ومن قال استوى بذاته، فقد أجراه مجرى الحسَّيات، وينبغى ألا يُحمل ما يثبت به الأصل، وهو العقل، فإنَّا عرفنا به الله تعالى، وحكمنا له بالقدَّم، فلو أنَّكم قلتם نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد. إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح - ابن حنبل ما ليس منه، ولقد

ص: ٣٢

كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لا يقال حنبلى إلّا مجسم، ثم زَيَّنتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاویة، ولقد علمتم أنَّ صاحب المذهب أجاز لعنه، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض آئتكم: لقد شانَ المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيمة ..

وقد وقع غلط المصطفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه:

الأول: إنَّهم سمو الأَخْبَار أَخْبَارَ صَفَاتٍ، وإنَّما هِيَ إِضَافَاتٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُضَافٍ صَفَةً.

الثاني: إنَّهم قالوا إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ قالوا نَحْمَلُهَا عَلَى ظَواهِرِهَا، فَوَاعْجَبَا! مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ؟ فَهَلْ ظَاهِرُ الْإِسْتِوَاءِ إِلَّا الْقَعُودُ، وَظَاهِرُ النَّزْوَلِ إِلَّا الْإِنْتِقَالُ؟!

الثالث: إنَّهم أَثْبَتوُ اللَّهَ تَعَالَى صَفَاتٍ، وَصَفَاتُ الْحَقِّ لَا تَثْبِتُ إِلَّا بِمَا يَثْبِتُ بِهِ الْذَّاتُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْقَطْعِيَّةِ.

الرابع: إنَّهم لَمْ يَفْرَّقُوا فِي الْأَحَادِيثِ بَيْنَ خَبْرِ مَشْهُورٍ، كَقُولَهُ: يَنْزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ حَدِيثِ لَا يَصْحُّ، كَقُولَهُ: رَأَيْتَ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، بَلْ أَثْبَتوُ بِهَا صَفَةً .. وَبِهَا صَفَةً.

الخامس: إنَّهم لَمْ يَفْرَّقُوا بَيْنَ حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ لِلنَّبِيِّ (ص)، وَبَيْنَ حَدِيثٍ مَوْقُوفٍ عَلَى صَحَابِيٍّ أَوْ تَابِعِيٍّ، فَأَثْبَتوُ بِهَا مَا أَثْبَتوُ بِهَا.

السادس: إنَّهم تَأَوَّلُوا بَعْضَ الْأَلْفَاظِ فِي مَوْضِعٍ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، كَقُولَهُ: مَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتَهُ هَرْوَلَهُ، وَقَالُوا

ص: ٣٣

هذا ضرب مثل الأنعام.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: إذا كان يوم القيمة، جاء الله يمشي. فقالوا: نحمله على ظاهره.

قلت: فوا عجباً ممن تأول حديث رسول الله (ص)، ولا يتأول كلام عمر بن عبد العزيز!

السابع: إنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحسن، فقالوا: ينزل بذاته، وينتقل ويتحرّك، ثم قالوا: لا كما يعقل. فغالطوا من يسمع، فكابروا الحسن والعقل، فحملوا الأحاديث على الحسبيات.

فرأيت الرد عليهم لازماً؛ لثلا يُنسب الإمام إلى ذلك، وإذا سكت نسبت إلى اعتقاد ذلك، ولا يهولني أمر عظيم في النفوس، لأن العمل على الدليل، وخصوصاً في معرفة الحق، لا يجوز فيه التقليد) (١)

ويظهر لنا من كلام ابن الجوزي ما يلى:

أولاً: إن الحنابلة اتجهوا نحو التجسيم والتشبيه.

ثانياً: إنهم غالوا في هذا الأمر وتعصّبوا له.

ثالثاً: إنهم اعتمدوا في موقفهم على الروايات وغالوا في شأنها.

رابعاً: إنهم خالفوا بذلك مذهب إمامهم ابن حبّيل.

خامساً: إنهم أدعوا تمثيل أهل السنة.

سادساً: إن ابن الجوزي الحنبلي رفضهم واعتبرهم منحرفين

١- انظر: دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزية. وابن الجوزي مدخل الكتاب.

ص: ٣٤

عن مذهب ابن حنبل وعن عقيدة السلف.

ونأتى بعد ذلك إلى شاهد آخر من فقهاء أهل السنة، وهو الحافظ ابن عساكر، الأشعري المعتقد.

وعقيدة الأشاعرة تمثل القطاع الأكبر من أهل السنة، وتليها عقيدة الماتريدي.

وقد أنزل الحنابلة في الماضي، وابن تيمية من بعدهم، شتى اللعنات والطعونات على الأشعري وأتباعه، وسار الوهابيون على هذا النهج المعاذى للأشعري والأشاعرة.

ومن شدة موقف الحنابلة في الماضي من الأشعري، وتنقصهم له ولعنتهم عليه؛ كان رد فعل ابن عساكر شديداً. وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على أن أهل السنة كانوا مجتمعين على الأشعري ومحظي زين له ضد الحنابلة وابن تيمية أيضاً، وأن الحنابلة لم يكونوا يمثلون أهل السنة في تلك الفترة، وحتى في الفترات اللاحقة على ما سوف نبيّن.

وهو ما دفع بابن عساكر للرد عليهم والدفاع عن الأشعري، وتوجيه سهامه للناقمين على الأشعري والأشاعرة؛ حيث نقل قول أبو القاسم القشيري عن فتنة عام ٥٤٥هـ:

(هذه قصة سَمِّيناها "شكایة أهل السنة بحاکیة ما نالهم من المحنّة،" رفعها عبد الكریم بن هوازان القشيری إلى العلماء الأعلام بجميع بلاد الإسلام، مما ظهر بنيسابور من قضايا التقدیر، فی مفتتح سنة خمس وأربعين وأربعين وأربعين من الهجرة؛ ما دعا أهل الدين إلى شقّ صدروهم صبراً، وكشف

ص: ٣٥

قناع صبرهم، مما أحدث من لعن إمام الدين وسراج ذوى اليقين، محى السنة وقامع البدعة، وناصر الحق وناصح الخلق، الزكي الرضى أبي الحسن الأشعري. وهو الذى ذبَّ عن الدين بأوضح حُجج، وسلك فى قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبين نهج، ولما من الله الكريم على الإسلام.

بزمان السلطان المعظم المحكم بالقوَّة السماوية فى رقاب الأُمَم، الملك الأجل شاهنشاه، يمين خليفة الله وغياث عباد الله طغرل بك، أبي طالب محمد بن ميكائيل. وقام بإحياء السنة والمناصلة عن الملة، حتى لم يبقَ من أصناف المبتدعة حزباً إلَّا سلَّ لاستصالهم سيفاً غضباً، وأذاقهم ذلاً وخسفاً، وعقب لآثارهم نسفاً؛ فسعوا إلى عالى مجلس السلطان المعظم بنوع نيماء، ونسبو الأشعري إلى مذاهب ذميمة، وحكوا عنه مقالات لا يوجد فى كتبه منها حرف، وقد وعد الله للحق نصره وظهوره، وللباطل محوه وثبوره. إلَّا أنَّ كُتب الأشعري فى الآفاق مبثوثة، ومذاهبه عند أهل السنة من الفريقيين معروفة ومشهورة، فمن وصفه بالبدعة علم أنه غير محقٍ فى دعواه، وأنَّ جميع أهل السنة خصمها فيما افتراء.

وكتب الفقهاء بخطوطهم: اتفق أصحاب الحديث أنَّ أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمَّة أصحاب الحديث، ومذهب أصحاب الحديث، تكلَّم فى أصول الديانات على طريقة أهل السنة، وردَّ على المخالفين من أهل الزبغ

ص: ٣٦

والبدعـة، وـمـن طـعن فـيه أو قـدح أو لـعـنة أو سـبـه فقد بـسـط لـسان السـوـء فـي جـمـيع أـهـل السـنـة) (١)

ونـسـتـنـجـمـا سـبـقـا أـنـ هـجـومـ الحـنـابـلـةـ وـابـنـ تـيمـيـةـ، ثـمـ الوـهـابـيـنـ منـ بـعـدـهـمـ، عـلـىـ الأـشـعـرـىـ وـالـأـشـاعـرـةـ، يـعـنـىـ الـهـجـومـ عـلـىـ أـهـلـ السـنـةـ، وـيـعـنـىـ أـيـضـاـ رـفـضـ طـرـيقـةـ الأـشـعـرـىـ وـعـقـيـدـتـهـ، مـمـاـ يـعـنـىـ بـالـتـبـعـيـةـ أـنـ الحـنـابـلـةـ وـابـنـ تـيمـيـةـ وـالـوـهـابـيـنـ لاـ يـمـثـلـونـ أـهـلـ السـنـةـ، وـيـتـبـوـنـ التـجـسـيمـ وـالـتـشـيـبـيـهـ، الـذـىـ تـبـرـأـ مـنـهـ الأـشـعـرـىـ وـالـأـشـاعـرـةـ.

أـمـاـ الشـاهـدـ الثـالـثـ، فـهـوـ الحـصـنـىـ الـحـبـلـىـ، الـذـىـ وـضـعـ كـتـابـاـ ضـدـ الـحـنـابـلـةـ الـمـتـطـرـفـينـ الـمـجـسـمـينـ وـالـمـشـبـهـينـ فـيـ زـمـانـهـ. قـالـ فـيـ مـقـدـمـةـ كـتـابـهـ: إـنـ سـبـبـ وـضـعـيـةـ لـهـذـهـ الأـحـرـفـ الـيـسـيرـةـ، مـاـ دـهـمـنـىـ مـنـ الـحـيـرـةـ، مـنـ أـقـوـامـ أـخـبـاتـ السـرـيـرـةـ، يـظـهـرـوـنـ الـانتـمـاءـ إـلـىـ مـذـهـبـ السـيـدـ الـجـلـيلـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ، وـهـمـ عـلـىـ خـلـافـ ذـلـكـ وـالـفـرـدـ الصـمـدـ.

وـالـعـجـبـ أـنـهـمـ يـعـظـمـونـهـ عـلـىـ الـمـلـأـ، وـيـتـكـاثـمـونـ إـصـلـالـهـ مـعـ بـقـيـةـ الـأـئـمـةـ، وـهـمـ أـكـفـرـ مـمـنـ تـمـرـدـ وـجـحـدـ. وـيـضـلـلـونـ عـقـولـ الـعـوـامـ وـضـعـفـاءـ الـطـلـبـةـ بـالـتـمـوـيـهـ الـشـيـطـانـىـ، وـإـظـهـارـ التـعـبـيدـ وـالتـقـشـفـ، وـقـرـاءـةـ الـأـحـادـيـثـ وـيـعـنـونـ بـالـمـسـنـدـ، وـكـلـ ذـلـكـ خـرـعـبـلـاتـ مـنـهـمـ وـتـمـوـيـهـ، وـقـدـ اـنـكـشـفـ أـمـرـهـمـ حـتـىـ لـعـضـ الـعـوـامـ.

وـبـهـذـهـ الأـحـرـفـ يـظـهـرـ الـأـمـرـ- إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ- لـكـلـ أـحـدـ إـلـاـ

١- انظر: تبيين كذب المفترى فيما نسب للأشعرى، ج ١، صص ١١٠-١١٣ بتصريف. وابن عساكر توفى عام ٥٧١هـ.

ص: ٣٧

لَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ إِضْلَالَهُ وَإِبْقَاءَهُ فِي الْعَذَابِ السَّرِمَدِ.

وهذا الكلام موجّه لابن تيمية وأتباعه، بعد أن تجرأ بنفي خلود العذاب وسرميته، أو القول بفناء النار، وانحرف عن معتقد ابن حنبل. وقال: إنَّ أَهْلَ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ، وَالْمُزَدِّرِينَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، تَبَعًا لِسَلَالَةِ الْفَرِدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، لَهُمْ وُجُودٌ وَفِيهِمْ كُثُرَةٌ، وَقَدْ أَخْذَوْا بِعُقُولِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، لِمَا يَزِّيَّنُونَ لَهُمْ مِنَ الْإِطْرَاءِ عَلَى قَدْوَتِهِمْ، وُيَزْخَرُفُونَ لَهُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَيَمْوَهُونَ لَهُمْ بِإِظْهَارِ التَّنْسِيَّكِ وَالْإِبْالِ عَلَى كُثُرَةِ الْصَّلَةِ وَالصَّومِ وَالْحَجَّ وَالْتَّلَوَّهِ، وَغَيْرُ ذَلِكِ .. مَمَّا يَحْسِنُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ، لَاسِيَّمَا الْعَوَامَ الْمَائِلِينَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، أَتَبَاعُ الدَّجَالِ. فَانْقَادُوا لَهُمْ بِسَبِّ ذَلِكِ، وَأَوْقَعُوهُمْ فِي أَسْرِ الْمَهَالِكِ، فَرَأَيْتَ بِسَبِّ هَذِهِ الْمَكَابِدِ وَالْخَرْعَبَلَاتِ، أَنْ أَتَرْعَضَ لِسَوْءِ عَقِيدَتِهِمْ؛ قَمِعًا لِهَذَا الزَّانِغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَهُمُ الْأَئْمَاءُ الْأَرْبَعَةُ، الْمُقْتَدَى بِهِمْ وَالْمَعْوَلُ عَلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ وَالْأَقْطَارِ، وَأَذْكُرْ مَا وَقَعَ لِهَذَا الرَّجُلِ مِنَ الْحِيَةِ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْأَئْمَاءِ، وَأَذْكُرْ مَا انطَوَى بِاطْنَهُ الْخَيْثُ عَلَيْهِ، وَمَا عَوَّلَ فِي الْإِفْسَادِ بِالْتَّصْرِيحِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ ذَكَرْتُ كَثِيرًا مَمَّا ذَكَرَهُ وَدَوَّنَهُ فِي كُتُبِهِ الْمُختَصَراتِ، لَطَالَ جَدًّا، فَضْلًا عَنِ الْمَبْسوِطَاتِ.

قال بعض علماء الحنابلة في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو أطّلع الحصني على ما أطّلنا عليه من كلامه، لأنخرجه من قبره وأحرقه.

ص: ٣٨

فأَوْلَى مَا سَلَكَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدْيَعَةِ، أَنْ انتَمِي إِلَى مِذَهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَأَخْذَ يَدَوْنَ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ جَاءَهُ اسْتِفْتَاءً مِنْ بَلْدِ كَذَا، وَلَيْسَ لِذَلِكَ حَقِيقَةً.

وقال الرسول (ص): (أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَنَا، وَيُشَيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ، حِيثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ).
وفى رواية أخرى: (خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: رأس الكفر هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان).
وهذا المبتدع - ابن تيمية - من حرثان الشرق، بلده لا تزال يخرج منها أهل البدع، كجعد وغيره.
ومن أحاديث الخوارج: (سيماهم التحليق، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم).

فقد أوضحهم سيد الناصحين (ص)، باعتبار أوصافهم وأماكنهم، إِيضاً جلياً لا خفاء فيه ولا جهالة، فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إصلاحه.

وإذا تمهد لك أيها الراغب في فكاك نفسك من ربقة عقائد أهل الريغ الضالين المضللين، والاقتداء بأهل السلامه في الدين؛ فاعلم إنني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيف، المتبّع ما تشابه في الكتاب والسنّة ابتعاد الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام، وغيرهم ممّن أراد الله إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنا مل تطاوين على رسمه وتسويقه؛ لما فيه من تكذيب رب العالمين، في تزييه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء

٣٩:

بأصفيائه المُنتخبين، وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموفقين. فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمَّة المُتَقْوِنُونَ، وما اتفقا عليه من تبدِيعه وإخراجه ببعضه من الدِّين، فمنه ما دُوِنَ في المصنَّفات، ومنه ما جاءت به المراسيم العُلَيَا وأجمع عليه علماء عصره، ممَّن يُرجَع إلَيْهِم في الأمور والملَمَّات، والقضايا المهمَّات، وتضمَّنته الفتاوی الرَّكيَّات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد، كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رءوس الأشهاد، في المجامع والجامعَة، حتى شاع وذاع، واتسَع به الباَع.

ومن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطانى، ناصر الدين والدnya محمد بن قلاوون، وقرئ على منبر جامع دمشق، نهار الجمعة سنة خمس وسبعين، وصوداته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تَنَزَّهَ عن التشبيه والنظر. تعالى عن المثل، فقال تعالى: لَعِسَى كَمُثْلَهُ شَيْءٌ.

أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياح.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة من يرجو بأخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزه حالقه عن التحيز فى وجهه، لقوله تعالى وَ هُوَ مَعْلُوكٌ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

وأشهد أنَّ سيدنا محمد عبده ورسوله (ص)، الذي نهج سبيل

ص: ٤٠

النجاة لمن سلك سبيل مرضاته، وأمر بالتفكير في الآيات، ونهى عن التفكير في ذاته، وأصحابه الذين علا بهم منازل الإيمان، وارتفع وشيد بهم من قواعد الدين الحنيفة ما شرع، وأحمد بهم كلمة من حاد عن الحقّ وما إلى البدع.

وبعد .. فإنَّ القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإيمان العملية، ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يبني عليه، والموئل الذي يرجع كلَّ من حاد إليه، والطريق الذي من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً؛ ولهذا يجب أن تتعقد أحكامها، ويؤكَّد دوامها، وتنسان عقائد هذه الأُمَّة من الاختلاف، وتُزان بالرحمة والعطف والاتلاف، وتخمد ثوائر البدع، ويُفرَّق من فرقها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومدَّ بجهله عنان كلامه، وتحدَّث بمسائل الذات والصفات، ونصَّ في كلامه الفاسد على أمور مُنكرات، وتكلَّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفأه بما اجتبه الأئمَّة والأعلام الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمَّة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكَّام، وشهر من فتاويه ما استخفَّ به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصر، وأعلام علماء شامه ومصره، وبيَّنَ به رسائله إلى كُلِّ مكان، وسمَّى فتاويه باسماء ما أنزل بها من سلطان.

ولما اتَّصل بنا ذلك، وما سلكَ به هو ومريديوه من هذه

ص: ٤١

المسالك الخبيثة، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخفّ قومه فأطاعوه. حتى اتصل بنا أنهم صرّحوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجمسيـم، فقمنا في نصرة الله مـُشفـقـين من هذا النـَّـبـَـأـ العـَـظـِـيمـ، وأنـكـرـنا هــذـهـ الــبــدــعــةـ، وعــزـنـاـ أـنـ يــشــيــعــ عــمــنـ تــضــمــنـهـ مــمــالــكــهـ هــذـهـ الســمــعــةـ، وــكــرــهـنــاـ ماــفــاهـ بــهـ الــمــبــطــلــونـ، وــتــلــوــنــاـ قــوــلــهـ تــعــالــىـ ســيــبــحــانـ رــبــكــ رــبــ الــعــزــةـ عــمــاـ يــصــحــ فــوــنــ، فــإــنــ ســبــحــانـهـ وــتــعــالــىـ تــنــزــهـ فــيـ ذــاتـهـ وــصــفــاتـهـ عــنــ الــعــدــلــ وــالــنــظــيرــ، لــاـ تــنــدــرــ كــهـ الــأـبــصــارــ وــهــوــ يــنــدــرــ كــهـ الــأـبــصــارــ وــهــوــ الــلــطــيــفــ الــخــيــرــ. فــتــقــدــمــتــ مــرــاســيــمــاـ باــســتــدــعــاءــ اــبــنــ تــيــمــيــةــ الــمــذــكــورــ إــلــىــ أــبــوــاـنــاـ، حــيــنــاـ ســارــتــ فــتــاوــاـهـ الــبــاطــلــةــ فــيــ شــامــاـ وــمــصــرــاـ، وــصــرــحــ فــيــهـاـ بــأــلــفــاظــ ماــســعــهـاـ ذــوــفــهــمــ إــلــاـ وــتــلاــ قــوــلــهـ تــعــالــىـ لــقــدــ جــتــتــ شــيــئــاـ نــكــرــاـ.

ولــمــاـ وــصــلــ إــلــيــاـ الجــمــعــ، أــوــلــاـ العــقــدــ وــالــحــلــ، وــذــوــوــ التــحــقــيقــ وــالــنــقــلــ، وــحــضــرــ قــضــاءــ الــإــســلــامــ وــحــكــامــ الــأــنــامــ، وــعــلــمــاءــ الــمــســلــمــينــ وــأــئــمــةــ الــدــنــيــاـ وــالــدــيــنــ، وــعــقــدــ لــهـ مــجــلــســ شــرــعــيــ فــيــ مــلــأــ مــنــ الــأــئــمــةــ، وــجــمــعــ، مــنــ لــهـ دــرــاـيــةــ فــيــ مــعــجــلــ الــنــظــرــ وــدــفــعــ، فــثــبــتــ عــنــهـمــ جــمــيــعــ مــاـ نــســبــ إــلــيــهـ، بــقــوــلــ مــنــ يــعــتــمــدــ عــلــيــهـ وــيــعــوــلــ عــلــيــهـ، وــبــمــقــتــضــيــ خــطــ قــلــمــهـ الدــالــ عــلــىــ مــنــكــرــ مــعــتــقــدــهـ، وــانــفــصــلــ ذــلــكــ الــجــمــعــ، وــهــمــ لــعــقــيــدــتــهـ الــخــيــثــةــ مــنــكــرــوــنــ، وــآـخــذــوــهـ بــمــاـ شــهــدــ بــهـ، قــلــمــهـ تــالــيــنــ ســتــكــتــ بــ شــهــادــتــهـمــ وــيــســئــلــوــنــ.

وــبــلــغــنــاـ أــنــهـ قــدــ اــســتــيــبــ مــرــارــاـ فــيــمــاـ تــقــدــمــ، وــأــخــرــهـ الشــرــعــ الشــرــيفــ لــمــ تــعــرــضــ لــذــلــكــ وــأــقــدــمــ، ثــمــ عــادــ بــعــدــ مــنــعــهـ، وــلــمــ يــدــخــلــ

ص: ٤٢

في سمعه. ولما ثبت ذلك في مجلس الحاكم المالكي، حكم الشرع الشريف أن يُسجن هذا المذكور، ويمنع من التصرف والظهور، ويكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسائل، وينهى عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك، أو يعود له في هذا القول متبعاً، أو لهذه الألفاظ مستمعاً، أو يسرى في التشبيه مسراه، أو يفوته بجهة العلو بما فاه، أو يتحدث أحد بحرف أو صوت، أو يفوته بذلك إلى الموت، أو ينطق بتجمسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأي الأئمة، أو ينفرد به عن العلماء، أو يحيز الله سبحانه وتعالى في جهة، أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمعتقد هذا إلا السيف.

فليقف كل واحد عند هذا الحد، والله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما أنكره الأئمة من العقيدة، والرجوع عن الشبهات الدائمة الشديدة، ولزوم ما أمر الله تعالى به، والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضلَّ سواء السبيل، ومثل هذا ليس له إلا التنكيل، والسجن الطويل مستقره ومقيمه وبئس المقيل، وقد رسمنا بأن ينادي في دمشق المحروسة والبلاد الشامية، وتلك الجهات الدينية والقصية، بالنهي الشديد والتخييف والتهديد، لمن اتبع ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحتناه، ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه، ووضعناه من عيون الأئمة كما وضعناه. ومن أصرَ على

ص: ٤٣

الامتناع، وأبى إلّا الدفاع، أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولاء، ولا شهادة ولا إماماً، بل ولا مرتبة ولا إقامة، فإنّا أنزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضلّ بها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلّ بها من خلق وعاثوا بها في الأرض الفساد، ولثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك، وتسيير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكيّة، وقد أعدّنا وحدّرنا وأنصفنا حين اندرنا، ولتقرأ مرسومنا الشريفي على المنابر، ليكون أبلغ واعظ وزاجر لكلّ باد وحاضر، والاعتماد على الخطّ الشريفي أعلاه.

كتب في الثامن والعشرين من شهر رمضان، سنة خمس وسبعين.

قال الحصني: وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التاريخ، وهو ابن شاكر، ويعرف بصلاح الدين الكتبى، وكان من أتباع ابن تيمية، وضرب الضرب البليغ، لكونه قال للمؤذن في مئذنة العروس وقت السحر: أشركت. حين قال:

ألا يا رسول الله أنت وسيلى

إلى الله في غفران ذنبي وذلتى وأرادوا ضرب عنقه ثم جدّدوا إسلامه، وإنما ذكر ما قاله لأنّه أبلغ في حقّ ابن تيمية في إقامة الحجّة عليه، مع أنه أهمل أشياء من خبته ولوّمه، لما فيها من المبالغة في إهانته قدوته. والعجب أنّ ابن تيمية ذكرها وهو سكت عنها!

ابن تيمية والاستواء

قال الحصنى: فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن على الدمشقى فى صحن الجامع الأموي عن أبيه، قال: كنّا جلوساً فى مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرّض لآيات الاستواء، ثمَّ قال: واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا.

قال: فوثب الناس عليه وتبه واحدة، وأنزلوه من الكرسى، وبادروا إليه ضرباً باللّكم والنعال وغير ذلك، حتى أوصلوه إلى بعض الحكّام، واجتمع فى ذلك مجلس العلماء، فشرع يناظرهم.

فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.

فضحّكوا منه، وعرفوا أنه جاهل لا يجري على قواعد العلم.

فقالوا: ما تقول في قوله تعالى فَإِنَّمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ؟

فأجاب بأجوبه تحقّقوا أنه من الجهلة على التّحقيق، وأنه لا يدرى ما يقول.

وكان قد غرّه نفسه ثناء العوام عليه، وكذا الحامدين من الفقهاء العارين من العلوم التي بها يجمع شمل الأدلة على الوجه المرضى.

وقد رأيت في فتاويه ما يتعلّق بمسألة الاستواء وقد أطّب فيها، وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجزّيات خارجة عن قواعد أهل الحق،

والناظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحسن

ص: ٤٥

رؤيَّة، ظنَّ أنَّها على منوال مرضى. ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله، (أنَّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة)، وغيره مما هو كثير في كلامه، يتحقّق بها جهله وفساد تصوّره وببلادته.

وكان بعضهم يسمّيه حاطب ليل.
وبعضهم يسمّيه الهدار المهدار.

وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه، أبو الحسن على بن إسماعيل القونوبي، يصرّح بـأنَّه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول، ويخبر أنَّه أخذ مسألة التفرقة عن شيخه، الذي تلقاها من أفراد السامرة واليهود، الذين أظهروا التشرُّف بالإسلام.

وقد وقفت على المسألة، أعني مسألة التفرقة، التي أثارها اليهود ليزدروا النبي (ص) بها، وبحثوا فيها على قواعد مأخوذة من الاستيقاظ، وكانوا يقطعون بها على الضعفاء من العلماء، فتصدّى لهم الجهابذة من العلماء، وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل، والاستعمال الشرعي والعرف، وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق، ولم يبقَ منهم إلَّا الضعفاء في العلم، ودامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه، وكانت أطْنَ ابتكرها.

وافتَّقَ الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه، وكثرة خطئه، وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصوّرها، عرفوا ذلك منه بالمفاؤضة في مجالس العلم.

ص: ٤٦

ثم استعرض الحصني بعد ذلك ما ذكره ابن شاكر في تاريخه، في حوادث سنة خمس وسبعينه، في الثامن من رجب، والمحاكمات التي جرت لابن تيمية بسبب ما قاله في عقيدته الواسطية، وإشهاد ابن تيمية على نفسه أنه شافعى المذهب والمعتقد.

ثم عقد له مجلس ثان في أمر العقيدة، بعد أن ظاهر أتباعه بأقواله وقالوا إن الحق معه، فأحضروا إلى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى، وأحضر ابن تيمية، وصفع ورسم تعزيره.

ثم عقد له مجلس ثالث في أمر العقيدة، وطلب إلى مصر بعد وقوع أشياء كثيرة من الحنابلة فيها، وعقد له مجلس بقلعة القاهرة، بحضور القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء.

وقام الشيخ شمس الدين عدنان الشافعى فادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة، فذكر منها فصولاً، فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وتكلم بما يقتضى الوعظ.

فقال له: ياشيخ، إن الذى تقوله نحن نعرفه، وما لنا حاجة إلى وعظك، وقد ادعى عليك بدعوى شرعية فأجب. فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك، بل قيل له: أجب.

فتوقف وكرر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر.

وعند ذلك حكم القاضى المالكى بحبسه فى برج من أبراج

ص: ٤٧

القلعة، فتردَّ إليه جماعة من الأُمراء، فسمع القاضي بذلك، فاجتمع بالأُمراء وقال: يجب عليه التضييق إذا لم يقتل، وإنَّا فقد وجب قتله وثبت كفره.

ووصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صدرى، وكانوا قد يتوافى على الحنابلة كُلُّهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة، وحضر القضاة كُلُّهم وقضاة العسكر، ونظر الأوقاف وقرئ مرسوم السلطان، وفيه ما يتعلَّق بابن تيمية في عقيدته، وإلزم الناس بذلك، خصوصاً الحنابلة، والوعد الشديد عليهم، والعزل من المناصب والحبس، وأخذ الأموال والروح؛ لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة المحمدية.

وأحضروا بعد القراءة الحنابلة، واعترفوا أنَّهم يعتقدون ما يعتقد الشافعى.

ثمَّ حبس ابن تيمية بعد ذلك؛ بسبب مسألة الطلاق وقوله بمنع شد الرحال.

ونقل الحصنى كلام الذهى عما ذكر ابن تيمية فى عقيدته الواسطية، وكان مما أدعى عليه بمصر أنَّه قال: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى حقيقة، وأنَّه تكلَّم بحرف وصوت.

ثمَّ نُودى بدمشق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلَّ ماله ودمه.

ونُقل عن ابن حيان النحوى الأندلسى، صاحب تفسير (النهر)، أنَّهقرأ فى كتاب لابن تيمية بخطه، سماه (العرش):

ص: ٤٨

أنَّ الله يجلس على الكرسي، وقد أخلَى مكاناً يقعد فيه رسول الله (ص).

وقال: رأيت في بعض فتاويه أنَّ الكرسي موضع القدمين.

وفى كتابه المسمى بالتدمرية ما هذا لفظه بحروفه.

وقال ابن تيمية في الكلام على حديث التزول المشهور: إنَّ الله يتزل إلى سماء الدنيا إلى مَرْجَهِ خضراء، وفي رجله نعلان من ذهب.

وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة في التشبيه، حريصاً على ظاهرها واعتقادها، وإبطال ما نَزَّهَ الله به نفسه في أشرف كتبه.

وهذا الحديث لا يعرج على ما فيه من التنزية، وإنما يتبع المتشابه ويمنع الكلام فيه، وذلك من أعظم الأدلة على أنه من أعظم الزائغين.

واستطرد الحصني، عارضاً العديد من أقوال السلف المتعلقة بصفات الله سبحانه، من باب الرد على ابن تيمية، وإثبات مخالفته لعقائدهم

في قوله بالتجسيم، وقدم العالم، والاستغاثة والتوكيل، وتحريم شد الرحال [\(١\)](#)

وقال تقى الدين السبكي: أمَّا بعد. فإنه لمَّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد،

بعد أن كان مسترًا بتعينه الكتاب والسنة،

١- انظر: دفع شبه من شبهه وتمرد على الإمام أحمد، لتقى الدين الحصني الحنبلي الدمشقي.

ص: ٤٩

مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج من الاتباع إلى الابداع، وشدَّ عن جماعة المسلمين بمخالفه الإجماع، وقال بما يقتضى الجسمية والتركيب في الذات المقدّس، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وتعدّى في ذلك إلى استنلام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنه لا- أول للمخلوقات، فقال بحوادث لا أول لها، فأثبتت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قدّيماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل، ولا نحله من النحل، فلم يدخل في فرقه من الفرق الثلاثة والسبعين، والتي افترقت عليها الأُمّة، ولا وقفت به مع أُمّة من الأُمم همة. وكل ذلك وإنْ كان كفراً شنيعاً، مما نقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع ...^(١)

وممّا سبق عرضه يتبيّن لنا:

أنَّ فريق الحنابلة المتطرّفين المُجسيّمين، الذين انشقّوا على مذهب ابن حنبل وعقيدته، وانشقّوا بالتالي على عقيدة أهل السنة، هم الذين انحاز لهم ابن تيمية وأحّيى أفكارهم، وجاء الوهابيون فانحازوا لابن تيمية، وأحّيوا أفكاره ومعتقداته.

اعتقادات أهل السنة

لَخَصْ لنا في كتابه (شرح اعتقادات أهل السنة) اعتقادات

١- انظر: الدرة المضيئه في الرد على ابن تيمية، السبكى.

ص: ٥٠

السلف في باب تحت عنوان: (ما رُوى من المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة).

أولاً: اعتقاد الثورى: القرآن كلام الله غير مخلوق، والإيمان قول وعمل ونَيَّةٌ، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي، تقدمه الشيختين، لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلَى للعشرة المبشرين، المسح على الخفين، إخفاء البسمة، الإيمان بالقدر خيره وشره، الصلاة وراء كل بَرٍّ فاجر، والجهاد ماض وراء كل أمير، والصبر تحت لواء السلطان، جائز أم عدل.

ثانياً: اعتقاد سفيان بن عيينة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر، والإيمان بالحوض والشفاعة، والميزان والصراط، وعذاب القبر والبعث، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، ولا تقطعوا بالشهادة لمسلم.

ثالثاً: اعتقاد ابن حنبل: الإيمان بالقدر خيره وشره، القرآن كلام الله وليس بمخلوق، الإيمان بالميزان والحوض وعذاب القبر والشفاعة، وأنَّ الله يكلِّم العباد يوم القيمة، ليس بينهم وبينه ترجمان، الإيمان قول وعمل، خير هذه الأُمَّةٍ أبو بكر وعمر وعثمان، بعد هؤلاء أصحاب الشورى الخمسة، وكلَّهم يصلح للخلافة وكلَّهم إمام، السمع والطاعة للأئمَّة وأمير المؤمنين البر والفارج، الغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيمة، البر والفارج، دفع الصدقات إليهم والصلاحة خلفهم وعدم الخروج عليهم وقتلهم ..

رابعاً: اعتقاد علي بن المديني: الإيمان بالقدر خيره وشره،

ص: ٥١

التصديق بالأحاديث والإيمان بها، القرآن كلام الله غير مخلوق، الإيمان بالميزان والحوض، وعذاب القبر والشفاعة وال المسيح الدجال، الإيمان يزيد وينقص، ترك الصلاة كفر، تقديم أبي بكر وعمر وعثمان، السمع والطاعة للأئمة والأمراء، البر والفاجر، والغزو ماض مع النساء إلى يوم القيمة، البر والفاجر، دفع الصدقات إليهم، الصلاة خلفهم، وعدم الخروج عليهم وقتالهم.

وكذلك اعتقادات أبي ثور الكلبي والبخاري، وأبي زرعة وسهل التستري والطبرى وغيرهم ..^(١)

وكتاب اللاذكائى (شرح اعتقادات أهل السنة) الذى حوى كل هذه العقائد، ليس فيه ذكر لمسألة الاستواء أو الجهة، أو ما يتعلق بسائر الصفات، فمثل هذه المسائل لم تأت على لسان السلف، وإنما توّقفوا فيها على ما سوف نبيّن.

والغريب أنّ الوهابيين تبنّوا هذا الكتاب ونشروه، دون أن يدرّوا أنّه يكشف أكذوبتهم في نسبة التجسيم والتّشبيه لأهل السنة والسلف. كذلك نشرهم لكتاب (صریح السنة) للطبری، الذي لم يُشر فيه صاحبه لشيء يتعلق بالصفات كما تبنّاها الحنابلة وابن تيمیة والوهابيين. وسوف نعرض هنا نماذج من أقوال السلف، حول مسألة الصفات والاستواء والعرش وغيرها.

١- شرح اعتقادات أهل السنة، ج ١، ص ١٧٠، ص ٢٠٦.

ص: ٥٢

اشتهر من جواب أبي على الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، فقال: لا نعرف أبناء الغيب إلّا ما كُشف لنا، وقد أعلمنا جلّ ذكره أنَّه استوى على عرشه، ولم يخبر كيف استوى، ومن اعتقد أنَّ الله مفتقر للعرش أو لغيره من المخلوقات، أو أنَّ استواءه على العرش كاستواء المخلوقات على كرسيه، فهو ضالٌّ مبتدع؛ فكان الله ولازمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان.

ومنها نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبهه بنزل المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكليف، بل يثبت الحنابلة ما أثبته رسول الله (ص)، ويُمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله تعالى.

وكذلك ما أنزل الله عزَّ اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإitan، المذكورين في قوله تعالى وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ... [\(١\)](#)، وفي قوله ... يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ... [\(٢\)](#)

ونؤمن بذلك بلا كيف، ولو شاء سبحانه أن يبيّن لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه وكفنا عن الذى يتشابه.

وقال مالك ٢ إياكم والبدع، قيل وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله تعالى وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته .. لا يسكنون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون.

وفي صحف إدريس: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة؛ فإنَّه

١- الفجر: ٢٢.

٢- البقرة: ٢١٠.

ص: ٥٣

أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين.

قال ابن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.

وقال بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

قال الإمام الشافعى (رحمه الله تعالى): (آمنت بالله وبما جاء عن الله وعلى مراد الله، وآمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) نقله عنه الإمام أبو الحسن البوذى الحنبلى فى كتابه اللumen فى السنن والبدع، وقال: بعد وعلى هذا درج أئمة السلف.

وسيأتي في التتمة الخامسة ذكر كلام الشيخ الأشعري، وأنه موافق للإمام أحمد في الاعتقاد، وأنه يجري المتشابهات على ما قاله الله من غير تصرّف ولا تأويل، كما هو مذهب السلف، وعليه فلا خلاف ولا نزاع والحمد لله [\(١\)](#)

وقال الشافعى: (آمنت بلا تشبيه وصدق بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك) [\(٢\)](#)

وقال ابن حنبل: (إن الله عز وجل لم يكن موصوفاً حتى وصفه الواصفون، فهو بذلك خارج عن الدين) [\(٣\)](#)

١- انظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر، ج ١، صص ٥-٦٣.

٢- انظر: دفع شبه من شبه وتمرد، ط القاهرة، لتقى الدين الحصنى، ص ١٨.

٣- اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل، ص ١.

ص: ٥٤

وقال القنوجي: (مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك والشافعى، والثورى والأوزاعى، وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض وسهل التسترى وأبى سليمان الدارنى وغيرهم، وكذلك أبو حنيفة، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء) ^(١)

وقال الغزالى: (حقيقة مذهب السلف أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث أحاديث الصفات- من عوام الخلق، عليه سبعة أمور: التقديس والتصديق، ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك، ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة.

أما التقديس، فأعنى به تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية.

وأما التصديق، فهو الإيمان بما قاله (ص)، وأن ما ذكره حق، وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذى قاله وأراده.

وأما الاعتراف بالعجز، فهو أن يُقرّ بأن مراده ليست على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفتة.

وأما السكوت، بأن لا- يسأل عن معناه، ولا يخوض فيه، ويعلم أن سؤاله عنه بدعه، وأن في خوضه فيه مخاطر بدنيه، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر.

١- انظر: قطف الشمر فى بيان عقيدة أهل الأثر، ص ٤٧، والقنوجي توفي عام ١٣٠٧هـ.

ص: ٥٥

وأما الإمساك، فأن لا يتعرّض في تلك الألفاظ بالتصريف والتبدل، بلغة أخرى، والزيادة والنقصان، والجمع والتفرق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف.

وأما الكف، بأن يكفي باطنه عن البحث فيه والتفكير فيه.

وأما التسليم لأهله، بأن لا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله (ص)، أو الأنبياء أو الصديقين أو الأولياء ^(١) وقال الشوكاني: (ومن جملة الصفات التي مرتها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة، من دون تكليف ولا تأويل، صفة الاستواء؛ يقولون: نحن ثبّت ما أثبته الله لنفسه، من استواء على عرشه، على هيئة لا يعلمها إلّا هو، وكيفية لا يدرى بها سواه، ولأنكُلِّف أنفسنا غير هذا، فليس مثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاتاته، ولا يحيط عباده به علمًا). وهكذا يقولون في مسألة الجهة. لكن لما وقعت تلك القلاقل والزلزال، الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية؛ كثُر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، وسيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم في ذلك الفتنة الكبرى والملامح العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر ^(٢)

١- انظر: إلحاد العوام عن علم الكلام، ط القاهرة، ص ١٥، وهو آخر تصانيفه.

٢- انظر: التحف في مذاهب السلف، ص ٧٦، والشوكاني توفي عام ١٢٥٥هـ.

ص: ٥٦

وقال ابن قدامة: (ومذهب السلف الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه، التي وصف بها نفسه في آياته وتزييله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها، لا- تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المُحَدِّثين، بل أمرّوها كما جاءت، ورددوا علّمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلّم بها).

ونقل عن محمد بن الحسن قوله: اتفق العلماء كلّهم من الشرق والغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله (ص)، في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج ممّا كان عليه النبي (ص) وفارق الجماعة [\(١\)](#)

منشورات الوهابية

كان تبنّي الوهابية لطرح ابن تيمية المُجسّم والمشبه، واعتباره شيخ السلف والأئمّة، والناطق بلسان أهل السنة الكرام، والمعبر عن إجماع الأمة دون خلاف وخصام؛ يعد دليلاً قاطعاً على تبنيّهم التجسيم والتشبيه.

ولمّا كان ابن تيمية قد خاصمه الفقهاء ورفضوه، وحدّدوا المسلمين من معتقداته وأفكاره؛ أصبحت معتقدات وأفكار الوهابيين محل رفض الفقهاء، ويجب تحذير المسلمين منها،

١- انظر: ذم التأويل. صص ٣ و ٦ وابن قدامة توفي عام ٦٢٠هـ.

ص: ٥٧

وهو ما يوجب الحكم عليها بأنّها لا تعّبر عن أهل السنة، بل تتصادم مع معتقداتهم.

وهذا يقودنا للحكم بأنَّ الوهابيين يكذبون على أهل السنة والسلف، حين يحاولون إلصاق عقائدهم وأفكارهم بهم.

والوهابيون يحاولون تضليل المسلمين، عن طريق ما يصدرونه من منشورات عقائدية تدعم فكرة التجسيم والتشبّيه، منسوبة لأهل السنة؛

الأمر الذي ينطلي على العوام والبسطاء، وهم أتباع الوهابيين، ولا ينطلي على أهل العلم والباحثين المحقّقين البهّيين.

ومن أمثلة هذه المنشورات:

العرش العبسي.

السنة لخلال.

رسالة البربهارى.

نقض عثمان الدارمى.

الصفات للدارقطنى.

الاستواء والفوقيّة والحرف والصوت للجويني.

الأربعين في دلائل التوحيد للهروي.

الحجّة في بيان المَحَجَّة للأصبhani.

الفتيا وجوابها للهمدانى.

اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

الكافية الشافية في شرح عقید الفرقۃ الناجیة لابن القيم.

وغير هذا كثیر ..

ص: ٥٨

ومن بين منشورات الوهابيين المعاصرة، التي تدلّ على تبّيّهم معتقد التجسيم والتشبيه، سيراً على نهج إمامهم ابن تيمية؛ منشور تحت عنوان (العرش)، لمحمد بن عثمان العبسى، المتوفى عام ٢٩٧هـ، وهى رسالة صغيرة، حشد فيها مؤلفها عشرات الروايات التى تتعلق بعرش الله سبحانه، والتى تقود إلى التجسيم.

ومن هذه الروايات:

رواية تقول: إنَّ عرشه على سماواته وأرضيه هكذا. وقال بأصابعه مثل القبة. وصف ذلك وهب، وأمال كفَّه وأصابعه اليمنى وقال: هكذا، وإنَّه ليئِطْ به أطيط الرحل بالراكب.

رواية أخرى تقول: الكرسى موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل.

رواية تقول: العرش مسيرة خمسين ألف سنة.

رواية تقول: العرش على ملك من لؤلؤة في صورة ديك، رجلاه في التخوم السفلية، وعنقه مشيَّة تحت العرش.

رواية تقول: أرسل ابن عمر إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربَّه؟

فأرسل إليه ابن عباس: أنْ نعم.

فردَّ عليه ابن رسوله: أنْ كيف رآه؟

قال: رآه في روضة خضراء، روضة من الفردوس، دونه فراش من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة

ص: ٥٩

أسد، وملك في صورة نسر [\(١\)](#)

وفي قصيدة لعبد الله بن سليمان الأشعث، المتوفى عام ٣١٦هـ، ذم فيها أهل البدع ومدح أهل الحديث قال:

وقل يتجلّى الله للخلق جهرة كما البدر لا يخفى وربك أوضح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصراً
وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه وكلتا يديه بالفواصل تفضح
وقل ينزل الجبار كل ليلة بلا كيف جلّ الواحد المتمدّح
روى ذاك قوم لا يردد حديثهم ألا خاب قوم كذبوا وقبحوا [\(٢\)](#)

وفي كتاب (السنّة) لأبي بكر الخلال، المتوفى عام ٣١١هـ. قال في باب ذكر المقام المحمود عسى أن يبعثك ربك مقاماً مُحْمُوداً.

استعرض الروايات التالية:

- * إذا كان يوم القيمة، جيء بنبيكم صلى الله عليه وسلم فأعقد بين يدي الله على كرسيه.
- * إنَّ محمداً يوم القيمة بين يدي ربِّ على كرسى ربِّ.
- * إنَّ الله يجلسه معه على العرش.

وروى ما يلى:

- * مَنْ رَدَهُ -أى حديث الجلوس- فقد رَدَ على الله، وَمَنْ كَذَّبَ بِفَضْلِهِ النَّبِيِّ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ.
- * مَنْ رَدَ هَذَا فَهُوَ مَتَّهُمْ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا

١- العرش، حديث رقم ١١ و ٣٨ و ٦٠ و ٦٢ و ٦٨.

٢- ص ٩، وما بعدها.

ص: ٦٠

كافر.

* لا يرد هذا إلّا متهم.

* مَن ردَّ هذا الحديث فهو جهنمي.

* لا يردَّه إلّا أهل البدع.

* مَن ردَ فضيلة الرسول (ص) فهو عندنا كافر مرتدٌ عن الإسلام (١)

وقد تسَبَّب الحنابلة بتبيِّنِهم هذه الرواية في إحداث العديد من الفتن مع خصومهم من أهل السنة، وقد اعتدوا على الطبرى المفسّر، بسبب رفضه لهذه الرواية.

وقال الذهبي: (يُقعد أو يجلس على العرش .. لهذا القول طُرق خمسة، وأمّا قضيَّة قعود نَبِيِّنا على العرش، فلم يثبت في ذلك نصٌّ، بل في الباب حديث واه) (٢)

ونشر الوهابيون (شرح السنة) للبربهارى الحنبلي المتطرّف، المتوفى عام ٥٣٢هـ.

يقول في مقدمة رسالته: (اعلم أنَّ الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلَّا بالآخر. فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربيبة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً).

والأساس الذي بنينا عليه الجماعة هم أصحاب الرسول (ص)، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ

١- ح ٢٠٩ / باب رقم ٢٤.

٢- شرح منظومة ابن القيم، ج ١، ص ٢٣٣.

ص: ٦١

وابدئ، وكل بدعة ضلاله، والضلاله وأهلها في النار).

وهذه دعوة صريحة للتمسّك بالرواية والجماعة، التي هي جماعة الحنابلة، التي يحاول أن يُظهر لنا البربهارى أنها الممثل الوحيد للإسلام.

وهذا الكلام هو امتداد لكلام ابن حنبل السابق، الذي ينفي الإسلام عن الاتجاهات الأخرى، التي تبني رؤية مختلفة تجاه الصحابة والروايات.

يقول البربهارى: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئاً من آثار رسول الله، أو يصلى لغير الله، أو يذبح لغير الله. وإذا فعل شيئاً من ذلك، فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام).

ويبدو الغلو والتطرف في هذا الكلام من خلال ربط البربهارى الردة عن الدين بإنكار الروايات، لا بإنكار القرآن وحده، وهو بهذا يكون قد ساوى بين الروايات وبين كتاب الله، وهذا قمة الغلو والضلالة. ثمَّ قام بوضع بذرء العداء والمواجهة مع تيار الشيعة والمعترضة والتصوّف؛ حين اعتبرهما من المصلين لغير الله والذابحين لسواء، من الخارجين المرتدين. وهو كلام موجه للتيار الصوفى والشيعى السائد في محیطهما فكرة التوسل وزيارة الأضرحة والمقامات، والاحتفال بأصحابها، وهي الفكرة التي رفعت لواءها في العصر الحديث الحرَّكة الوهابية، وبطشت بال المسلمين في جزيرة العرب على أساسها؛ باعتبار أنَّ الذين يتولون بالأموات من الأولياء

ص: ٦٢

والصالحين، وينذرون عند الأضرحة والمقامات ويقيمون الشعائر فيها؛ إنما هم مشركون.

ثم أعطى البربهارى الرخصة الشرعية للاحنابلة، كى يقوموا بواجبهم فى مواجهة هؤلاء الخارجين عن الإسلام فى منظوره.

وهو ما يقوم به الوهابيون، والجماعات من حنابلة العصر، ويطبقونه تطبيقاً عملياً فى مواجهة المخالفين لهم، تحت شعار جهاد أصحاب البدع، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويطالب البربهارى المسلمين بأن يصموا آذانهم ويعزلوا عقولهم، حين تواجههم رواية من الروايات التى تتعلق بصفات الله تعالى تُثير الشك فى نفوسهم.

يقول: (وكلّ ما سمعت من الآثار مما لم يبلغه عقلك، مثل:

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ..

وأنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا وينزل يوم عرفة ويوم القيمة ..

وأنَّ الله يضع قدمه في النار ..

وخلق آدم على صورته ..

وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، ولا تفسّر شيئاً من هذا بهواك؛ فإنَّ الإيمان بها واجب، فمن فسر شيئاً من هذا بهواه فهو جهنمي).

ص: ٦٣

وهذه الأحاديث رفضها الشيعة والمعتزلة، وغيرهم من أهل الرأي والعقل.

كذلك قام بتأويلها الخلف -أى من جاء بعد القرن الثالث وصرفها عن ظاهرها الذى يقود إلى التشيه والتجمسيم، كمحاولة لتجنب رفضها الواقع فى الحرج أمام روایات يُسلّم بها كافية فقهاء أهل السنة.

واعتبار البربهارى من يفسّر هذه الروایات أو يرفضها من الجهميّة، يعني أنه من الكفار؛ لكون الجهمي كافر في منظور الحتابلة.

وهو بهذا يحكم بکفر الخلف من أهل السنة الذين اتجهوا إلى تفسير هذه الروایات، بالإضافة إلى الشيعة والمعتزلة.

ويمضى البربهارى في تحريض المسلمين وتوطين الإرهاب في واقعهم بقوله: (إذا سمعت الرجل يطعن في الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله (ص)، فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل ردء المذهب والقول).

ثم يقول: (إذَا كَ وَالنَّظَرُ فِي الْكَلَامِ، وَالْجُلوُسُ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ، وَعَلَيْكَ بِالآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعْهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْبِسْ ..

إذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإنه صاحب هوى).

ثم يختتم كلامه بمقالة تنطق كفراً، يقول:

(فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَآمَنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِماماً، وَلَمْ

ص: ٦٤

يشكّ في حرف منه، فهو صاحب سُنّة وجماعة، كامل قد كملت به الجماعة.

ومن جحد حرفاً ممّا في هذا الكتاب أو شك فيه أو وقف - أى لم يشك ولم يجزم أو يقر بصحته -، فهو صاحب هوى) (١)

وهذا الكلام لا يجوز أن يُقال إلّا في حق كتاب الله تعالى، وهو برهان على تعصّبه لنفسه وإطراه لها. وليس هذا من صفات أهل العلم، إنّما هو من صفات الحنابلة حملة الأسفار، أعداء العقول، ضيّقو الأفق، شدیدو التطرف قليلاً الفهم. وهي من الصفات التي ورثها عنهم الوهابيون والفرق المعاصرة.

ومن بين منشورات الوهابيين، كتاب تحت عنوان (نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المریسی الجھمی العنید)، المتوفّى عام ٣٨٠، وهو ردّ على من أسموههم بالجهميّة وأنصار التأویل.

قال الدارمي في مقدّمه: (أما بعد .. فقد عارض مذهبنا في الإنكار على الجهمية ممّن بين ظهريكم معارض، وانتدب لنا منهم منافق، ينقض ما روينا فيهم عن رسول الله (ص) بتفاسير المضلّ المریسی، بشر بن غیاث الجھمی، فكان من صنع الله لنا في ذلك، اعتماد هذا المعارض على كلام بشر؛ إذ كان مشهوراً عند العامة بأبشع الذكر، مُفتضحاً بصلاته في كل مصر، ليكون بذلك أعون لنا على المعارض عند الخلق، وأنفع في قلوبهم لقبول الحق ومواضع الصدق).

١- الرسالة السنّة، ص ٥٨.

ص: ٦٥

والمرىسي ومن سُجَّاهُم الحنابلة بالجهمية، يقولون بالتأويل ويرفضون التجسيم والتشبيه، ويعتبرون هؤلاء الحنابلة حشوئه مشبّهة. وأقوالهم منتشرة بين أغلبية المسلمين، كما أشار صاحب الرد في مقدمته، فهي تتوافق مع أقوال الأشاعرة والماتريدية والمعتلة والشيعة في كثير من الجوانب.

والحنابلة يحاولون من خلال منشوراتهم تشويه هذا الاتجاه وتحريض المسلمين عليه، والحق أنَّ حربهم على هذا الاتجاه - في حقيقتها - هي حرب على أهل السنة.

وقد تصدَّى الدارمي للمعارض المتبَّنِ لخطِّ المرىسي بسرد عشرات الروايات التي تتعلق برأيَّه الله وتتكليمه يوم القيمة، من قبل المؤمنين دون ترجمان. وروايات العرش، وغيرها من الروايات التي يعتمد عليها الحنابلة عادة في مواجهة خصومهم.

ووضع باباً تحت عنوان: (الإيمان بأسماء الله وأنَّها غير مخلوقة)، رفض فيه بقوَّة فكره تأويل أسماء الله، التي نسبها للمعارض.

وقال: (من ادعى أنَّ صفة من صفات الله تعالى مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر).

ووضع باباً عنوانه: (ادعاء المعارض أنَّ الله لا يُدرِك بالحواس الخمس).

وباب تحت عنوان (التزول) قال فيه: (إنَّ المعارض أنكر

ص: ٦٦

حديث التزول، وادعى أنَّ الله لا ينزل بنفسه، وإنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش بكلٍّ مكان من غير زوال). وكان ردُّه هو: (وهذا من حُجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولالمذهب برهان؛ لأنَّ أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان).

وكلامه هذا إشارة واضحة للتجمسيم، وأنَّ الله تعالى ينزل بجسمه من السماء.

واستنكر تأويل المعارض لصفات الله على تفسير بشر المربي.

وقال في باب الحدّ والعرش: (وادعى المعارض أنَّه ليس الله حدّ ولا غاية ولا نهاية، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه (جهم) جميع ضلالاته، واشتق منها أغلوطاته).

وهذه إشارة أيضاً إلى التجمسيم؛ حيث يؤكّد تبنيه فكرة الحدّ لله تعالى.

ونقل قول عبد الله بن المبارك: (من ادعى أنَّه ليس الله حدّ فقد ردَ القرآن، ومن لا يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آياته).

وقال: (وقد اتفقت الكلمة، من المسلمين والكافرين، أنَّ الله في السماء وحدوده بذلك، إلَّا المربي الصالّ وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحدث قد عرفوه بذلك).

وفي رسالة للدارقطني، المتوفى عام ٣٨٥ هـ، تحت عنوان (الصفات)، روى في باب ما جاء في القدمين رواية تقول:

ص: ٦٧

(يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله رجله أو قدمه فيها فتقول -أى النار-: قط فقط.

وروى فيما جاء في اليدين الروايات التالية:

(عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان).

(أول ما خلق القلم فأخذه بيده اليمنى).

(كتب بيده على نفسه أن رحمتي سبقت غضبي).

(إنَّ الله يبسط يده).

وما جاء في الأصاغر روى:

(يحمل الخلائق على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والشري على إصبع، والخلائق كلّها على إصبع).

وروى بالإضافة إلى ذلك:

(ضحك الله .. ويتجلى ربنا ضاحكاً).

(الكرسي له أطياف كأطياف الرحل بالراكب، أو الرحل الجديد، إذا ركب من ثقله).

(خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً).

ونقل قول وكيع: (من رأيتمه ينكر هذه الأحاديث فاحسبوه، مع الجهمية).

وقول الزهري: (سلمو للسنة ولا تعارضوها) [\(١\)](#)

وهذه الرسالة التي نشرها الوهابيون مؤخراً إنما تبنّوها لما فيها من روايات تدعم مذهبهم التجسيمي الذي يتبنّونه، إلا أنَّ فقهاء أهل

السنة وإن كانوا لم يرفضوا هذه الروايات، إلا

١- انظر حديث رقم ٢، ١٣، ١٤، ١٩، ١٦، ٢١، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٧، ٦٠ و ٦٨.

ص: ٦٨

أنهم قاموا بتأويلها على وجه المجاز؛ الأمر الذي يرفضه الوهابيون، سيراً مع نهج إمامهم ابن تيمية؛ مما يؤكّد تبّعهم للتجسيم، ومخالفتهم عقائد أهل السنة.

ونشر الوهابيون رسالة في (الاستواء والفوقية والحرف والصوت) لأبي محمد الجوني، المتوفى عام ٤٣٨هـ. يقول الجوني في رسالته:

(إِنِّي كُنْتُ بُرْهَةً مِنَ الزَّمْنِ مُتَحِيرًا فِي ثَلَاثَ مَسَائلٍ:

مَسَأَلَةُ الصَّفَاتِ.

وَمَسَأَلَةُ الْفَوْقَيَّةِ.

وَمَسَأَلَةُ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ).

وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمارتها والوقف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل؛ فأجد نصوص في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ناطقة مُبَيِّنةً بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت، ثم أجده المتأخرين من المتكلمين في كلامهم منهم من تأول الاستواء بالقهر والاستيلاء، وتأول التزول بنزول الأمر، وتأول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، وتأول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك .. ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات، بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

٦٩:

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَبَعْضُهَا قَوْمٌ لَهُمْ فِي صَدْرِي مُتَزَلَّهُ، وَلَيْ فِيهِمُ الاعْتِقَادُ التَّامُ لِفَضْلِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، ثُمَّ إِنَّنِي مَعَ ذَلِكَ أَجَدُ فِي قَلْبِي مِنْ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ حَزاْنَاتٌ لَا يَطْمَئِنُ قَلْبِي إِلَيْهَا، وَأَجَدُ الْكَدْرَ وَالظَّلْمَةَ مِنْهَا، وَأَجَدُ ضَيْقَ الصَّدْرِ وَعَدْمَ انْشِراحِهِ مَقْرُونًا بِهَا، فَكُنْتُ كَالْمُتَحَيَّرِ الْمُضْطَرِبِ فِي تَحْيِرٍ، الْمُتَمَلِّمِلِ مِنْ قَلْبِهِ فِي تَقْلِيْبِهِ وَتَغْيِيرِهِ.

وكلت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول؛ مخافة الحصر والتشبيه. ومع ذلك، فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله (ص)، أجدها نصوصاً تُشير إلى حقائق هذه المعانى، وأجد الرسول قد صرّح بها مُخبراً عن ربها، واصفاً بها، وأعلم بالاضطرار أنه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل، والزكي والبليد والأعرابي والجاف، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربها بها، لا نصاً ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها، ويتروّلها كما تأولها هؤلاء مشائخ الفقهاء المتكلمين، ولم أجده عنه (ص) أنه كان يحدّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفتة لديه، من الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدلّ على أنَّ لهذه الصفات معانٌ أخرى باطنية غير ما يظهر من مدلولها، مثل فرقية المرتبة، ويد النعمة والقدرة، وغير ذلك ..

وأجد الله عزّ وجلّ يقول:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

يَخْافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فُوقِهِمْ

٧٠

إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
أَمَّنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَااءِ

ثُمَّ أَجَدَ الرَّسُولُ (ص) لِمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْصُّهُ بِقُرْبَهُ، عَرَجَ بِهِ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

وفي الحديث الصحيح للجارية التي سألها الرسول أين الله؟!

فقالت: في السماء، فلم ينكر عليها بحضوره الصحابة، وقال: (أعتقها، فإنّها مؤمنة).

وَحَدِيثٌ: (إِنَّ اللَّهَ فُوقَ عَرْسَهُ، فُوقَ سَمَاوَاتِهِ، فُوقَ أَرْضِهِ مِثْلُ الْقَبْيَةِ، وَأَشَارَ النَّبِيُّ بِيَدِهِ مِثْلُ الْقَبْيَةِ).

و الحديث: (ارحموا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ).

قال: (إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل، وحمامة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تشرح له؛ فإن التحرير تأباه العقول الصحيحة، مثل تحرير الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وغى، مع كون أنَّ الربَّ تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لتعريفه بها. فوقوفنا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلَّا لثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذلك. وكذلك التشبيه والتمثيل حمامقة وجهالة).

ص: ٧١

ثم قال عن مسألة الحرف والصوت: (والتحقيق هو أنَّ الله تعالى قد تكلَّم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإِنَّه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، ولا يُنفي الحرف ولا الصوت عن كلامه سبحانه؛ لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنَّهما من جانب الله تعالى لا يفتقران إلى ذلك) [\(١\)](#)

وعلى الرغم من ذكر المؤلَّف أنَّ مسألة الحرف والصوت في القرآن، لا نجد أثراً للنصوص القرآنية حول هذه المسألة في رسالته! وما يمكن قوله حول هذه الرسالة: هو أنَّ أصحابها يبدو أنَّه واحد من الحنابلة المتخلفين في زَي الشافعية الأشعريَّة، الذي يريد أن يصوَر لنا مدى التيَّة والحيرة التي عاشها مع أهل التأویل، وكيف أنَّ الله لطف به وكشف له عن وجه الحق، كشفاً اطمئنَ إليه خاطره وسكن به سرَّه، حسب تعبيره، فاتَّجه نحو مذهب الحق، مذهب الحنابلة المجمَّسين والمشبهين.

وكيف له أن يُشْتَى على شيوخه ومن تلمذ على أيديهم بقوله: (لهم في صدرى منزلة، ولى فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم)، ثم يأتي ويَتَهمُهم بالحق والجهالة؟! أليس هذه هي لغة الحنابلة المتعصِّبين؟!

١٩- ص ٢ و ما بعدها وص ١٩.

ص: ٧٢

والمحتمل في هذه الرسالة يجد أنَّ كاتبها لم يأتِ بشيءٍ جديد؛ فهو ردُّ الروايات التي يستند إليها الحنابلة، وقال بمقالاتهم واستخدم لغتهم، وهذا وحده لا يكفي مَن هو على قدره من العلم الذي استفاده من هؤلاء الذين يعظّمهم، ليخرجه من الحيرة والاضطراب، من اختلاف المذاهب والأقوال التي عاشها وعبر عنها.

وهذا دليل آخر على كونه من الحنابلة المتأمرين على أهل العقل والتأويل.

وحوت (رسالة الأربعين في دلائل التوحيد) لعبد الله الهرمي، المتوفى عام ٤٨١هـ، الأبواب التالية:

- * باب في إيجاب قبول صفات الله من كافة الخلق.

- * باب في الرد على من رأى كتمان أحاديث صفات الله.

- * باب في بيان أنَّ الله شيء.

- * باب في بيان أنَّ الله شخص.

- * باب في بيان إثبات النفس لله.

- * باب في الدليل على أنَّ الله في السماء.

- * باب في الدليل على أنَّ الله على العرش.

- * باب في وضع الله قدَّمه على الكرسي.

- * باب في إثبات الحد لله.

- * باب في إثبات الجهة لله.

- * باب في إثبات الوجه.

- * باب في إثبات الصورة.

ص: ٧٣

- * باب في إثبات العينين.
- * باب في إثبات اليدين.
- * باب في إثبات الخط الله.
- * باب في الأصابع.
- * باب في إثبات الضحك.
- * باب في إثبات القدم.
- * باب في الدليل على أنَّ القَدَم هى الرجل.
- * باب في الهرولة لله.
- * باب في إثبات نزوله إلى السماء الدنيا.
- * باب في رؤية النبي ربَّ ليلة المراجعة عينيه رؤية اليقظة.
- * باب في رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيمة عياناً.

وفي منشور آخر باسم (الحجَّة في بيان المحاجَة) لأبي القاسم الأصبهاني، المتوفى عام ٥٣٥هـ، وضع فصل تحت عنوان: (في ذكر من عاب الكلام وذمه من الأئمَّة). ونقل قول مالك: إياكم والبدع.
فقيل: وما البدع؟

قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكنون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وقول مالك هذا يعدّ حجَّة على الحنابلة والوهابيين، الذين خاضوا في أسماء الله وصفاته، وأشعلوا الحروب والمعارك

ص: ٧٤

بسبيها، بل وكفروا خصومهم على أساسها.

ووضع الأصحابي فصلاً في إثبات الرؤية.

وفصلاً آخر في إثبات اليد والوجه لله تعالى.

وفصلاً في التغليظ في معارضه الحديث بالرأى والمعقول.

وفصلاً في ذكر النظر في الحديث والأثر، وما فيه من الخير والبركة.

ثم قال: (وما نعتقد أنَّ الله (عز وجل) عرشاً، وهو على العرش، والعرش مخلوق من ياقوت أحمر. ومن قال العرش ملك، أو الكرسي ليس بالكرسي الذي يعرفه الناس، فهو مبتدع).

ووضع فصلاً في بيان أنَّ الله يكلِّم عباده المؤمنين يوم القيمة.

وفصلاً في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله حسب تصوُّر الحنابلة، وسموا أهل السنّة مشبهة.

واستعرض رواية: خلق الله آدم على صورته ..

ورواية: نزول الله ..

ورواية: قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن.

وقال: (إنَّ الذين نفوا الصفات، أبطلوا ما أثبته الله تعالى، وإنَّ الذين تأوَّلوا خلاف الظاهر، خرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبُّه).

وختم كتابه بالفصل التالي:

* فصل في أنَّ أهل الكلام ليسوا من العلماء.

ص: ٧٥

* فصل في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدهم والاستماع إليهم.

* فصل في اجتناب البدع والأهواء.

ونشر الوهابيون رسالة تحت عنوان: (الفتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد) لأبي العلاء الهمذاني، المتوفى عام ٥٦٩هـ.

قال الهمذاني في مقدّمه: (وإنما الشكوى إلى الله تعالى من قومٍ إلى مذهب أحمد ينتمون، وبالسنّة يتّسّمون، ويدعون التمسّك بقوله وفعله، ويقرّون بفضله ونبله، وهم مع ذلك يُخالفون نصوصه، ويطرحون عمومه وخصوصه، وجميع ما يرد عليهم من السنّة الثابتة ينفرون وينجذبون منه، ويسلطون على ما جاء في الصفات والأخبار والآيات ما سلطه المتكلّمون من التأويل، ويسلكون فيه مسالك أهل الإلحاد والتعطيل).

فمن ذلك أنّهم قالوا: إنَّ هذه الأحاديث الواردة في الصفات، جميعها، إنّما رواها حماد بن سلمة، وكان يُلقّيها إليه شيطان ليُضلّ بها أهل الحق، وما صحّ منها من أخبار فهو أخبار آحاد، لا يوجب العمل ولا يصحّ الاحتجاج به.

وإذا أريناهم كلام السلف عليها قالوا هذا مذهب أهل الحديث، ولا يلزم الفقهاء الأخذ به، وما سمعوه من أحاديث الصفات، تأوّله وصرفوه عن حقيقته أو ردّوه.

ومن ذلك أنّهم ينكرون إطلاق القول بأنَّ الله تعالى في السماء.

وينكرون القول بأنَّ الله سبحانه في جهة العلو.

ص: ٧٦

وعرضنا عليهم كتب السنة، ككتاب التوحيد لابن منده، والحجّة لأبي الفضل، فقالوا هذه صحف لا تنطق.
وكثير من أصحابنا يخالط أرباب الكلام والجدال، وينقل عنهم فطيع الأقوال).

وفي رسالة (إثبات صفة العلو) قام ابن قدامة المقدسي، المتوفى عام ٦٢٠ هـ، بترتيب أبوابها كما يلى:

- * باب ذكر الأحاديث الصريحة في أنَّ الله تعالى في السماء.

- * باب ذكر الأخبار الواردة بأنَّ الله تعالى فوق عرشه.

- * فصل في أقوال الصحابة في أنَّ الله في السماء.

وروى ما يلى:

(إنَّ الله خلق سموات سبع، فاختار العلية فسكنها. ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسة سُنَّة، وبين الكرسي والماء خمسة سُنَّة، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش).

من أنكر أنَّ الله في السماء فقد كفر.

قلت لابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟

قال: في السماء السابعة.

قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات، الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز.

وفي كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة

ص: ٧٧

والجهمية) قال ابن القيم:

وقوله تعالى (ثُمَّ استوى على العرش) يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية، الذين يقولون ليس على العرش شيء، وإنَّ الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا ينزل من عنده جبريل، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصوات إلى فوق).

ونقل قول ابن تيمية: (وهذا كتاب الله من أُولاه إلى آخره، وسنته رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأنبياء، مملوء مما هو نص أو ظاهر في أنَّ الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنَّه فوق العرش فوق السموات السبع، مستوٍ على عرشه).

وروى عن الرسول (ص) قوله: (إنَّه لفوق سمائه على عرشه، وإنَّه لهكذا، وإنَّه ليئنْ به أطيط الرحيل بالراكب) (١)

وقال تحت عنوان: (باب ردِّ ادعائهم المجاز في الاستواء): (أما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل (استوى) استوياً، فلا معنى له، ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته حتى تتفق الأُمية أنه أُريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدعٍ، ما ثبت شيء من العبادات).

ونقل قول مالك القيرواني في رسالته: (وأنَّه فوق عرشه

ص: ٧٨

المجيد بذاته). وذكر في كتابه (المفرد في السنة): (تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير، وأن الله كلام موسى بذاته وأسمعه كلامه، وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه).

وقول القاضي عبد الوهاب، إمام المالكية بالعراق: بأن الله سبحانه استوى على عرشه بذاته. ونقل ابن تيمية عنه هذا القول في غير موضع من كتبه، ثم قال معلقاً: (وكل ما قدّمت .. دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء).

وجعل ابن القيم فصلاً في بيان أنَّ العرش فوق السموات، وأنَّ الله سبحانه وتعالى فوق العرش، وذكر أنَّ أبا الحسين العمراني، صاحب البيان، له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث، صرَّح فيه بمسألة الفوقيَّة والعلو والاستواء حقيقة، وتكلَّم الله بهذا القرآن العربي المسموع بالأذان حقيقة.

وقال إنَّ الله سبحانه له قدماً؛ لقول النبي (ص) حتى يضع رب العزة فيها قدمه، وأنَّه يضحك ويهبط إلى سماء الدنيا، وأنَّ له إصبعاً واحداً في نهاية كتابه بأقوال الشعراء والجن وحمر الوحش.

وختم كتابه برواية عن عبد الله بن وهب تقول: (أكرموا البقر؛ فإنَّها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ أنْ عبد العجل؛

ص: ٧٩

حياةً من الله عزّ وجلّ) (١)

ومن بين المنشورات البارزة التي تؤكّد التجسيم، والتي باركها الوهابيون، نُوبئه ابن القيم، المسماة بـ(الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، وهي قصيدة موجّهة للجهمية وأنصار التأويل والمجاز، ويدعو فيها للتجسيم صراحة.

وقام واحد من الوهابيين بشرحها تحت عنوان (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد)، وهو أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام ١٣٢٩هـ.

قال الشارح في مقدّمه: (المنظومة المشهورة في الطريقة السنّية والعقيدة الحنفية، المسماة بالكافية الشافية، لم ينسج على منوالها، ولم تسمع الدهور بشكلها وأمثالها، وموضوعها المحاكمة بين الطائفتين، وإثبات صفات الباري على رغم كلّ مخالف).

ومن بين أبيات هذه المنظومة:

بل عطّلوا منه السموات العُلى والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام رب جلاله وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا بصير ولا وجه فكيف يدان
وكذاك ليس لربنا من قدر وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به ذات مجردة بغير معان

وحياته هي نفسه وكلامه هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ما له من خلقه أحد يكون خليله النفسان
وخليله المحتاج عندهم وفي ذا الوصف يدخل عابد الأوثان

- صص ١١٢ و ٢٠٩ و ما بعدها ..

ص: ٨٠

لأجل ذا ضحى بجعد خالد القسرى يوم ذبائح القرابان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الدان
شكر الضحى كل صاحب سنه الله در من أخي قربان
وقضى بأن الله ليس بفاعل فعل يقوم بلا برهان
بل فعله المفعول خارج ذاته كالوصف غير الذات فى الم
ولنا الأئمة كالفلسفه الأولى لم يعيثوا أصلًا بذى الأديان
ما فيهم من قال إن الله فوق العرش خارج هذه الأكونان
أما الذى قال إن كلامه ذو أحرف قد رُتّبت ببيان
وكلامه بمثيئه وإراده كالفعل منه كلامها سيان
فهو الذى قد قال قولًا يعلم العقلاه صحته بلا نكران
ولأى شيء دائمًا كفرتم أصحاب هذا القول بالعدوان
لا تنصرن سوى الحديث وأهله هم عسکر القرآن والإيمان
هذا وأصل بلية الإسلام من تأويل ذى التحريف والبطلان
هذا الذى فرق السبعين بل زادت ثلاثة قول ذى البرهان [\(2\)](#)
وتبدو من خلال هذه الآيات فكرة التجسيم بوضوح.

ومن الطريف أنَّ ابن القيم الذى أنكر المجاز، سيرًا على سُنَّة إمامه ابن تيمية، واعتبره طاغوتاً، وقع فى المجاز وقال به: حين أطلق على كتبه أسماءً مجازية (٢)

- صص ٥٠ و ١١٠ و ٢٤٢ وما بعدها ..

٢- مثل: كتابه الصواعق المرسلة، الذى جعل فيه فصلاً عنوانه فى كسر الطاغوت الثالث الذى وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز. وتأمل نسبة المجاز للجهمية مع كونه من حقائق اللغة وثوابتها، وهو ما يشير إلى تخطيط ابن القتيم، كما هو حال إمامه.

ص: ٨١

وقد تصدّى للرد على ابن القيم في قضيّته التجسيمية هذه العديد من الفقهاء، على مستوى الماضي والحاضر [\(١\)](#)

أقوال ابن تيمية

وتبنّى الوهابيون تراث ابن تيمية بالكامل، واعتبروه الفقيه الأوحد، وممثّل السلف والناطق الشرعي بلسانهم. وهذه أكذوبة من أكاذيب الوهابية التي خدعوا بها المسلمين، فلم يكن ابن تيمية ممثّلاً للسلف ولا ناطقاً بلسانهم، ولم يكن سوى واحد من الفقهاء الشاذين عن الإجماع وعقيدة الأمة.

أما مخالفته الإجماع، فيتمثل في العديد من القضايا والمسائل الشاذة التي قال بها وتبناها. وأما شذوذه عن عقيدة الأمة، فيتمثل في تبنيه عقيدة التشبيه والتجمسي، وهو محور حديثنا هنا.

وتبنّى الوهابيون لتراث ابن تيمية، يعني تبئيرهم لقضية التشبيه والتجمسي، التي طرحتها خلال العديد من رسائله وأقواله وفتاويه. والمسائل العقائدية التي شدّ بها ابن تيمية، وأدت إلى صدام الفقهاء معه وإعلان الحرب عليه، وصدرت شتى الأحكام عليه، تتركّز فيما يلي:

١- انظر: السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ابن القيم للسبكي، تحقيق: زاهر الكوثري.

ص: ٨٢

- * قوله بالجسمية والجهة والانتقال لله تعالى.
- * قوله إنَّ الله يتَكَلَّم بصوت وحرف.
- * قوله الله بَقَدْر العرش.
- * قوله بإنكار المجاز.
- * قوله إنَّ الله سبحانه محلَّ الحوادث.
- * قوله بفناء النار.

قال الحافظ ولئ الدين العراقي: (وأما الشيخ تقى الدين ابن تيمية، كما قيل، علمه أكثر من عقله، فأدَاه اجتهاده إلى خرق الإجماع في مسائل كثيرة، قيل إنَّها تبلغ ستين مسألة، فأخذته الألسنة بسبب ذلك، وتطرق إليه اللوم، وامتنع لها هذا السبب، وأسرع علماء عصره في الرد عليه وتحخطته وتبديعه، ومات مسجوناً بسبب ذلك) [\(١\)](#)

وقال ابن حجر الهيثمي: (ابن تيمية عبدُ خذله الله تعالى وأصله وأعماه وأصمَّه وأذله، بذلك صرَح الأئمَّة الذين يبنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العزَّ بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية.

ولم يقصر اعترافه على متأخِّر الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب. والحال أنَّ لا

١- انظر: الأوجبة المرضية عن الأسئلة المكَيَّة.

ص: ٨٣

يُقام لكلامه وزن، بل يُرمى في كل وعر، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالٌّ ومضلٌّ، جاهل غال، أجارنا الله من مثل طريقته وعقيدته [\(١\)](#) وقال الذهبي: (وقد رأيت ما آل إليه أمره من الحط عليه، والهجر والتضليل والتكفير، والتکذيب بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة الفلسفية - منوراً ماضياً، على محياه سيماء السلف، ثم صار مظلماً مكشوفاً، عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه).

يا رجل قد بلعت سموات الفلسفة ومصنفاتهم مرّات، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار) [\(٢\)](#)

وكان ابن تيمية قد أنكر المجاز، وسار على قوله تلميذه ابن القيم، وكلاهما أسرفا وبالغا في استخدام لغة الحقيقة، حتى وقع في التجسيم.

يقول منصور عويس: (إن إنكار ابن تيمية للمجاز تقويه أنه مشبه، وإن ادعى التنزية، ومجسم، وإن ادعى التقديس، لأن مفهوم مذهب السلف عند غيره لم يمنع التأويل الإجمالي، وإن سكت عن التأويل التفصيلي، أو بعبارة أخرى، أن غيره منع إسناد الظاهر الموهمن للتشبيه، ثم فوض المعنى إلى الله تعالى).

١- انظر: الفتوى الحديبية، ص ٨٥ وما بعدها ..

٢- انظر: رسالته لابن تيمية في الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ للسحاوي. والذهبی كان من تلاميذ ابن تيمية.

ص: ٨٤

ثُمَّ إِنَّ هُؤُلَاءِ الْمُتَّمَسِّحِينَ فِي السَّلَفِ مُتَنَاقِضُونَ؛ لَاَنَّهُمْ يُبَيِّنُونَ تِلْكَ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَلَا رِيبٌ أَنَّ حَقَائِقَهَا تَسْتَلزمُ الْحَدُوثَ وَأَعْرَاضَ الْحَدُوثِ، كَالْجَسْمِيَّةِ وَالتَّجزِّيَّةِ وَالْحَرْكَةِ وَالْاِنْتِقَالِ.

وَلَوْ أَنْصَفَ هُؤُلَاءِ، لَسَكَتُوا عَنِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَأَكْتَفُوا بِتَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا تَوَهَّمُهُ ظَاهِرُهَا مِنَ الْحَدُوثِ وَلَوْازِمِهِ، ثُمَّ فَوَّضُوا الْأَمْرَ فِي تَبْيَنِ مَعْنَيِّهَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَبِذَلِكَ يَكُونُونَ سَلْفَيِّينَ حَقًّا. لَكِنَّهَا شَبَهَاتٌ عُرِضَتْ لَهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَشَوَّشَتْ حَالَهُمْ، وَبَلَّبَلَتْ أَفْكَارَهُمْ) [\(١\)](#)

وَهَذَا الْكَلَامُ يَقْصُدُ بِهِ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ ابْنُ تِيمَيَّةَ، وَالْوَهَابِيُّونَ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى سُنْنَتِهِ، التَّرَمَوْا بِعَقِيْدَةِ السَّلَفِ، لَأَغْنَوْا أَنْفُسَهُمْ عَنِ هَذَا التَّيْهِ وَالْبَلَبَلَةِ وَالْتَّلَبِيسِ، الَّذِي أَلْحَقَ الضرَرَ بِعُقُولِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّقَ صَفَوفَهُمْ.

وَقَالَ الْكَوْثَرِيُّ: (وَالْحَاصلُ أَنَّ التَّفْوِيقَ مَعَ التَّنْزِيهِ مِذَهَبُ جَمِيعِ السَّلَفِ، لِانْتِفَاءِ الْمُسْتَرِّةِ فِي عَهْدِهِمْ، وَالْتَّأْوِيلُ مَعَ التَّنْزِيهِ مِذَهَبُ جَمِيعِ الْخَلْفِ)، حِيثُ عَنِّي لَهُمْ ضَرُورَةُ التَّأْوِيلِ؛ لِكَثْرَةِ السَّاعِينَ فِي الإِضَالَلِ فِي زَمْنِهِمْ.

وَلَيْسَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلَافٌ حَقِيقِيٌّ؛ لَاَنَّ كُلَّهُمَا مُنْزَهٌ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ تَوَسَّطَ بَيْنَ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ.

وَأَمَّا الْمُشَبِّهُ، فَرَاهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ لَا نَؤْوِلُ، بَلْ نَحْمِلُ آيَاتِ الصَّفَاتِ وَأَخْبَارَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا

١- انظر: ابن تيمية ليس سلفياً، الفصل الرابع، صص ٤٢ و ٥٨ و ٥٩.

ص: ٨٥

غير متبهين إلى أن استعمال اللفظ في الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله في الخلق تشبيه صريح، وحمله على معنى سواه تأويل. على أن الأخبار المحتاج بها في الصفات إنما هي في الصاحح المشاهير دون الوحدان والمفاريد والمناكر، والمنقطعات والضعاف وال الموضوعات. مع أنهم يسوقونها جميعها في مساق واحد، في كتب يسمونها: التوحيد، أو الصفات، أو السنة، أو العلو، ونحوها ..) (١)

ويعد ابن تيمية وأتباعه من الفريق الثالث، فريق المشبهة والمجسمة.

وأشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى أن ابن تيمية، في تصويره لمذهب السلف، يقول بظاهر النصوص القرآنية، وأن تصويره فيه نظر. ثم استعرض كلام ابن تيمية: ليس في كتاب الله ولا في سنة، ولا عن أحد من سلف الأمة، ولا من الصحابة والتبعين، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمان الأهواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك، ولا نصاً ظاهراً، ولم يقل أحد منهم إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العلم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسينية إليه بالأصابع ونحوها.

١- انظر: مقدمة السيف الصقيل.

ص: ٨٦

وقال معلقاً: (وعلى ذلك يقرر ابن تيمية أنَّ مذهب السلف هو إثبات كل ما جاء في القرآن، من فوقيَّة وتحتية واستواء على العرش، ووجه ويد ومحبَّة وبغض، وما جاء في السنة من ذلك أيضاً، من غير تأويل، وبالظاهر الحرف).

فهل هذا هو مذهب السلف حقاً؟) [\(١\)](#)

ونقول في الإجابة عن ذلك: لقد سبقه بهذا الحنابلة في القرن الرابع الهجري، وأدَّعوا أنَّ ذلك مذهب السلف، وناقشهم العلماء في ذلك الوقت، وأثبتوا أنَّه يؤدِّي إلى التشبيه والجسمية لا محالة.

وكيف لا يؤدِّي إليهما والإشارة الحسيَّة إليه جائزة؟! ولذلك تصدَّى لهم الإمام الفقيه الخطيب الحنبلي ابن الجوزي، ونفي أن يكون ذلك مذهب السلف، ونفي أن يكون ذلك مذهب الإمام أحمد [\(٢\)](#)

قال ابن تيمية: (وأمَّا التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحرير والبدع، الذين يتأنَّلونه ويُدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله، بغير دليل يوجب ذلك، ويُدعون أنَّ في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معانٍ هي نظير المعانٍ التي نفوه عنها، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإنْ كان الثابت حقاً ممكناً، كان المنفي مثله، وإنْ كان المنفي باطلًا ممتنعاً، كان

١- انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية.

٢- انظر: دفع شبه التشبيه.

ص: ٨٧

الثابت مثله.

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً، ويحتجّون بقوله تعالى (وما يعلم تأويلا إِلَّا الله)، قد يظنون إنّا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يُفهم منه شيء، وهذا مع أنه باطل، فهو متناقض) [\(١\)](#)

ويقول منصور عويس: (وابن تيمية قد خالف غيره في تصوير مذهب السلف، حيث قال بظاهر النصوص، ثم تناقض مع نفسه فقال: (وإجراؤها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها). أمّا غيره فقال: إنَّ الظاهر الموهم للتشبيه غير مراده، ثم تفويض المعنى بعد ذلك إلى الله تعالى).

وابن تيمية يعارض اتجاه التأويل - بحسب طريقته هو؛ وذلك أنه ينفي أن يكون في ظاهر اللفظ محذوراً، كما يعارض اتجاه التفويض لله تعالى، من حيث تحديد المعنى الخاص بالنص - بحسب طريقته أيضاً؛ وذلك أنه ينفي أن يكون في القرآن مالا يفهمه أحد).

وقال: (فابن تيمية، باعتبار تصويره لمذهب السلف، يعتبر غير سلفي، باعتبار فهم غيره في تصوير مذهب السلف). وعلى كلٍّ، فهل ابن تيمية التزم المنهج الذي حدّده في تصويره مذهب السلف، حتى يمكن القول بأنه سلفي متناسق الرأي، أم أنه حائد عن مذهب السلف، سواء كان بالنسبة لتصويره هو، أو تصوير غيره لمذهب السلف؟!

١- انظر: الرسالة التدميرية ونقض التدميرية لسعيد فوده.

ص: ٨٨

والواقع أنَّ ابن تيمية ليس سلفياً في كلا الأمرين، والتطبيق العملي لكلامه يؤكّد ذلك ^(١)
ومجموع فتاوى ابن تيمية التي وصلت إلى سبع وثلاثين مجلداً تم طبعها من قبل الوهابيين، وعلى نفقة خادم الحرمين، ووزّعت مجاناً
على العديد من المؤسّسات والرموز الإسلامية، وتحمّست لنشرها، بدعم من الوهابيين، العديد من دور النشر السلفية، التي تسير في
ركاب الوهابيين.

وقد حوت هذه الفتاوى العديد من النصوص التي تؤكّد التجسيم والتشبيه، وإثبات الجهة والتحيز لله سبحانه، وقيام الحوادث به، تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً.

قال ابن تيمية في الفتاوى: (ولأنريد بالتحيز أن يكون قد أحاط به، بل نريد بالتحيز الذي في الجهة أن يكون بحيث يُشار إليه بالحسن، إنَّه هاهنا أو هناك. ولاريب أنَّ ما كان فوق العالم، فلا بد أن يُشار إليه بأنَّه هناك، وهذا هو القول بالتحيز والجهة عندنا) ^(٢)
وقال: (وليس في شيء من ذلك - أي في الآيات والأحاديث والمأثور - نفي الجهة والتحيز عن الله، ولا وصفه بما يستلزم لزوم ما بيته
بعد ذلك) ^(٣)

وعذَّ الخارجين عن رأيه خارجين عن الدين، وقال: (... إنَّ هذا الكلام ليس من دين الله، ولا من الإيمان، ولا من سبيل

١- ابن تيمية ليس سلفياً، الفصل الثاني، صص ٢٥ و ٢٦.

٢- انظر: الفتاوى، ابن تيمية، ج ٥، ص ٢٦٤.

٣- المرجع السابق، ص ٢٧٨.

ص: ٨٩

المؤمنين، ولامن طاعة الله ورسوله، وإذا كان كذلك، فمن التزم اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدين، وذلك تبديل للدين، كما بدلَه اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمة) [\(١\)](#)

وقال: (يُقال لمن نفى: أتريد بالجهة ما وراء العلم؟
فلا ريب أنَّ الله فوق العالم، مُبَيِّنًا لمخلوقاته.
وكذلك يُقال لمن قال (الله في جهة): أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم ..
أو تريده أنَّ الله داخل في كل شيء من المخلوقات؟
فإنْ أردت الأولى فهو حق.

وإنْ أردت الثانية فهو باطل) [\(٢\)](#)

وقال: (فهذا كله وما أشبهه، شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به، فقد كفر بتنزيل الله وتجدد آياته) [\(٣\)](#)
وقال: (من زعم أنَّ الرحمن على العرش استوى خلاف ما يقرُّ في نفوس العامة، فهو جهنمي، فإنَّ الذي أقرَّه الله تعالى وفطر عباده
وجلَّهم عليه، أنَّ ربَّهم فوق سماواته) [\(٤\)](#)

وقال: (ولو قد شاء - أي الله سبحانه لاستقرَّ على ظهر بعوضه، فاستقلَّت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من
السموات والأرض؟!) [\(٥\)](#)

١- المرجع السابق، ص ١٨.

٢- المرجع السابق.

٣- المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٢؛ وانظر: الرسالة التدميرية، فصل تنازع الناس في الجهة والتحيز؛ وانظر أيضًا: رسالة في نفي الجهة
للكلابي.

٤- المرجع السابق، ج ٥، ص ١٢٧.

٥- المرجع السابق، ج ٥، ص ١٢٧.

ص: ٩٠

وقال: (الكلام في وصف الله بالجسم نفياً وإثباتاً بدعة، لم يقل بها أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ إنَّ الله ليس بجسم، كما لم يقولوا إنَّ الله جسم) [\(١\)](#)

وقال: (وأَمَّا قُولُكَ لِيْسَ مَرْكَبًا، فَإِنَّ أَرَدْتَ بِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَكْبَهُ مَرْكَبٌ، وَكَانَ مُتَفَرِّقًا فَنَرَكْبٌ، وَأَنَّهُ يَجُبُ تَفْرِقَهُ وَانْفَصَالَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُتَنَزِّهٌ عَنِ ذَلِكَ) [\(٢\)](#)

وقال منصور عويس معلقاً: فمن هذا النص نرى أنَّ ما ينفيه في التركيب بالنسبة لله تعالى ليس ذات التركيب، وإنما ينفي أن يرتكب مركب، كما ينفي أنَّه كان متفرقاً فنركب. فمعنى هذا أنَّ ما يثبته هو التركيب الذي لم يسبق تفرقه، كما يشير النص إلى أنَّه لا يمكن تفرقه وانفصاله [\(٣\)](#)

ونقل كلام أبو بكر بن الخلال: (إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَمَّنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ.
قال: بَلِيْ، تَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كَمَا جَاءَتْ نَرَوِيهَا، لِكُلِّ حَدِيثٍ وَجَهَةٍ) [\(٤\)](#)

وروى عن المروزي، قال: (سمعت أبا عبد الله وقيل له: إنَّ عبد الوهاب قد تكلَّمَ وقال: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى بِلَا صَوْتٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، عَدُوُ اللَّهِ وَعَدُوُ الْإِسْلَامِ).

١- المرجع السابق، ج ٥، ص ١٩٢.

٢- انظر: بيان تلبيس الجهمية، ج ١، ص ٢٦٨.

٣- ابن تيمية ليس سلفياً.

٤- موافقة صحيح المنقول، ج ٢، ص ٢٩. وقد ردَّ الذهبي كلام ابن تيمية هذا في سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٩٧.

ص: ٩١

فتبيّم أبو عبد الله وقال: (ما أحسن ما قاله، عفاه الله) [\(١\)](#)

وقال ابن تيمية: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِصَوْتٍ، كَمَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَّاحُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَأَصْوَاتِ الْعِبَادِ) [\(٢\)](#)

وقد اعترف الوهابي المصري خليل هراس، أنَّ ابن تيمية يرى أنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِحُرْفٍ وَصَوْتٍ، تَكَلُّمُ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ بِالْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، بِصَوْتِ نَفْسِهِ، كَمَا تَكَلَّمُ بِالْتُّورَاةِ الْعَرَبِيَّةِ كَذَلِكَ) [\(٣\)](#)

وقال الدارقطني: (الصوت ليس بصفة لكلام الله تعالى، وإنما هو صفة للمنادي الذي يأمره الله تعالى بالنداء يوم القيمة، وأنَّ كل ما أُضيف إلى الله تعالى لا يجب أن يكون صفة له، ومن زعم هذا فقد كفر وأشرك) [\(٤\)](#)

ووضع الباقلانى فصلاً تحت عنوان: (الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ اتِّصالَ كَلَامَ اللَّهِ بِالصَّوْتِ) [\(٥\)](#)

وقال ابن تيمية: (والنُّفَاءُ مُتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ ظَواهِرَ النَّصُوصِ تَجَسِّمُ عَنْهُمْ، وَلَيْسَ عَنْهُمْ بِالنَّفْيِ نَصَّ، فَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ قَوْلَهُمْ هُوَ الْبَدْعَةُ، وَقَوْلُ مَنَازِعِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى السُّنَّةِ).

وأَمَّا ذِكْرُ التَّجَسِّيمِ وَذِمَّةِ الْمَجَسَّمَةِ، فَهُوَ لَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِّنَ السَّلْفِ وَالْأَئْمَةِ، كَمَا لَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِهِمْ أَيْضًا الْقَوْلُ

١- الفتاوى، ج ٥، ص ١٢٧.

٢- انظر: شرح الأصفهانية.

٣- انظر: ابن تيمية السلفي.

٤- انظر: موسوعة أقوال الدارقطني، ج ١، ص ٥٠.

٥- انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل للباقلانى: ج ١، ص ١٨٣.

ص: ٩٢

بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي التجسيم) [\(١\)](#)

وقال: (ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا عن أحد من سلف الأئمة، ولا من الصحابة والتابعين، ولا من الأئمة الذين أدركوا زمان الأهواء والاختلاف؛ حرف واحد يخالف ذلك، ولا ناصًا ظاهراً، ولم يقل أحد منهم أن الله ليس في السماء، ولأنه ليس على العرش، ولأنه في كل مكان) [\(٢\)](#)

وقال: (فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنّة، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين) [\(٣\)](#)

ونقل قول عثمان بن سعيد وغيره: (إن الحركة من لوازم الحياة، فكل حي متحرك. وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية، نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبييضهم) [\(٤\)](#)

و حول قيام الحوادث بالله تعالى، قال: (لهذا كان كثير من المسلمين، كالكلابين ومن وافقهم، يقولون بإثبات الصفات للواجب، دون قيام الحوادث به، فإذا لم يكن لكم حجّة على نفي قيام الحوادث به، إلّا ما هو حجّة لكم على نفي الصفات، كانت الأدلة الدالة على بطلان قولكم كثيرة جداً) [\(٥\)](#)

١- انظر: درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لتصريح المعقول: ج ١، ص ٢٤٩.

٢- انظر: الحموي الكبير.

٣- انظر: بيان تلبيس الجهمية أو نقض أساس التقديس، ج ١، ص ١٠٩.

٤- موافقة صحيح المنقول.

٥- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية، ج ١، ص ٣٥٥.

ص: ٩٣

وقال: (المُثبتون السمعيات الكثيرة المتواترة بخلاف النَّفَاءِ، فَإِنَّهُ لِيُسْ مَعْهُمْ شَيْءٌ مِّنْ السَّمْعِ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ قِيامَ الدَّلِيلِ الْعُقْلِيِّ عَلَى امْتِنَاعِ

قيام الحوادث به) [\(١\)](#)

وقال: (وقد احتجَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى امْتِنَاعِ قِيامِ الْحَوَادِثِ بِهِ، بِحُجَّ ضَعِيفَةٍ) [\(٢\)](#)

وقال: (وقالت الطائفه الثالثه ممَّن سلك أُولئك المتكلمين: بل نقول إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمُشَيْتِهِ وَقَدْرِهِ، كَلَامًا قَائِمًا بِذَاتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ، وَإِجْمَاعُ السَّلْفِ وَالْأَئْمَةِ). وإن لزم من ذلك قيام الحوادث به، فلا محذور في ذلك شرعاً ولا عقلاً، بل لازم لجميع طوائف العقلاة، وعليه دَلَّت النصوص الكثيرة، وأقوال السلف والأئمة. ونقول: إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمُشَيْتِهِ وَقَدْرِهِ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ، وَإِنَّهُ

نادي موسى بصوت سمعه موسى، كما دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ النَّصُوصِ وَأَقْوَالِ السَّلْفِ) [\(٣\)](#)

وقال: (فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْفَى قِيامُ الْحَوَادِثِ بِذَاتِهِ؛ لِعَدَمِ مَا يَبْثُتُ ذَلِكَ) [\(٤\)](#)

وقال: (وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَزِلْ مُتَكَلِّمًا بِحَرْوَفٍ مَّتَعَاقِبَةٍ لَا مَجَمِعَةَ، وَهَذَا يَسْتَلِمُ قِيامُ الْحَوَادِثِ بِهِ، فَمَنْ قَالَ بِهَذَا، لَمْ يَكُنْ تَنَاقِضَ

١- المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٨.

٢- المرجع السابق، ج ٤، ص ٥٧.

٣- الفتاوي، ج ٩، ص ٢٨٤، و انظر ج ١٢، ص ٤٤.

٤- درء تعارض العقل والنقل، ج ٤، ص ٦٠.

ص: ٩٤

الكرامية حجّة عليه، ولم يلزم من بطلان قولهم بطلان هذا الأصل) [\(١\)](#)

وقول ابن تيمية بقيام الحوادث بالله تعالى وبذاته قالت به الكرامية، ويظهر أنّه نقله منهم.

وقال: (وتجد كثيراً من متكلّمة أهل الحديث، كأبى الحسن ابن الزاغونى، وأبى بكر ابن العربي، يحكون الإجماع على امتناع قيام الحوادث به، وهذه من جملة الإجماعات التى يطلقها مَنْ يطلقها حسب ما ظنّه) [\(٢\)](#)

وقال: (إنّ كثيراً من نُفاة الصفات، المعتزلة وغيرهم، يجعلون مثل هذا حجّة فى نفي قيام الصفات، أو قيام الحوادث به مطلقاً، وهو غلط منهم) [\(٣\)](#)

واعترف مصنّفوهم أنّه لا يقوم لهم دليل عقلى، بل ولا سمعى، على نفي قيام الحوادث به، إلّا ما ينفي الصفات مطلقاً، وذلك فى غاية السوء) [\(٤\)](#)

وقال فى مواجهة المعارضين:

(ولا أقمت حجّة على استحالة قيام الحوادث ..

بطل الاستدلال على امتناع قيام الحوادث ...

إنّه لا حجّة على امتناع قيام الحوادث بالربّ) [\(٥\)](#)

١- المرجع السابق، ص ١٢٧.

٢- المرجع السابق، ج ٨ ص ٩٨.

٣- منهاج السنة، احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبوالعباس، ج ٢، ص ٢٨١.

٤- المرجع السابق، ص ٣٥٩.

٥- الفتاوى، ج ٥، ص ٢٣٨.

ص: ٩٥

وقال: (إإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دلّ عليه العقل والشرع.
إذا قالوا لنا: هنا يستلزم منه أن تكون الحوادث قامت به ..
قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟!

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته) (١)
أمّا موقف فقهاء أهل السنة مما سبق طرحة من كلام ابن تيمية، فهو ما يلى:

قال القرطبي: (قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .. هذه مسألة الاستواء للعلماء فيها كلام وإجراء، وقد يبينا أقوال العلماء فيها في الكتاب الأنسى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلي)، وذكرنا فيه هناك أربعة عشر قولًا.

والأكثر من المتقدمين والمتاخرين أنه إذا وجب تزييه الباري سبحانه من الجهة والتحيز، فمن ضرورة ذلك ولو احتجه اللازمه عليه، عند عامّة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتاخرين، تزييه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنّه يلزم من ذلك - عندهم - متى اختص بجهة، أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز حرمة والسكنى للمتحيز، والتغيير والحدوث، هذا قول المتكلمين. وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل

١- منهاج السنة، ج ١، ص ٢.

ص: ٩٦

نطقوا هم والكاففة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتبه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف أنَّه استوى على عرشه حقيقة، وخصَّ العرش بذلك لأنَّه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلو كيفية الاستواء، فإنَّه لا يعلم حقيقته.

قال مالك: الاستواء معلوم -يعنى في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة^(١) وقال البيهقي عن العرش والاستواء: (اتفق أقوايل هذا التفسير على أنَّ العرش هو السرير، وأنَّ جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله، وتعبدُهم بتعظيمه والطواف به).

وقال بعض أهل السنة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه الملك والقدرة.
وأما تفسير (استوى) / (علا) فهو صحيح، وهو المذهب الحق، وقول أهل السنة^(٢)

وقال ابن حنبل: (هو العلو والارتفاع)، ولم يزل الله تعالى عاليًا مرتقاً مثل قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالى على كل شيء، وإنما خصَّ العرش؛ لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنَّه على العرش استوى، أى عليه علا، ولا يجوز أن يُقال استوى بمماسة ولا بملاقاة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

١- تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٢١٩، والقرطبي توفى في عام ٥٦٧هـ.

٢- انظر: الأسماء والصفات، ج ٢، ص ٣٧٥، باب ما جاء في العرش والكرسي.

ص: ٩٧

والله تعالى لم يلتحقه تغيير ولا تبدل، ولاتتحققه الحدود، قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش) [\(١\)](#)

وقال الجويني: (إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا - تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَبَطْلٌ قِيَامٌ كَلَامٌ بِجَسْمٍ؛ إِذْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ جَسْمًا. وَخَالِفُ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ طَائِفَةٌ نَبَغَوا مِنْ سَجَستانٍ وَلَقَبُوا بِالْكَرَامِيَّةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْحَوَادِثَ تَطْرَأُ عَلَى ذَاتِ الْبَارِيِّ، تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ، وَهَذَا نَصٌّ مَذْهَبُ الْمَجْوُسِ).
قال الجويني: (والدليل على استحاله قيام الحوادث بذات الباري تعالى، أنها لو قامت به، لم يدخل عندها، وما لم يدخل عن الحوادث حادث) [\(٢\)](#)

وابن تيمية، الذي كانت سنته نسبة خصومه إلى الفرق الضالة والديانات الأخرى، وقع فيما اتهم به الآخرين، وتبني معتقد خصومه، أو خصوم أهل السنة حسب تصوّره؛ تبني القول بفناء النار، وهو قول جهم بن صفوان، وقيام الحوادث بالله تعالى، وهو قول الكرامية، والأدلة والأمر أن معتقد قيام الحوادث بالله يقول به المجروس أيضاً!

والأغرب من ذلك أن ابن تيمية أثني على الكرامية المتّهمين بالتجسيم ومدحهم، وهم المكفرّين من قبل أهل السنة [\(٣\)](#). والسؤال هنا هو: ما موقف الوهابيّين من هذه

١- انظر: العقيدة، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ج ١، ص ١٠٨.

٢- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة: باب نقض فكرة قيام الحوادث بذات الباري تعالى، ج ١٠٢ / ١. والجويني الأشعري توفى في عام ٤٧٨ هـ.

٣- انظر: منهاج السنة، ج ١، صص ١٤٣، ١٥٦ و ١٨٠ وقد ربط أقوال الكرامية بأقوال أهل السنة.

ص: ٩٨

الإشكالية التي أوقعهم فيها ابن تيمية؟

قال أبو سعيد النيسابوري: (وإذا ثبت كلام النفس، وبطل أن يكون الكلام بمعنى الفعل، فقد ثبت كونه تعالى متكلماً، فلابد وأن يكون كلامه قدِّيماً؛ لأنَّه لا يجوز قيام الحوادث بذاته) [\(١\)](#)

وقال أبو الفتح الشهستاني: (وممَّا أوجب التشبيه؛ قيام الحوادث بذاته، وقد ذهبت الكرامية إلى جواز ذلك) [\(٢\)](#)

وقال الرازى: (إنَّ قيام الحوادث بذات الله تعالى محال؛ لأنَّ تلك الذات وإنْ كانت كافية في وجود تلك الصفة أو دوام عدمها، لزم دوام وجود تلك الصفة أو دوام عدمها بدوام تلك الذات، وإنْ لم تكن كافية فيه، فحينئذ تكون تلك الذات واجبة الاتصال بوجود تلك الصفة أو عدمها، وذلك الوجود والعدم يكونان موقفين على شيء منفصل، والموقوف على الموقوف على الغير موقوف على الغير، والموقوف على الغير ممكِّن لذاته؛ ينتج أنَّ الواجب لذاته ممكِّن لذاته، وهو محال) [\(٣\)](#)

وقال الخطيب الرازى: (إنَّه يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى، خلافاً للكرامية، والدليل عليه أنَّ كل ما كان قابلاً

١- انظر: الغنية في أصول الدين، ج ١، ص ٦٨. والنسيابوري توفي عام ٤٧٨ هـ.

٢- انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، ج ١، ص ٦٩. والشهستاني توفي عام ٥٤٨ هـ.

٣- انظر: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، ج ١، ص ١١٣. والرازى شافعى المذهب وتوفي عام ٦٠٤ هـ.

ص: ٩٩

للحوادث، فإنه يستحيل خلوه عن الحوادث، وكل ما كان يمتنع خلوه عن الحوادث، فهو حادث، ينتهي: أن كل ما كان قابلاً للحوادث، فإنه يكون حادثاً.

عند هذا نقول: الأجسام قابله للحوادث، فيجب كونها حادثة.

ونقول أيضاً: إن الله تعالى يمتنع أن يكون حادثاً، فوجب أن يمتنع كونه قابلاً للحوادث (١)

قال ابن تيمية: (والآمدي قدح في الطرق التي اعتمد عليها الرازى كلها، والمقصود هنا ذكر طعن الآمدى في حُجج نفسه التي احتاج بها على نفي كونه جسماً، ونفي قيام الحوادث به) (٢)

وقال ابن عابدين في حاشيته: (وكذا المشبهة في الصفات، هم الذين يجوزون قيام الحوادث به تعالى، فيجعلون بعض صفاته حادثة كصفات الحوادث) (٣)

وقال ابن حجر حول حديث (كان الله ولا شيء معه): (وهو أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية

١- انظر: معلم أصول الدين، ج ١، ص ٤٩. والرازى الخطيب توفى عام ٦٠٦هـ.

وللتوضيع في هذا الأمر انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي، المتوفى عام ٦٣١هـ؛ والفتوحات المكية لابن عربي، المتوفى عام ٦٣٨هـ، على خلاف في سنة وفاته؛ والمواقف للأبيجي، المتوفى عام ٧٥٦هـ؛ وشرح المقاصد في علم الكلام للفتازانى، المتوفى عام ٧٩١هـ؛ وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق لشمس الدين الزرعى، المتوفى عام ٧٥١هـ.

٢- انظر: درء تعارض العقل والنقل، ج ٤، ص ٢٦٨.

٣- انظر: رد المحتار على الدر المختار- شرح تنوير الأبصار. وابن عابدين توفى عام ١٢٥٢هـ.

ص: ١٠٠

الباب، وهى من مستشئع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووَقَعَتْ فِي كَلَامِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، يَرْجُحُ الرَّوَايَةُ الَّتِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى غَيْرِهَا، مَعَ أَنَّ قَضِيَّةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ تَقْتَضِي حَمْلَ هَذِهِ عَلَى الَّتِي فِي بَدْءِ الْخَلْقِ (أَوْلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلْمَ) لَا الْعَكْسُ، وَالْجَمْعُ يُقَدَّمُ عَلَى التَّرْجِيحِ بِالْاِتْقَاقِ) [\(١\)](#)

وَيُبَثِّتُ حَفِيدُ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ تَبَّيَّنَ الْوَهَابِيَّونَ لِقِيَامِ الْحَوَادِثِ بِهِ تَعَالَى، بِقَوْلِهِ: قَلْتُ، وَمَعْنَى قِيَامِ الْحَوَادِثِ بِهِ تَعَالَى قَدْرُتِهِ عَلَيْهَا وَإِيجَادِهِ لَهَا، بِمَشِيَّتِهِ وَأَمْرِهِ [\(٢\)](#)

وَيُبَثِّتُهَا أَيْضًا شَارِحُ نُونِيَّةِ ابْنِ الْقَيْمِ بِقَوْلِهِ: (وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْخَلْقَ هُوَ الْمُخْلوقُ، فَرَوُا مِنْ قِيَامِ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى) [\(٣\)](#)
وَقَالَ ابْنُ تِيمِيَّةَ -بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ- بِفَنَاءِ النَّارِ، مَمَّا أَدَى إِلَى ثُورَةِ فَقَهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ السُّبْكَى، الَّذِي قَالَ: (إِنَّ اعْتِقَادَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَاتَّفَنِيَانِ). وَقَدْ نَقَلَ أَبُو مُحَمَّدُ بْنُ حَزَمَ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ خَالَفَهُ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ. وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضُّرُورَةِ) [\(٤\)](#)

وَنَقَلَ الْبَخَارِيُّ: (كَفَرَتِ الْجَهَمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ

١- انظر: فتح الباري، ج ١٣، ص ٤١٠، كتاب التوحيد، ج ٢، ص ٣٥٤.

٢- انظر: شرح كتاب التوحيد لسلیمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ج ١، ص ٦٤٥. المتوفى عام ١٢٣٣هـ.

٣- انظر: شرح منظومة ابن القيم، ج ١، ص ٣٤٨.

٤- انظر: مقدمة الموعظ؛ والاعتبار ببقاء الجنة والنار.

ص: ١٠١

الله؛ لقولهم إنَّ الجنَّة تفني، فمن قال إنَّها تنفذ، فقد كفر، ومن قال إنَّها لا تدوم، فقد كفر، وقد أبلغوا أنَّهم كُفَّار، وأنَّ نساءهم طوالق) [\(١\)](#)

وقال أبو القاسم الأصبهاني: (من قال الجنَّة والنار كُتب عليهما الفناء، فقد كفر) [\(٢\)](#)

وقال الملاطى: (ومنهم صنف زعموا أنَّ الجنَّة والنار لم يخلقهما الله بعد، وأنَّهما تفنيان بعد خلقهما، تعالى الله عَمَّا يقولون علَوْاً كبيراً) [\(٣\)](#)

ويظهر لنا من خلال ما سبق أنَّ مجمل الردود على ابن تيمية، والمحاكمات التي جرت له من قِبَل فقهاء أهل السنة، تدل دلالة قاطعة على شذوذه وانحرافه عن منهجهم وعقائدهم، وهو ما يسحب منه الصفة الشرعية في التحدث بلسانهم ولسان السلف، وينفي من جهة أخرى فكرة تعلقه بالإجماع [\(٤\)](#)، وهو يقطع الطريق على الوهابيين الذين جعلوه إمامهم، ويضعهم في دائرة المشبَّهة والمجسمة، ويسحب بساط أهل السنة من تحت أرجلهم.

ويبدو لنا من كثرة المنشورات الوهابية التي تصدر في الرد على الخصوم، فيما يتعلق بمسألة الصفات، أنَّ الهجمة عاتية

١- انظر: خلق أفعال العباد؛ وكذلك: حكم ابن حنبل في السنة، ج ١ / ٣٢.

٢- انظر: الحجَّة في بيان المحجَّة، ج ١، ص ٢٥١. والأصبهاني توفي عام ٥٢٥هـ.

٣- انظر: التبيه والرد على أهل الهواء والبدع، ج ١، ص ٩٨. والملاطى الشافعى توفي عام ٣٧٧هـ؛ وانظر: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني: المتوفى عام ١١٨٣هـ.

٤- انظر: نماذج من هذه الردود في ملاحق الكتاب.

ص: ١٠٢

وشديدة عليهم من قبل فقهاء أهل السنة.

وهناك معارك مستمرة بين الوهابيين المعاصرين وخصومهم بسبب قضية التجسيم والتشبيه؛ نتجل عنها العديد من المنشورات، التي تؤكد لنا ثباتهم على هذا المعتقد [\(١\)](#)

ويبدو أنَّ أحد الوهابيين المعاصرين أحاس بخبط ابن تيمية ومدى انحرافه عن عقيدة أهل السنة، فأعلن صراحة نقه لمعتقداته ورفضه لها؛ وهو ما يكشف لنا مدى الأزمة التي يعيشها الوهابيون بسبب تبنيهم لأفكار ابن تيمية ومعتقداته، حول التجسيم والتشبيه وقضايا أخرى [\(٢\)](#)

وكان الألباني المحدث الوهابي المعاصر قد ردَّ على ابن تيمية في مسألة قيام الحوادث بالله تعالى، في معرض شرحه لحديث (إنَّ أول

شيء خلقه الله القلم)، وقال:

(لقد أطال ابن تيمية الكلام في ردِّه على الفلاسفة،

١- انظر: منهج ودراسات في الأسماء والصفات للشنقيطي؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للتويجري؛ وشرح ابن عثيمين تلميذ ابن باز للمعنة الاعتقاد لابن قدامه الحنبلي، والتي قال فيها عن الاستواء: هو استواء حقيقى، معناه العلو والاستقرار، وانظر قوله في عقيدة أهل السنة والجماعة: ونؤمن أنَّ الله على على خلقه بذاته وصفاته، واستواءه على العرش علوه عليه بذاته، ونؤمن بأنَّ الله مع خلقه على العرش، ونؤمن بأنَّ الله تعالى عينين حقيقتين؛ وانظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار، التي تدافع عن ابن تيمية.

٢- مثل قضية الجهاد، والتصادم مع الحكماء، والواقع التي قامت على أساس فتاوى ابن تيمية. وقد تراجع قطاع كبير من الوهابيين عن فكرة العنف ومقاتلة مُعطل الشرائع، والتزموا بطاعة أولى الأمر، سيراً مع عقائد أهل السنة. انظر لنا ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

ص: ١٠٣

محاوِّلًا إثبات حوادث لا أول لها، وجاء في أثناء ذلك بما تُحَارِ في العقول، ولا تقبله أكثر القلوب، فذلك القول منه غير مقبول، بل هو مرفوض بهذا الحديث، وكم كنّا نود أن لا يلتجء ابن تيمية هذا المولج، لأنَّ الكلام فيه شيء بالفلسفة وعلم الكلام) (١)

ورَدَ عليه في قوله بفناء النار، ووجه النقد إليه وإلى تلميذه ابن القِيم.

ومن بين ما قاله: (فكيف يقول ابن تيمية: ولو قدر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة البَتَّة، فكأنَّ الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين. أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن اتباهه، عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة) (٢)

والعجب أنَّ واحدًا من الوهابيين لم يعجبه موقف الألباني من مسألة فناء النار، فقام بالرد عليه دفاعًا عن ابن تيمية (٣). وقام وهابي آخر بالتصدي له، وأصدر رسالة في الرد عليه (٤) وردَّ الألباني قول ابن تيمية باستقرار الله سبحانه على ظهر بعوضة، وقال: (وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى، وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله).

١- انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، ص ٢٠٨.

٢- انظر: مقدمة على كتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار.

٣- انظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار.

٤- انظر: رسالة كشف الأستار لإبطال أدلة فناء النار.

ص: ١٠٤

عزّ وجلّ) (١)

ورد الألباني قول ابن تيمية بقعود الله سبحانه على العرش، ومحمد (ص) إلى جواره، وقال معلقاً على ما استند عليه ابن تيمية، من أقوال مجاهد وغيره: (إن قول مجاهد هذا، وإن صح عنه، لا يجوز أن يتّخذ ديناً وعقيدة؛ ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة) (٢)، ورد الألباني على ابن تيمية في مسألة إنكاره للمجاز (٣)، ورد حديث: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) (٤)، ورد قول ابن تيمية: بأنَّ صفة العلو والفوقيَّة حقيقة، وأنَّ معية الله بالعلم، قوله الوهابيين أنَّ معيته ذاتية (٥)، وقال عن المعطلة: (ينفون علوه تعالى على خلقه، وأنَّه بائن من خلقه، بل يصرح بعضهم بأنَّه موجود بذاته في كل وجود) (٦) وكان الألباني بقوله هذا ينسب الوهابيين للمعطلة.

وأثبت ابن تيمية الحركة لله تعالى، ورد الألباني هذا الكلام (٧) والوهابيون قد بالغوا في التجسيم والتشبيه، حتى أنهم تجاوزاً غلو ابن تيمية، وهو ما يبدو من قول ابن عثيمين: (إنَّ

١- انظر: مقدمة مختصر العلو.

٢- المرجع السابق.

٣- المرجع السابق.

٤- انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج ١١٧٥ / ٣ و ١١٧٦

٥- مقدمة مختصر العلو.

٦- انظر: مقدمة شرح الطحاوية.

٧- مقدمة مختصر العلو.

ص: ١٠٥

للله معينة حقيقة ذاتية كما ذكرنا، ومن كان هذا شأنه، كان مع خلقه حقيقة، وإنْ كان فوقهم على عرشه)، وهو ما لم يقله ابن تيمية [\(١\)](#)
وقد تصدّى بعض الوهابيين لابن عثيمين وردّوا مقالته [\(٢\)](#)

قال الشيخ الزرقاني: (لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق، وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتزييه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات. ومن المؤسف أنَّهم يواجهون العامة وأشخاصهم بهذا، ومن الخطر أنَّهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويُخْيلون إلى الناس أنَّهم سلفيون.

من ذلك قولهم: إنَّ الله يُشار إليه بالإشارة الحسية من الجهات الست، جهة الفوق.
ويقولون: إنَّه استوى على عرشه بذاته استواءً حقيقةً، بمعنى أنَّه استقرَ فوقه استقراراً حقيقةً. غير أنَّهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا،
وليس على ما نعرف.

ليس لهم مستند فيما نعلم إلَى التشبِّث بالظواهر، وقد علمت أنَّ حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها، مع

١- انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢- انظر: رسالة النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعينة الإلهية الحقيقة؛ ورسالة الأقوال السلفية النقية في الرد على من قال إنَّ معينة الله ذاتية.

ص: ١٠٦

القول بأنّها باقية على حقيقتها، ليس رأيًّا لأحد من المسلمين، وإنّما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى، كاليهود والنصارى، وأهل النحل الضالة، كالْمُشَبَّهُهُ وَالْمُجَسَّمُهُ (١)

وإذا كان ابن تيمية يدعى التمسّك بنهج السلف.
والألبانى يدعى التمسّك بنهج السلف.

وابن عثيمين يدعى التمسّك بنهج السلف.
والراذين عليه يدعون التمسّك بالسلف.

وكلّ هؤلاء مختلفون متصادمون ..

فأين الحقيقة إذن؟!

ومن مِن هؤلاء يمثل السلف؟

والجواب هو: أنَّ جميع هؤلاء لا يمثلون السلف، بل يتمسّحون بهم.

وإذا كان الوهابيون قد تبرأوا من الأشاعرة والماتريدية والفلسفه وأهل الكلام، والمذاهب من أهل السنة في الماضي، إتباعاً لنهج ابن تيمية، فهم قد تبرأوا في الحاضر من التيارات والجماعات الإسلامية، والكتاب والمفكرين الذين يخالفونهم من أهل السنة.

وحالهم في هذا كحال ابن تيمية الذي لم يرض عن أحد، ولم يعجبه أحد، وكلّ من خالقه فهو مُبتدع ضال.

من هنا، هاجم الوهابيون جماعة الإخوان المسلمين،

١- انظر: منهال العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٨٧.

ص: ١٠٧

وإمامهم حسن البنا.

وهاجموا سيد قطب.

وهاجموا جماعة التبليغ والدعوة.

وهاجموا المنشقين عليهم.

وهاجموا المقلدين للمذاهب.

وهاجموا كل من لم يلتزم بعقائدهم.

وكل هؤلاء من أهل السنة.

واعتبروا هؤلاء من الضالين المبتدعين، المعطلين للصفات والناففين لها، السائرين على نهج الجهمية والمعطلة ^(١)

والسؤال هو: من الذي يمثل أهل السنة: الوهابيون، أم هذه المذاهب والتيارات التي يناصبونها العداء؟

والجواب هو أن هذه المذاهب والتيارات هي التي تمثل أهل السنة؛ لارتباطها بعقائدهم وسلفهم. أما الوهابيون، فيتبعون عقيدة ابن تيمية الشاذة، التي نبذها أهل السنة وحاربوها.

وقد تبنى الوهابيون بدعة ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ثلات أقسام، هي:

توحيد الإلهية.

١- انظر مثال ذلك: تنبیهات فى الرد على من تأول الصفات، من إصدار الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ ورسالة المورد الزلالي في التنبیه على أخطاء الظلال، أي كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، الذي ذكر فيه: إن الله لا يتحيز في مكان. وقال صاحب الرسالة في الرد عليه: وهذا قول أهل البدع، كالجهمية والمعترلة والأشاعرة؛ وانظر: منشور حقيقة الدعوات الإسلامية في جزيرة العرب.

ص: ١٠٨

وتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات.

وهي بدعة لم يقل بها أحد من السلف، ولم تقرّها عقيدة أهل السنة.

والهدف من هذا التقسيم هو إرهاب المخالفين، والضحك على البسطاء وضعف العقول؛ عن طريق إيهامهم أنَّ الإيمان لا يكتمل إِلَّا بتبني أفكارهم حول أسماء وصفات الله. والهدف منه أيضًا، تبرير تكفير المخالفين.

وهو ما أقرَّه ابن تيمية والترم به ابن عبد الوهاب، من أنَّ المشركين كانوا يُقرُّون بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية، وتمَّ تطبيق هذا المنظور على المسلمين المخالفين الذين أجازوا التوسل بالرسول (ص)، والاستغاثة به وبالآولىء، والذين اعتُبروا في منظور ابن تيمية وتابعه ابن عبد الوهاب من المشركين، لكونهم يقرُّون بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية.

وفكرة كون المشركين والكافر كانوا يوحِّدون الربوبية من مغالطات ابن تيمية؛ فكلّ نصوص القرآن تؤكّد أنَّهم لم يكونوا يقرُّوا بالربوبية ولا بالإلهية.

كذلك الأمر بالنسبة لما أسموه توحيد الأسماء والصفات؛ فكلَّ من خالف معتقدهم فيها كان من الخارجين عن الدين.

من هنا .. رفع الوهابيون شعار التوحيد، وربطوا بين مُشركى الأمس ومخالفتهم؛ كى يموّهوا على المسلمين،

ص: ١٠٩

وبيّرروا لأنفسهم تكفير المخالفين، بل وإراقة دمائهم واستحلال أموالهم؛ باعتبارهم من المشركين.

قال ابن تيمية عن الفلسفه والفقهاء: (أخرجوا من التوحيد ما هو منه، كتوحيد الإلهيه وإثبات حقائق أسماء الله، ولم يعرفوا من التوحيد إلّا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله خالق كل شيء، وهذا التوحيد كان يقرّ به المشركون، الذين قال الله عنهم: وَلَئِنْ سَأَلُوكُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ^(١))

وهو ما قام بتطبيقه على المسلمين ابن عبد الوهاب، حين ظهر بيادعه في جزيرة العرب، واستخدم سيف آل سعود في إراقة دماء المسلمين، من الفقهاء والأشراف والعامّة، الذين عدّهم من المشركون المستبا Higgins^(٢) والنتيجة التي نخرج بها من وراء ذلك كله، هي أنَّ الوهابيين يكذبون على أهل السنّة، ويذّعون تمثيل السلف والتلّاحف بالتوحيد.

١- سوف يتم استعراض هذه النصوص في الفصل القادم. وانظر: التنديد بمن عدَّ التوحيد للسقاف، وبحوثه الرائعة الأخرى في هذا المجال.

٢- انظر: شرح كتاب التوحيد، ص ١١٩ وما بعدها، ورسائله الأخرى؛ وانظر خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام؛ والدرر الستية لزيني دحلان وتفصيل ذلك في كتابنا ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

أكاذيبهم حول القبور والتوصّل

إشارة

اعتاد المسلمون منذ قرون طويلة تكرييم أنتمتهم ورموزهم، ببناء قبور خاصة بهم، وبناء القباب فوق هذه القبور. واعتاد المسلمون -أيضاً- الاحتفال بهؤلاء الأنئمة، وإحياء المناسبات الخاصة بهم، وزيارة مراردهم والتوصّل بهم عند الله سبحانه. ولم يبرز من بين الفقهاء من يعترض على هذه الظاهرة أو يستنكرها، أو يعتبرها من البذخ والضلالات، حتى بُرَزَ ابن تيمية في القرن الثامن الهجري، وأعلن الحرب على هذه المراقد وعلى أصحابها، وحرّم شد الرحال إليها، ومن بينها قبر الرسول (ص)، واعتبر التوصّل بالرسول وأصحاب هذه المراقد من الشرك، والزيارة والتبرّك بها عبادة لغير الله. ولم يكن لابن تيمية من دليل على هذا، سوى بعض الروايات المختلف على صحتها وعلى تفسيرها بين الفقهاء،

ص: ١١٢

وبعض الأقوال الشاذة لبعض الحنابلة؛ وهو ما أدى إلى تصدىً للفقهاء له، وإعلان الحرب عليه من قبلهم، بسبب تبنيه لمثل هذه الأمور. وتبنى ابن عبد الوهاب أفكار ابن تيمية، وفرضها على المسلمين في جزيرة العرب بسيوف آل سعود، وجعلها من أساسيات التوحيد، وحكم على مخالفيه من المسلمين بالشرك والكفر، واستحلَّ دمائهم وأموالهم. ومنذ ذلك الحين، حمل الوهابيون راية المواجهة مع المسلمين، متسلحين بهذه الأفكار، التي عدوها من المسلمات، لتصبح شغلاً الشاغل، وأرهبوا بها العامة والبسطاء من الناس.

وفي دائرة هذا الباب، سوف نستعرض موقف الفقهاء من هذه المسألة، ليتبين لنا أنَّ دعوى الوهابيين في تحريم زيارة القبور والتوكيل دعوى شاذة، نقضها فقهاء أهل السنة، وهي ليست سوى أكذوبة تضاف إلى أكاذيبهم الكثيرة.

موقف الفقهاء

كان تفجير ابن تيمية لمسألة التوسل وزيارة قبر النبي (ص)، وقوله بتحريمهما، قد دفع بفقهاء أهل السنة إلى التصدى له، وتبين موقف أهل السنة منها.

وعلى رأس فقهاء أهل السنة الذين تصدوا له، القاضي الفقيه الشافعى تاج الدين السبكي، بكتابه الشهير (شفاء

ص: ١١٣

السقام في زيارة خير الأنام).

قال في مقدمة: (أما بعد .. فهذا كتاب سميت شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ورتبت على عشرة أبواب:

- * الأول: القول في الأحاديث الواردة في الزيارة.

- * الثاني: في الأحاديث الدالة على ذلك، وإن لم يكن فيها لفظ الزيارة.

- * الثالث: فيما ورد في السفر إليها.

- * الرابع: في نصوص العلماء على استجابتها.

- * الخامس: في تقرير كونها قربة.

- * السادس: في كون السفر إليها قربة.

- * السابع: في دفع شبه الخصم وتتبع كلماته.

- * الثامن: في التوسل والاستغاثة.

- * التاسع: في حياة الأنبياء.

- * العاشر: في الشفاعة، لتعلقها بقوله (ص): (من زار قبرى وجبت له شفاعته).

وضمنت هذا الكتاب الرد على من زعم أنَّ أحاديث الزيارة كلها موضوعة، وأنَّ السفر إليها بدعة غير مشروعة، وهذه المقالة أظهرت فساداً من أنْ يردد العلماء عليها، ولكن جعلت هذا الكتاب مستقلاً في الزيارة وما يتعلّق بها، مستمدلاً من ذلك على جملة يعزّ جمعها على طالبها، وكنت سميت هذا الكتاب: (شنُّ الغارة على من أنكر الزيارة)، ثمَّ اختارت التسمية المتقدمة).

ص: ١١٤

ويبدو لنا من خلال فصول الكتاب، أنَّ السبكي يقرر معتقد أهل السنة و موقفهم في مسألة الزيارة والتوكيل، وهو المعتقد الذي خالفة ابن تيمية، وتبعه الوهابيون عليه.

وحنبلة الماضي، من المتطرفين الذين تبعوا ابن تيمية، قاموا بالهجوم على السبكي، دفاعاً عن ابن تيمية، وتبعهم الوهابيون في هذا الهجوم [\(١\)](#)

وقام الشيخ التقى ابن الأختانى المالكى [\(٢\)](#) بالرد على ابن تيمية في مسألة الزيارة برسالة: (المقالة المرضيَّة في الرد على من أنكر الزيارة المحمدية). فرد على ابن تيمية واستجهله، وأعلم أنه قليل البصاعة في العلم.

قال الأختانى في مقدمة رسالته: (أما بعد .. فإنَّ العبد لما وقف على الكلام المنسوب لابن تيمية، المنقول عنه من نسخة فتياه، ظهر له من صريح ذلك القول وفحواه مقصد، فعند ذلك شرح الله صدرى للجواب عما نقل فيه من مقالته،

١- انظر: الصارم المنكى في الرد على السبكي، لمحمد بن عبد الهادى بن قدامة المقدسى الحنبلى، المتوفى عام ٧٤٤ هـ. وهو من منشورات الوهابيين.

٢- هو محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران، الإمام قاضى القضاة علم الدين الأختانى، كان عالماً ديناً نزيهاً، وافر الجلاله حميد السيرة. انظر: ترجمته في الوافى بالوفيات، ج ٢، ص ١٩٤؛ وحسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٦٠؛ وطبقات الشافعية: ج ٢، ص ٢٨٣؛ والدرر الكامنة، ج ١، ص ٦٦. قيل توفي في عام ٧٣٢، أو ٧٥٠، أو ٧٦٣، أو ٧٧٧ هـ. ق.

ص: ١١٥

وسارعت لإطفاء بدعته وضلالته.

فأقول وبالله التوفيق، وأن يوصلنا إليه من أسهل طريق: لقد ضلَّ صاحب هذه المقالة وأضلَّ، وركب طريق الجهالة واستقلَّ، وحاد في دعوه عن الحق وما جاد، وجاهر بعداوة الأنبياء وأظهر لهم العناد، فحرَّم السفر لزيارة قبر الرسول وسائر القبور، وخالف في ذلك الخبر الصحيح المأثور.

لكن كم لصاحب هذه المقالة من مسائل خرق فيها الإجماع، وفتاوي أباح فيها ما حرم الله من الاستبضاع، وتعرَّض لتنقيص الأنبياء، وحطَّ من مقادير الصحابة والأولياء، فتعيَّن مجاهدته والقيام عليه، والقصد بسيف الشريعة المحمدية إليه، وإقامة ما يجب بسبب مقالته نصرةً للأنبياء والمرسلين، ليكون عبرة للمعتبرين، وليرتدع به أمثاله من المتمرِّدين). اه
وتلقَّف الوهابيون ردَّ ابن تيمية، وقاموا بتحقيقه ونشره وإشاعته بين المسلمين (١)
وممَّا يؤكِّد كذب الوهابيون فيما يتعلَّق بمسألة القبور والتوكيل، نصوص كتب عقائد أهل السنة التي لم تُشرَّ من قريب أو بعيد لهذه المسألة. وعلى رأس هذه الكتب كتاب (اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل)، وهو من الكتب التي

١- قُدم التحقيق لجامعة الملك سعود لنيل درجة الماجستير، وطبع في الرياض، ويُعدُّ هذا الردُّ من آخر ما كتب ابن تيمية في حبسه الأخير الذي مات فيه، وقد قام الأخنائي بشكوى ابن تيمية للسلطان، الذي أمر بإخراج ما عنده من الكتب والأوراق والدواء والقلم، ومنع من الكتابة والمطالعة. انظر: تاريخ ابن كثير، ج ١٤، حوادث عام ٧٢٦ هـ، عام وفاة ابن تيمية.

ص: ١١٦

تبّاها الوهابيون، وقد قال فيه ابن حنبل بجواز الكرامات على الأولياء، ووجوب التفريق بينهما. وكذلك في رسالته لولده عبد الله، بينها وبين المعجزة. وأنكر على من رد الكرامات وضلله. وفي أصول السنة - له أيضاً - لم يُشر إلى شيء يتعلّق بالتوسل والقبور.

والطريف أنَّ ابن حنبل كان له قبر يزوره أتباعه ومحبّيه، وغمرته المياه مع غمرته من مشاهد و مزارات بعد فيضان دجلة وعزمته بصدق

(١)

ومن الغريب أنَّ ابن تيمية نقل عن ابن حنبل قوله عن الدعاء عند قبر الرسول (ص):

(.. وسِلِ الله حاجتك، متوكلاً إلَيْه بنبيه، تُقضى من الله عزّ وجلّ ..) (٢)

وإذا كان ابن حنبل، الذي يدعونه إمامهم، لم يُشر لمسألة القبور والتوكيل، فمن أين أتى الوهابيون بهذه المسألة، وكيف ضخموها كل هذا التضليل، حتى حكموا على المسلمين المخالفين بالكفر والشرك على أساسها؟!

والجواب هو: أنَّهم أتوا بها من ابن تيمية، الذي لم يتمرّد

١- انظر: أنظر البداية والنهاية ج ١٢، ص ١٠٩، حوادث عام ٤٦٦ هـ - وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٨، ص ٤٠٢، حوادث عام

٤٦٥ هـ -، وأنظر ذيول العبر للذهبي، ج ١، ص ١٣٧. وقال أبوالفداء في أنباء العمر في أنباء العمر، ج ١، ص ٨٠، وصارت الرصافة ومشهد احمد ومشهد أبي حنيفة وغيرها من المشاهد والمزارات لا يوصل إليها إلا بالمراكب ...

٢- انظر: الرد على الأخنائي، ص ١٦٨.

ص: ١١٧

على أهل السنة وحدهم، بل تمَّ رد على إمامه ابن حنبل أيضًا.

وفي العقيدة الواسطية لابن تيمية، لم يشر - أيضًا - فيها لمسألة القبور والتوكيل، بل قال في افتتاحيتها: (أما بعد .. فهذا اعتقاد الفرق الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة ..). والعقيدة الطحاوية لا توجد بها أية إشارة لهذه المسألة، ورغم ذلك قام

[الوهابيون بتحقيقها ونشرها \(١\)](#)

وحتى في كتب الاعتقاد الحنبلي وغير الحنبلي، التي يقوم الوهابيون بنشرها، لا توجد إشارة لهذه المسألة، سوى في بعض الكتب المتأخرة بعد ظهور ابن تيمية [\(٢\)](#)

وجميع كتب العقائد عند أهل السنة ترَكَ على مسألة صفات الله تعالى، والسمعيّات، ومسألة الصحابة، وهي تُجمع على عدم تكفير أهل القبلة بذنب كبير أو صغير [\(٣\)](#)

واستند الوهابيون على حديث يقول: (لا تُشدّ الرحال إلَّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا).

وبمناقشة هذا الحديث نخرج بما يلى:

أنَّ هذا الحديث فيه وقفات:

أولًا: إنَّ المسجد الحرام ومسجد الرسول به قبور.

١- انظر: باب أكاذيبهم على التراث.

٢- انظر كمثال على ذلك: رسالة السنة للبربهارى؛ واعتقادات أهل الحديث لأبى بكر الإسماعيلي؛ والتحفة المدنية في العقائد السلفية لحمد آل معمر؛ والأربعين في دلائل التوحيد لعبد الله الهروى؛ ولمعنة الاعتقاد لابن قدامة.

٣- عدا ابن حنبل الذى يكفر تارك الصلاة، والقائلين بخلق القرآن.

ص: ١١٨

ثانياً: إنَّ المسجد الأقصى غير معروف مكانه.

ثالثاً: إنَّ أهل السنة لم يفهموا هذا الفهم الذى فهمه الوهابيون من الحديث، فهم لا يقولون بتحريم زيارة القبور.

رابعاً: إنَّ الوهابيين يفرقون بين زيارة مسجد الرسول وزيارة قبر الرسول، فهم يُقرُّون بجواز زيارة المسجد لا القبر.

وإذا كان محور الإشكال فى زيارة قبر الرسول (ص)، فلماذا طلب الرسول شدَّ الرحال إلى مسجده وهو يحيى قبره؟!

وكيف يكون الحديث بهذا اللفظ الذى يوحى بمنع شدَّ الرحال مطلقاً إلَى لهذه المساجد الثلاث؟!

قضية التوسل

ومن الأكاذيب الفاضحة للوهابية، أنَّهم عمدوا إلى أمور من الفقه والمستحبات فجعلوها من المعتقدات، وبنوا عليها مواقف تكفيرية وشركية وتبديعية استخدموها ضدَّ المخالفين.

ومن بين القضايا التي استثمرها الوهابيون وجعلوها من العقائد، قضية التوسل.

والسؤال هنا هو: هل التوسل حقاً من مباحث الاعتقاد؟

يُعرِّفُ الشيخ الدومي التوسل بقوله: (لا يخرج التوسل في الحقيقة عن كونه سبيلاً من الأسباب العادلة، التي نسبها الله تعالى مقتضيات لمبرباتها، وجعل بينهما مقارنة في الوجود، مع كون التأثير له وحده جلًّا وعلا، فيكون حكمه حكم بقية الأسباب العادلة، التي يضمُّ فيها الإفراط والمغالاة كما يقع

ص: ١١٩

من بعض الجهال.

والتفريط كما يقع من أهل القسوة والجفاء، المنكرين لخواص أولياء الله تعالى الثابتة، وكرامتهم الواقعة بالمشاهدة والعيان، إذ ليس من المستحيل، بل ولا من بعيد أن يعلق الله تعالى قضاء حاجة من الحوائج، كشفاء من مرض، أو سعة في رزق، على التوسل بأحد عباده الصالحين. وفي هذه الحالة لا يمكن أن يحصل المطلوب من الشفاء وغيره من غير طريق التوسل بحال، لأنَّ التوسل مؤثراً بذاته، ولأنَّ النبي أو الولي هو الذي خلق الشفاء وأوجده، بل لما سبق في علمه تعالى القديم من تعليق هذا الشفاء على التوسل المذكور

(١)

ويقول الدكتور عيسى الحميري: (يعتقد بعض الناس أنَّ التوسل من مباحث العقيدة، ويترتب على القول به تكفير أو تبديع أو تفسيق وتضليل. ولو نظرنا إلى هذه القضية بعين الإنصاف، لعلمنا أنَّ التوسل ليس مبحثاً من مباحث الاعتقاد، وأمره يدور بين الجواز والندب، وما كان أمره كذلك فهو من موضوعات الفقه، وإحجام مباحث الفقه في العقيدة خطأ جسيم، وقلب للحقائق وصرف للأمور عن وجهها، والأصل أن يتزل كل بحث في منزلته الصحيحة وفنه اللائق به. علمًا بأنَّ جميع الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم الفقهية، يذكرون

١- انظر: من نفحات الدومي، ص ٣٣٤ وما بعدها نقلًا عن التأمل في حقيقة التوسل، ص ٥٦.

ص: ١٢٠

التوسل في باب صلاة الاستسقاء، أو عند زياره القبر النبوي الشريف، ولم نر أحداً من علماء أصول الدين يذكر التوسل في التوحيد إطلاقاً^(١)

وينقل عن ابن تيمية كلاماً مناقضاً لدعوى الوهابيين، مثل قوله حول أقسام التوسل:

(القسم الثالث: وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك، أفعل بي كذا وكذا ..

فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأئمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلّا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام، فإنّه أفتى أنّه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلّا للنبي ﷺ، إنْ صحَّ الحديث في النبي ﷺ ومعنى الاستفتاء.

وقد روى النسائي والترمذى وغيرهما أنَّ النبي ﷺ عَلِمَ بعض أصحابه أنَّ يدعو فيقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ وَأَتُوَسَّلُ إِلَيْكَ بْنَيْكَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَتُوَسَّلُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي لِيَقْضِيهَا لِي، اللَّهُمَّ فَشُفِّعْ فِيَ).

فإنَّ هذا الحديث قد استدلَّ به طائفه على جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته.

قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين، ولا استغاثة بالملائكة، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال

١- انظر: التأمل في حقيقة التوسل، ص ٥٦ و ص ٥٧.

ص: ١٢١

بجاهه، كما في سُيْنَن بن ماجه عن النبي ﷺ أنه ذكر في دعاء الخارج للصلوة أن يقول: (اللّهُم إِنِّي أَسأَلُك بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ
مَمْشَى هَذَا، إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا، وَلَا رِيَاءً وَلَا سَمْعَةً؛ خَرَجْتُ اتِّقاءً سَخْطَكَ وَابْتِغَاءً مَرْضَاتِكَ، أَسأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ
وَأَنْ تُغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَإِنَّه لَا يغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا أَنْتَ).

قالوا في هذا الحديث: أنه سأله سُيْنَن بن ماجه في دعاء الخارج للصلوة، وبحق ممّا مشاهدته إلى الصلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً؛ قال الله تعالى: (وَكَانَ
حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ)، ونحو قوله: (كان على ربّك وعداً مسؤولاً).

والتوسّل إلى الله بغير نبيّنا، سواء سُيْمِى استغاثة أم لم يُسمّ، لا - نعلم أحداً من السلف فعله ولا روى فيه أثراً، ولا نعلم فيه إلّا ما أفتى به
الشيخ من المنع.

وأمّا التوسل بالنبي ﷺ، ففيه حديث في سُيْنَن رواه النسائي والترمذى وغيرهما: أنَّ أعرابياً أتى النبي فقال: يا رسول الله، إنِّي أصبت في
بصرى، فادع الله لي، فقال له النبي: (تواضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللّهُم إِنِّي أَسأَلُكَ وَأَتُوَجّهُ إِلَيْكَ بْنَيَّكَ مُحَمَّدَ، يَا مُحَمَّدَ إِنِّي أَتَشْفَعُ بِكَ
فِي رَدِّ بَصَرِي، اللّهُم شَفِعْ بْنَيَّكَ فِي)، وقال: (إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَمِثْلُ ذَلِكَ)، فرَدَ الله بصره، فلأجل هذا الحديث استثنى الشيخ
التوسّل به.

وللناس في معنى هذا قولان:

أحدهما: أنَّ هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما

ص: ١٢٢

قال: كنّا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا، فاسقنا.

فقد ذكر عمر أنّهم كانوا يتوكّلون به في حياته في الاستسقاء، ثمّ توسلوا بعمر العباس بعد موته، وتوسل لهم به هو استسقاوهم به، بحيث يدعونه ويذكرون معه، فيكون هو وسيطهم إلى الله، وهذا لم يفعله الصحابة بعد موته ولا في معيه، والنبي كان في مثل هذا شافعاً لهم داعياً لهم، ولهذا قال في حديث الأعمى: (اللّهم فشفعه في)، فعلم أنّ النبي شفع له، فسأل الله أن يشفعه فيه.

والثاني: أنّ التوسل يكون في حياته وبعد موته، وفي معيه وحضرته، ولم يقل أحد أنّ من قال بالقول الأول فقد كفر، ولا وجه لتكفيره؛ فإنّ هذه مسألة خفية ليست أدلة جليّة ظاهرة، والكفر إنّما يكون بإنكار ما عُلم من الدين ضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمّع عليها، ونحو ذلك، واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء وممّا يشرع، كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح، وليس هو من مسائل السبب عند أحد من المسلمين.

وأمّا من قال: إنّ من نفي التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر، وتکفیر من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله، فأظہر من أن يحتاج إلى جواب، بل المکفر بمثل هذه الأمور يستحقّ من غليظ العقوبة والتعزير، ما يستحقّه أمثاله من المفترضين على الدين، لا سيّما مع قول النبي: (من قال لأنّيه

ص: ١٢٣

كافر، فقد باع بها أحدهما) (١)

واعتبر الشيخ حسن الإحسائي، وهو من الوهابيين، أنَّ التوسل من مسائل الفقه (٢)

وقال الشيخ صديق القنوجي: (ومسألة التوسل بالأنبياء والصالحين مما اختلف فيه إلى أن كفَّ بعضهم بعضاً، أو بدَّع أو ضلَّ، والأمر أيسر من ذلك وأهون مما هنالك ..) (٣)

وقال الدكتور الحميري معلقاً: (وبالجملة، ليست المسألة مستحقة لمثل هذه الخصومات والخلافات، ولكن أصبح أهل هذا الزمن طوائف، يستوي في الإنكار على أهل الله جاهمهم وعارضهم، ومنهم من يعلم أنَّك على الحق، وفعلك موافق لما جاء به النبي (ص)، ويُجحده ويُمارى ويُجادل) (٤)

وكان ابن حَيَّان، صاحب السِّيِّنَنْ، يُكثُر من زيارة قبر الإمام الرضا (ع)، ويتوسل به كلَّما ألمَّت به شدَّة، قال عن قبره: (وقبره بسنابة خارج النوقان مشهور يُزار، بجنب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلَّ بي شدَّة في وقت مقامِي بطوس، فزرت قبر على بن موسى الرضا (صلوات الله عليه على جَدِّه وعليه)، ودعوت الله إِزالتها عنِّي، إِلَّا أَسْتُجيب لِي، وزالت

١- انظر: كتب ورسائل وفتاوی ابن تیمیه فی الفقه: ج ٢٧، ص ٨٣ وما بعدها، لاحظ فی العنوان كلمة الفقه، وهو إشارة لكون هذه المسائل من أمور الفقه، لا من أمور الاعتقاد.

٢- التأمل فی حقيقة التوسل، ص ٥٨، نقلًا عن كتابه روضة الأفكار والأفهام.

٣- انظر: نزل الأبرار، ص ٣٧.

٤- انظر: التأمل فی حقيقة التوسل، ص ٥٩.

ص: ١٢٤

عنى تلك الشدّة. وهذا شئ جرّبه مراراً فوجده كذلك. أما نا الله على محنة المصطفى وأهل بيته، صلّى الله عليه، وسلم الله عليه وعليهم أجمعين) [\(١\)](#)

وقال الحاكم في تاريخ نيسابور، عن الإمام الرضا (ع): (أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثم إلى الأهواز، ثم إلى فارس، ثم إلى نيسابور، إلى أن أخرجه إلى مرو. وكان ما كان، يعني من قضيّة استخلافه، قال: وسمع على بن موسى أباه وعمومته، إسماعيل، وعبدالله، وإسحاق، وعلى بنى جعفر، وعبد الرحمن بن أبي الموالى، وغيرهم من أهل الحجاز، وكان يُفتى في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو ابن نيف وعشرين سنة. روى عنه من أئمّة الحديث: آدم بن أبي إيواس، ونصر بن على الجهمي، ومحمد بن رافع القشيري، وغيرهم ..

استشهد على بن موسى بسناباذ في طوس، ليلة الجمعة من شهر رمضان من سنة ٢٠٣، وهو ابن ٤٩ سنة وستة أشهر، ثم حُكى من طريق أخرى أنه مات في صفر.

قال: وسمعت أبا بكر، محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمه، وعديه أبوى على الثقفي، مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر على بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني بن خزيمه - لتلك

١- انظر: الثقات: ج ٨ ص ٤٥٧. وابن حبان توفي عام ٣٥٤ هـ.

ص: ١٢٥

البقة، وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تخيّرنا!) (١)

وقال أبو سعد بن السمعانى فى الأنساب: (قال أبو حاتم بن حبان، يروى عن أبيه العجائب، كأنه كان بهم يخطب: ومات يوم السبت، آخر يوم من صفر، وقد سُمِّ فى ماء الرمان وسقى ..

قلت: وأورد له ابن حبان بسنده عن آبائه مرفوعاً: السبت لنا والأحد لشيعتنا، والاثنين لبني أميّة والثلاثاء لشيعتهم، والأربعاء لبني العباس والخميس لشيعتهم، والجمعة للناس جميعاً.

وبه: لما أُسرى بي إلى السماء، فسقط إلى الأرض من عرقى، فنبت منه الورد، فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد.
وبه: ادھنوا بالبنفسج؛ فإنه بارد في الصيف، حار في الشتاء.

وبه: من أكل رمانة بقشرها حتى يستتمّها، أنار الله قلبه أربعين يوماً.

وبه: الحناء بعد النورة أمان من الجذام.

وبه: كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا عطس، قال له على: يرفع الله ذكرك، فإذا عطس على قال له: أعلى الله كعبك.
وفيه: من أدى فريضة، فله عند الله دعوة مستجابه.

وكان الرضا من أهل العلم والفضل، مع شرف النسب) (٢)

١- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ٣٣٩.

٢- المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٣٩.

ص: ١٢٦

وروى عن الخلال قوله: (ما هَمَنَى أَمْرٌ فَقَصَدْتُ قَبْرَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ الْكَاظِمِ (ع) فَتَوَسَّلْتُ بِهِ، إِلَّا سَهَلَ اللَّهُ لِي مَا أُحِبُّ) [\(١\)](#)
 وروى عن النبي (ص) قوله: (حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا مُتْ كُانَتْ وفاتي خير لكم، تُعرَضُ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُ خَيْرًا حَمَدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ) [\(٢\)](#)

١- انظر: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٢٠.

٢- رواه البزار في مسنده، ج ٥، ص ٣٠٨؛ والهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٤، باب ما يحصل لأمتة من استغفاره بعد وفاته، والسيوطى في الخصائص، ج ٢، ص ٤٩١، باب اختصاصه بعدم بلاء جسده.

أكاذيبهم على التراث

اشارة

كانت سنة الوهابيين على الدوام هي العمل على تطويق خصومهم، وسد منافذ المعرفة أمامهم، كي يصبحوا صيداً سهلاً لهم. من هنا عمل الوهابيون على تصييد الكتب النافعة لهم، والتي تخدم أفكارهم وتدعم عقائدهم، من أصحاب المذاهب السنّية الأخرى، التي يناصبونها العداء ويكتفون بها. أمّا الكتب الأخرى، التي تفضح عقائدهم وتكشف أكاذيبهم وتُعرّيُّهم، فقد قاموا بالسطو عليها وتحريفها، وحذفوا منها النصوص والعبارات التي يمكن الاحتجاج بها عليهم، وأعادوا نشرها من جديد. وقد وقع العديد من الباحثين، قليلي الاطلاع والمعرفة بالتراث، في فخ الوهابية، وقبلوا هذه الكتب المزيفة واعتمدوها.

ص: ١٢٨

وفي مصادر الوهابيين العديد من التحذيرات والتخييف والإرهاب، والتي تصل لحد التحرير من كتب المخالفين، وفي مقدمة كتب الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، بالإضافة إلى كتب التيارات والمذاهب.

والجدير بالذكر هنا، أنَّ كتاب منهاج السنة لابن تيمية، الذي يعدونه السند الأكبر لهم في مواجهة الشيعة، قد اكتشفوا وجود العديد من العورات فيه، خاصةً المأخذ والسقطات التي وقع فيها ابن تيمية في ردِّه على الحلبي، والتي نسبه إليها ابن حجر العسقلاني؛ وهو ما دفع بهم إلى تحقيقه بالإضافة عليه، ليصل حجمه إلى عدّة مجلدات.

وسوف نعرض في دائرة هذا الباب العديد من كتب التراث التي قام الوهابيون بالسطو عليها، وتحريفها وحذف نصوصها، والتي يمكن تحدیدها فيما يلى:

* فتح الباري، شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

* التحف في مذاهب السلف، للشوكاني.

* العقيدة الطحاوية، للطحاوي الحنفي.

* الأذكار، للنووى.

* منهج السالك إلى بيت الله المبجل في أعمال المناسك، لأبي عياشة.

* مطارق النور تبَّدِّدُ أوهام الشيعة، لمال الله.

* مناظر الإمام جعفر الصادق مع الرافضي.

* نهج البلاغة.

** العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي.

ص: ١٢٩

فتح الباري

امتاز فتح الباري عن شروحات البخارى الآخرى بالتوسيع فى شروحاته، والإكثار من نقولاته، مما جعله مرجعاً هاماً، يضم بين دفتيه عشرات الروايات والنصوص التى قلما نجدها فى مرجع آخر.

ونظراً لшиوعه وانتشاره بين الفقهاء والمؤسسات؛ تصدّى كبير الوهابيين (ابن باز) للكتاب، وقرر العمل على إصدار طبعة جديدة منه، حالياً من الشبهات والأخطاء حسب تعيره.

يقول ابن باز في مقدمة طبعته: (لما كانت الطبعات السابقة من فتح الباري غير خالية من الأخطاء، رأيت من المصلحة العامة أن اجتهد في المقابلة والتصحيح لهذا الكتاب، على ما أمكن من النسخ المعتمدة، وأن أعلق على بعض المواضع التي تمس الحاجة إلى التعليق عليها).

وقد وجدنا للشراح "ابن حجر" أخطاء لا يحسن السكوت عليها، فكتبنا عليها تعليقات تتضمن تنبية القارئ على الصواب، وتحذيره من الخطأ.

وأخبرت فضيله الشيخ أخانا محب الدين الخطيب بهذا العزم، وطلبت منه أن يكون طبع هذا الكتاب في مطبعته، المطبعة السلفية، فأخذ الفكرة ولبي الطلب، ووعد بالاجتهاد

ص: ١٣٠

في إبراز هذا الكتاب بالظاهر اللائق به) (١)

وهنا تُطرح التساؤلات التالية:

ما هي هذه الأخطاء التي اكتشفها ابن باز، ولماذا لم يحدّدها لنا؟!

وهل ابن باز يفوق ابن حجر قدرًا وعلماً، حتى يمكنه تحطّته؟!

أم أنَّ هذه الأخطاء لا تخرج عن كونها أموراً تخالف معتقداته؟!

ولماذا اختار ابن باز مُحب الدين الخطيب ليقوم بمهمة طبع ونشر الكتاب؟!

والجواب على هذه التساؤلات يمكن معرفته من خلال الصورة المُشوَّهة التي خرج بها كتاب فتح الباري، والتي لم يقبلها حتى السلفيون من أتباعه، والذين أخذوا يبحثون عن الطبعات الأخرى الكاملة.

لقد تمَ حذف العديد من النصوص والشروحات المتعلقة بالأحاديث الخاصة بصفات الله سبحانه، وكذلك النصوص المتعلقة بالتسلل والقبور. حتى أنك تجد العديد من الأحاديث ولا تجد الشروحات الخاصة بها.

وقد قام محب الدين الخطيب بعرض الأحاديث على هيئة مجموعات مرقمة، في كل باب وكل مجموعة تحتها شرحها، بحيث أنَّ القارئ العادى لا يلحظ أنَّ بعض الأحاديث من بين

١- انظر: فتح الباري، ط المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة، ج ١، ص ٣.

ص: ١٣١

المجموعه لا ذكر لها في الشرح.

ولم يكن ابن باز ليجد شخصيه يمكن الوثوق بها للقيام بهذه المهمه سوى محب الدين الخطيب، الذى جاء إلى مصر فاراً من وجه العثمانيين، ليقوم بنشر العديد من الكتب الموئجهه ضد الشيعه، وكتب ابن تيميه وابن القيم والذهبي، تلميذى ابن تيميه، ويعلن ولاه للدولة الوهابيه (١)

وقام ابن باز أيضاً بالسطو على كتاب (التحف في مذاهب السلف) للشوکاني، لوجود العديد من النصوص بالكتاب التي لم تُعجبه، فأصدر أمره بطبعه في صورة جديدة، تحوى تعليقاته وبصماته الوهابية عليه.

يقول في مقدمة: (وقد رأيت الأمر بطبعها على حساب رئاسة إدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لتعظيم نفعها، مع العقيدة الواسطية لابن تيمية، ليستفيد طلبة العلم وغيرهم من الرسالتين، ويعلموا عقيدة أهل السنة في هذا الباب. وقد وقع في آخر التحف كلام للمؤلف في المعينة غير جيد، فيبيت الصواب فيه لمزيد من الفائدة).

أما كلام الشوکاني، فكان حول النصوص القرآنية التالية:

قوله تعالى: (وهو معكم أينما كتم).

وقوله: (إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

١- من بين هذه الكتب: الخطوط العريضة، ومؤتمر النجف الذي أدعى فيه إعلان فقهاء الشيعة بأفضلية أبو بكر وعمر على الإمام علي، ومنهاج الاعتدال للذهبي، وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية، وغيرها من كتب الوهابيين. ويُعدّ محب الدين الخطيب أول من نشر هذه الكتب في مصر في فترة العشرينات.

ص: ١٣٢

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الظَّاهِرِيِّينَ ..).

قال الشوكاني: (هكذا جاء القرآن، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَعَ هُؤُلَاءِ، وَلَا تَكُلُّفْ تأویلَ ذلِكَ كَمَا يَتَكَلَّفُ غَيْرُنَا، بِأَنَّ الْمَرَادَ بِهَذَا الْكَوْنِ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةِ هُوَ كَوْنُ الْعِلْمِ وَمَعِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ شَعْبَةً مِنْ شَعْبَةِ التَّأْوِيلِ، تَخَالُفُ مَذَهَبِ السَّلْفِ).

ورفض ابن باز فكرة التأویل وقال: (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ..).

العقيدة الطحاوية

واكتشف الوهابيون أنَّ العقيدة الطحاوية، للطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ)، واسعة الانتشار بين المسلمين، فقام ابن باز بالتعليق على متنها، وتوزيعها على المسلمين على هيئة كُتيب صغير. ومن بين المسائل التي لم تُعجب ابن باز في العقيدة الطحاوية، مسألة العلو، كما لم يُعجبه تحقيق واحد من كبار المحققين لها، وهو المحقق أحمد شاكر.

وباستعراض شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، الذي تم نشره مؤخرًا عن طريق الوهابيين، سوف يتبيَّن لنا ما يرتكبه الوهابيون من جرائم في حق تراث المسلمين، ومحاولاتهم الدائمة مصادرة الحقيقة والتعتيم عليها، بالإضافة إلى اللعب بعقل المسلمين.

وعقيدة الطحاوي، الحنفي المذهب، تسير وفق معتقد الأشعرى، وقد أقرَّها الفقهاء وأهل المذاهب، وتلقَّوها بالقبول

ص: ١٣٣

وأثروا عليها، فكيف تبناها الوهابيون وقاموا بنشرها، وهم خصوم الأشعرى وأعداء الأشاعرة؟

والجواب: هو أنّهم لم يتبنّوها، وإنّما زيفوها ليخدعوا بها المسلمين، ويمرّروا من خلالها عقائد هم المنحرفة الباطلة.

ويتضح ذلك بجلاء من خلال تتبع سيرة ابن أبي العز، الذي قام بشرحها، والتي تكشف لنا أنّه لا صلة له بالأحناف ولا بالأشاعرة، وإنّما

هو حنبلي متعصب، قام بالسطو على العقيدة والانحراف بها من خلال الشرح، نحو تأكيد معتقدات الحنابلة في التجسيم والتشبيه.

وهذا هو السرُّ وراء تبني الوهابيون لهذه العقيدة والتحمّس لنشرها، بل إنَّ الناشر، ربيب الوهابية، قام بوضع بعض التعليقات في الهاشم

زادت الطين بلَّه.

قال الناشر في مقدّمه: (إنَّ هذا الكتاب القيِّم يقلُّ نظيره في التحقيق والبيان، والعمق والإحاطة والتزام منهج الحق، الذي كان عليه

السلف الصالح، لذلك لاقت هذه العقيدة مدح عدد كبير جداً من العلماء، شرحها عدد كبير منهم أيضاً. وكان أحسن شروحها

المعروفَة لهذا الشرح، وهو يمثلُ عقيدة السلف أحسن تمثيل. والمُؤلَّف يُكثُر من النقل عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، من غير إحالة

عليها، ولعلَّ له عذرًا في ذلك، وهو أنَّ عقيدة السلف كانت تُحارب من المتعصّبين والخشوين وعلماءسوء، الذين كان لهم تأثير

كبير على بعض الحُكَّام؛ مما جعل بعض أصحاب هذه العقيدة لا

ص: ١٣٤

يتظرون بها غالباً في تلك الأيام، التي كان فيها بعض الناس مُغراً بإتلاف كُتب ابن تيمية. وظنّ أنَّ هذه المحنَّة، وهذا العداء لعقيدة السلف الصالح، كانا وراء خفاء اسم المؤلِّف لهذا الشرح المبارك، وكانا وراء خفاء اسم ابن تيمية وابن القيم من الشرح). أه ويبدو من كلام الناشر التضليل والتزييف.

تضليل المسلمين بوصفه كلام الشارح على أنَّه يمثل عقيدة السلف الصالح.

وتزييفه لمدح العلماء لهذه العقيدة، حيث أنَّ العلماء مدحوا العقيدة ولم يمدحوا شرح ابن أبي العز، وهو ما يتضح لنا من خلال تزييفه لكلام السبكي الذي نقله في الهاشم.

نسب الناشر في الهاشم للسبكي قوله: (وَهَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْعَقَائِدِ وَاحِدَةٌ، إِلَّا مَنْ لَحِقَّ مِنْهَا بِأَهْلِ الْاعْتَرَافِ وَالتَّجَسِّيمِ، وَإِلَّا فَجَمِيعُهُرُّهَا عَلَى الْحَقِّ يُقْرَرُونَ عِقِيدَةَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّحاوِيِّ، الَّتِي تَلَقَّاها الْعُلَمَاءُ سَلْفًا وَخَلْفًا بِالْقِبْوَلِ).

وبمراجعة قول السبكي، تبيَّن أنَّه نص على ما يلي:

(وَهُؤُلَاءِ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَفَضْلَاءِ الْحَنَابَلَةِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ، فِي الْعَقَائِدِ يَدُ وَاحِدَةٍ، كُلُّهُمْ عَلَى رَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَدِينُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِطَرِيقِ شِيَخِ السُّنَّةِ أَبِي الْحَسْنِ الْأَشْعَرِيِّ، لَا يَحِدُّ عَنْهَا إِلَّا رُعَاعٌ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ لَهُمْ لَحِقَّ الْاعْتَرَافِ، وَرُعَاعٌ مِنَ الْحَنَابَلَةِ لَهُمْ لَحِقَّ التَّجَسِّيمِ، وَبِرَأِ اللَّهِ الْمَالِكِيَّةِ، فَلَمْ نَرَ مَالِكِيًّا إِلَّا أَشْعُرِيًّا عِقِيدَةً).

ص: ١٣٥

وبالجملة، عقيدة الأشعري هي ما تتضمنه عقيدة أبي جعفر الطحاوي، والتي تلقاها علماء المذهب ورؤوها عقيدة^(١) ومن الواضح أنَّ البون شاسع بين نص كلام السبكي وما نسبه إليه الناشر الوهابي، الذي حرف كلامه ليخدم به معتقده، ويُبعد عنه الشبهات.

وممَّا يتَّضح من مقدمة الناشر، أنَّ الشارح استعان بأقوال ابن تيمية وابن القيم.

والسؤال هنا هو: كيف للشارح الحنفي المذهب، الأشعري المُعتقد، أن يستعين في شرحه بكلام ابن تيمية وابن القيم، وهما خصوم أداء للأشعري والأشاعرة؟!

وكيف لعقيدة تلقي كل هذا القبول والمدح من العلماء، وهي تعتمد على كلام ابن تيمية وابن القيم، المجرَّمين من قبل العلماء والحكَّام، وكتبهما محظورة ومحل إتلاف؟!

وما الذي يدفع بالشارح إلى إخفاء اسميهما واسمه أيضًا؟!

وهل لو كان الشارح يعيَّر حقًّا عن عقيدة السلف، ويمثِّلها أحسن تمثيل - كما قال الناشر الوهابي -؟ يضطُر إلى ذلك، ويلقى كلَّ هذا الاضطهاد والمحاربة من العلماء والحكَّام؟!

ونقل الناشر حادثة وقعت لابن أبي العز في عام ٧٨٤ هـ.

١- انظر: رسالة معيد النعم ومبيد النقم. و قريب من قوله هذا ذكره في: طبقات الشافعية، ج ٣، صص ٣٧٧ - ٣٧٨.

ص: ١٣٦

بدمشق، حين اتقدَّ قصيَّةً في مدح النبي (ص) للأديب على بن أبيك الصفدي، وأنكر أموراً منها: التوسيل بالنبي، والقدح في عصمه، وغير ذلك، مما أدى إلى قيام العلماء والقضاة ضده، والمطالبة بتعزيره. وأحضر خط ابن أبي العز، فُوجد فيه قوله: حسبي رسول الله. وهذا لا يُقال إِلَّا لله، قوله: اشفع لي. قال: لا تطلب منه الشفاعة، ومنها توسيلت بك. فقال: لا. يتولى به. قوله: المقصوم من الزلل، قال: إِلَّا من زَلَّ العتاب. قوله: يا خير خلق الله، قال: الراجح تفضيل الملائكة.

فُسْئَلَ فاعترَفَ، ثُمَّ قال: رجعت عن ذلك [\(١\)](#)

لقد قدَّم لنا الناشر الوهابي، من خلال كلامه ونقله لهذه الحادثة، الدليل القاطع على كون الشارح ليس حنفياً ولا صلة له بالأحناف، إنما هو حنبلي متغَّضب، يسير على نهج ابن تيمية، وقد عبَّت بالعقيدة الطحاوية وحاول تحريفها واستخدامها في دعم عقائد الحنابلة، المجمَّمة والمشبَّهة، المخالفة لعقائد أهل السنة والسلف.

وما يدعم هذا أنَّ ابن أبي العز له كتاب بعنوان (سفر المغلوب)، انتقد فيه عقيدة الأشاعرة. وقد ذكر الناشر أنَّ وفاته كانت في عام ٧٩٢ هـ، بينما ذكرت المصادر التي ترجمت لابن أبي العز أنَّه توفي في عام ٦٩٩ هـ وهذه إشارة

١- انظر تفاصيل هذه الحادثة في: أرباب الغمر، ج ١، ص ٢٥٨، وج ٢، ص ٧٥؛ والضوء الالمعنوي في أعيان القرن التاسع: ج ٥، ص ٦٦٥؛ والنجم الزاهر: ج ٦، ص ١٣٨.

ص: ١٣٧

إلى كون الشارح شخص آخر، يتشبه اسمه مع اسم ابن أبي العز الحنفي، شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، والذي أُعلن براءة الأحناف من الآخر، وعدوه من المُبتدعين، كما ذكر ابن حجر أنَّ علماء عصره أنكروا عليه [\(١\)](#) وقد دعم الناشر طبعته بأقوال العديد من فقهاء الوهابيَّة، على رأسهم ابن باز والألباني، وعبد الرزاق عفيفي وغيرهم ..، ثُمَّ أدلى بهذا الاعتراف:

ولم اجزم بطبعتنا بنسبة الشرح لابن أبي العز، غير أنَّ أستاذى الألبانى أهدى إلينه فى المغرب رسالة مصوَّرة عن مخطوطه، ذُكر تحت عنوانها أنَّ مؤلِّف شرح الطحاوية هو ابن أبي العز الحنفي.

وينقل الناشر قول الألبانى فى مقدمة لشرح الطحاوية: (إنَّ عقيدة أبي جعفر الطحاوى الحنفى هى عقيدة أهل السنَّة والجماعَة، المتفق على اتِّباعها من قِبَل علماء الملة؛ لأنَّها وافقت معتَمِد علماء هذه الملة خلال قرون متعددة، ومنهم: أبو حنيفة النعمان، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وأكثر أتباعهم). كما أنَّها عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، ولم يشدَّ عنها إلَّا من أشرب فى قلبه نوع من الاعتزال والجهمية ومناصبة السنَّة العداوة.

وقد امتنَّ الله علىَّ فيسَرَ لى شرح العقيدة الطحاوية،

١- انظر ترجمة ابن أبي العز الحنفي في: الطبقات السنَّية في تراجم الحنفيَّة: ج ١، ص ٣٢٥؛ وأنباء الغمر: ج ٢، ص ٩٦؛ وانظر: شرح الفقه الأكبر.

ص: ١٣٨

للعلامة ابن أبي العز الحنفي، بعد حصولي على مخطوطه قيمة).

ويعد هذا اعترافاً صريحاً من الألباني أنَّ متن العقيدة الطحاوية يمثل عقيدة أهل السنة، ومحل اتفاق علماء الأمة، وهو موافق لعقيدة الأشعرى.

إِلَّا أَنْ تَبْنِيهِ التَّعْلِيقُ، وَتَخْرِيجُ الْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّارِحُ، يَعْدُ تَنَاقْصًا وَتَعْتِيماً عَلَى حَقِيقَةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، الَّتِي تَقُودُ إِلَى التَّجَسِّيمِ وَالتَّشْبِيهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَقْوَالِ الشَّارِحِ الَّتِي تَصْطَدُمُ بِعِقِيدَةِ الْأَشْعُرِيِّ.

الأذكار

وقام الوهابيون أيضاً بالسطو على كتاب الأذكار للنووى، وقاموا بتحريف الفصل الأخير منه، الذى حمل عنوان: (فصل فى زيارة قبر الرسول (ص) وأذكارها)، إلى: (فصل فى زيارة مسجد رسول الله ..).

وبالطبع، لم ينسوا حذف كلام النووى المتعلق بهذا الفصل، الذى يوجب توجّه كل حاج لزيارة قبر الرسول (ص)، معتبراً ذلك من أهمّ القربات وأفضل الطلبات.

منهج السالك

ورسالة منهج السالك إلى بيت الله الحرام شَكَّلتْ إِزْعاجاً كِبِيراً لِلْوَهَابِيِّينَ وَفَضَحَا لَهُمْ؛ لِكُونِ مُؤْلَفِهِ مِنْ أَتَابَاعِ الْمَذَهَبِ

ص: ١٣٩

الحنبلی، الذى يدّعون التمسّك به.

وقد قام الوهابيون بتغيير اسم الرسالة، حتى يموّهوا على المسلمين، فسمّوها: (تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة). قال الوهابي المحقق في مقدمته: (وأشرت إلى أنَّ ما جاء به فيما أسماه بالخاتمة في زيارة قبر النبي (ص)، لا يتفق مع ما قرَّره علماء السلف، فصوَّبت ما ذكره من أخطاء فيما استند إليه من أدلة واهية).

وقد بيَّنا سابقاً أنَّ ما قرَّره علماء السلف هو مشروعية زيارة قبر الرسول (ص)، لا منع هذه الزيارة وتحريمها كما يقول الوهابيون، وهو ما يعني أنَّ نسبة هذا الأمر لعلماء السلف من أكاذيب الوهابية.

أمّا ما قصده الوهابي بالأدلة الواهية، فهي رواية: (من حجَّ ولم يزرنى فقد جفاني).

رواية: (من حجَّ فزار قبرى، فكأنما زارنى في حياتى).

ونقل المؤلَّف استحسان ابن حنبل التمسّح بالمنبر، ونقل قوله: (لا بأس بالتمسّح بالقبر).

وكل ذلك عَدَه الوهابي من الأدلة الواهية. ولو لم يعُدَّها من الأدلة الواهية، لضاع مذهبة وسقطت عقيدته.

مطارق النور

وقام واحد من الوهابيين الباكستانيين باستخراج نصوص

ص: ١٤٠

من أقوال ابن تيمية التي يرد بها على العلامة الحلى في منهاج السنة، وصنع محاورة مزعومة بينهما أسماؤها: (مطارق النور تبَّدَّد أوهام

الشيعة) (١)

وكان الفائز في هذه المناظرة - بالطبع - هو ابن تيمية، أمّا الحلى، فلم يكن يكاد يردد، وكثيراً ما كان يلوذ بالصمت. إلّا أنَّ صانع المناقشة لم يكن ذكيّاً؛ فقد اقتطع أقوال ابن تيمية ولم يُحسن ترتيبها ولا دعمها بالأدلة، مما جعل القارئ يشكّك فيها. ومن الثابت تاريخياً أنَّ ابن المطهر الحلى لم يلتقي ابن تيمية ولم يناظره، على الرغم من كونهما أبناء عصر واحد. وابن تيمية في مقدمة منهاج السنة يقطع بأنَّ ردَّه على الحلى كان غيابياً؛ إذ يقول: (أحضر إلى طائفه من أهل السنة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا، منفقاً لهذه البضاعة، يدعوه إلى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولادة الأمور، وغيرهم من أهل الجاهلية ... وذكر من أحضر لى هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم، وطلبوها مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب ...).

ويتضح لنا من خلال كلام ابن تيمية، أنَّ المناقشة المزعومة هي من صُنِع خيال هذا الوهابي، الذي لم يُحسن

١- طبع القاهرة، عام ١٩٧٨ م وقد استعرضناه بالتفصيل في كتابنا: المناظرات بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة.

ص: ١٤١

إنقانها وسد عوراتها، فبدت مهللها واهية، لترتد في نحره وتكون حجّة عليه وعلى الوهابيين (١)

مناظرة الرافضي

ونشر الوهابيون مؤخراً ما أسموه: (مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي .. في التفضيل بين أبي بكر وعلي). وهو منشور مثل سابقه، بدا فيه الإمام الصادق وكأنه واحد من فقهاء السنة، يزدود عن الشيختين ويستحضر الدليل من هنا وهناك ليثبت أفضليتهم على الإمام علي (ع)، والأدلة التي يستحضرها هي أدلة أهل السنة المعتادة، التي يعتمدون عليها دائمًا في إثبات أفضلية الشيختين على الإمام علي.

وبدا الرافضي أمامه ضعيف الحجّة مستسلماً على الدوام.

ويبدو في هذه المناظرة المزعومة الكثير من أوجه الخلط، التي تشير إلى كونها من وضع أحد خصوم الشيعة في الماضي. ومثل هذا المنشور يهدف لضرب الشيعة بالإمام الصادق. ومحققه الوهابي يعرض في مقدّمه روایة منسوبة للصادق، رواها الذهبي في تاريخه عن سالم بن أبي حفص، تقول: (سألت أبي جعفر وابنه محمد عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم، تولّهما وابرأ من عدوّهما، فإنّهما كانا إمامي هدى ..)

وعلق المحقق الوهابي على هذه الرواية بقول الذهبي:

١- انظر المناقشة الواسعة لهذا المنشور الوهابي في كتابنا: المناظرات بين فقهاء السنة والشيعة.

ص: ١٤٢

(هذا إسناده صحيح، وهذا الخبر يظهر موقف أهل البيت الطاهرين من الخلفاء الراشدين، وأنَّ كلَّ ما يُنسب إليهم من أقوال تخالف ذلك، فهو محضر افتراء عليهم).

ثُمَّ عَلَقَ بقوله: (وهذا النص يدين الرافضية من جهة إسناده ومتنه؛ فهم رواته، وهو قول إمامهم الخامس والسادس، وهذا يهدِّم أصلًا عظيمًا من أصول القوم الذي يعتقدونه في وزير نبينا محمد (ص)، ومن ثَمَّ في بقية جماهير الصحابة ..).

نهج البلاغة

كان الوهابيون دائمًا يشكّون في كتاب نهج البلاغة، ويعتبرونه منسوباً للإمام على، وأنَّه من وضع الشريف الرضا. وسرُّ هذا التشكيك يكمن في ذلك الكم من النصوص المتعلقة بالصحابيَّة التي يحويها الكتاب، وغيرها من النصوص التي تمَّسَّتْ معتقداتهم. إلَّا أنَّهم أمام الانتشار الواسع للكتاب بين المسلمين، اضطروا إلى تحقيقه ونشره من جديد، محذوفاً منه العديد من النصوص التي اعتبرها المحقق ضعيفة.

وما دام الأمر قد دخل في الصحيح والضعف، فهذا يعني أنَّ نهج البلاغة قد تمَّ الاعتراف به من قبلهم، ككتاب جامع لخطب وأقوال الإمام على.

وهذا من تناقضات الوهابية التي تكشف أكاذيبهم؛ فبعد أن

ص: ١٤٣

كانوا يشكّون في الكتاب، عادوا ليعرفوا به ويصحّحوه.

وبالطبع، فإنَّ هذا التصحيح إنما يخضع لقواعدهم ومعتقداتهم، لا للمنهج العلمي والموضوعية.

وعلى رأس ما تمَّ حذفه من نهج البلاغة (الخطبة الشَّقشَقَيَّة)، التي يتعرّض فيها الإمام للخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان. وكذلك الخطبة التي تتعلّق بأصحاب وقعة الجمل [\(١\)](#)

العواصم من القواسم

كانت الطبعة الكاملة من كتاب العواصم من القواسم، لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، تصلُّ إلى الأربع منه صفحه، واستغرق ابن العربي أكثر من نصف الكتاب في مناقشة العديد من القضايا الكلامية والفلسفية والعرفانية، والرد على أصحابها.

وكان الفصل أو الموقف الأول من الكتاب - كما سماه - يحمل عنوان: في بيان قول من أنكروا الحقائق المحسوسة.

والثاني ترَكَ حول: ما يُفاض على العبد من عرفان يستغرق الأدلة والبيان.

والثالث كان في: قول طائفه لا معلوم إلَّا بالمحسوس.

والرابع - وهو أطول فصول الكتاب - حمل عنوان: في قول

١- انظر: نهج البلاغة، طبعة قطر، تحقيق: عبد السلام هارون. وقد تمَّ اختصار الكتاب إلى النصف تقريباً.

ص: ١٤٤

إنَّ العلم لا يُؤخذ إلَّا من المعصوم،

والرد على هذه الطائفة.

وعاصمةً بعنوان: ليس في نصوص الشرع ما يصادم العقل.

وعاصمةً فيما يعارض ظاهره العقل.

وجعل ابن العربي فصلاً في كتابه للرد على أبي يعلى الحنبلي المجمّس، في كتابه إبطال التأويلات، الذي كَفَرَه بسيبه، وغيره من الموضوعات التي تتعلق بهذه الأمور.

أمَّا القسم الثاني من الكتاب، فقد ترَكَ حول خلافات الصحابة، وما دار بينهم من حوادث وقائع، عملَ ابن العربي على تبريرها، بطرق تصطدم بالعقل والمنطق وحركة التاريخ، معتبراً أنَّ مخالفه مثل هذه التبريرات يعدُّ قاصمةً، والامتثال لها يعد عاصمةً.

وهو القسم الذي اقتطعه محب الدين الخطيب من الكتاب، وقام بتحقيقه ونشره للمرة الأولى عام ١٣٧١ هـ. في مصر، وأسماه (العواصم من القواسم في تحقيق موافق الصحابة بعد وفاة النبي)، وتلقفه منه الوهابيون، وقام بالتعليق عليه العديد من رموز الوهابية، الذين زادوا بتعليقاتهم الطين بلِّه، وزادوا الكتاب حدَّه فوق حدَّته، ثُمَّ نشروه بين المسلمين في كل مكان وبلغات عدَّة؛ ليصبح من أهم المصادر التي يعتمد عليها في مواجهة الشيعة، ومن يتعرَّض للصحابيَّة.

وكان العواصم من القواسم قد قام بطبعه الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٣٤٧ هـ. في جزأين، عن مخطوطه

ص: ١٤٥

جامع الزيتونة. وقام ابن الخطيب بأخذ قسماً من الجزء الثاني - من صفحة ٩٨ إلى صفحة ١٩٣ - ونشره، معتمداً على هذه المخطوطة فقط، ولم يلتفت إلى أي مخطوطة أخرى [\(١\)](#)

وقام الوهابيون مؤخراً بتحقيق العديد من كتب التراث وإعادته طبعها من جديد، بعد أن حذف منها العبارات التي توهن من بعض الصحابة، أو ترفع من مقام أهل البيت.

ومن بين ما تم حذفه من هذه الكتب، عبارة: (عليه السلام)، التي كانت تكتب عادة عند ذكر الإمام على أو فاطمة الزهراء، أو الحسن والحسين: [\(٢\)](#)

وقاموا أيضاً بتحقيق العديد من كتب ابن تيمية ورسائل ابن عبد الوهاب، ودعمها بالأسانيد، وسد الثغرات التي بها وستر عوراتها، وإعادة نشرها من جديد [\(٣\)](#)

وقد امتدَّت أكاذيب الوهابيين إلى كتب التاريخ، فشككوا المسلمين فيها، عدا تاريخ ابن كثير؛ لكونه يسير على نهجهم ويلترم بعقائدهم. ومن بين الكتب التاريخية التي شككوا فيها:

* تاريخ الطبرى.

* مروج الذهب للمسعودى.

* الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

* تاريخ العقوبى.

* الفتوح لابن الأعشن.

١- انظر: مقدمة الطبعة المصرية. وكان الكتاب قد نشره بعد ذلك كاملاً في قسمين للدكتور عمار طالبي، الأستاذ بجامعة الجزائر.

٢- كانت هذه العبارة منتشرة في كتب التراث، مثل: الطبعات القديمة من البخاري، وشرحه فتح الباري، وكذلك في مسلم وشرحه للنووى، بالإضافة إلى كتب التاريخ وغيرها.

٣- على رأس هذه الكتب منهاج السنة لابن تيمية، الذي تم تحقيقه وطبعه في ثمان مجلدات.

أكاذيبهم على الشيعة

إشارة

مثل الشيعة عُقدة للحنابلة القدامي، ولازالوا يمثّلون عُقدة للوهابيين اليوم، وعقبة كُوود تقف في طريقهم، بعد أن فرضاً أنفسهم على أهل السنة وتغللوا في مؤسساتهم، واستقطبوا العديد من رموزهم، وأصبح صوتهم هو الأعلى وسطهم. إلّا أنَّ صوت الشيعة ارتفع أيضًا، وعلا نجمهم بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وهو ما شكل إزعاجًا كبيرًا لهم، ودفع بهم إلى العمل بكل طاقتهم وإمكانياتهم، من أجل تشويه الشيعة وتأليب المسلمين عليهم في كل مكان. واللغة التي يستخدمها الوهابيون في مقاومة الشيعة هي لغة قديمة، تعتمد على أقوال الحنابلة وابن تيمية، أي أنَّ الوهابيين يواجهون الشيعة في الحاضر بعقل الماضي.

من هنا، فإنَّ حربهم هذه لم تأتِ بنتيجة تُذكر، بل إنَّها

ص: ١٤٨

أسهمت في إلقاء الضوء على الشيعة أكثر، وما نراه من توافر الشباب السُّنِّي على الشيعة وإعلان تشيعه هو الدليل على ذلك. والوهابيون رغم علو صوتهم، ليسوا سوى مجرد نقلة لكلام ابن تيمية، ولا يمثلون شيئاً في واقع المسلمين، وهم فشلوا -على ما هو ظاهر- في دفع أغلبية المسلمين للتخلّى عن زيارة المراقد، والاحتفاء ب أصحابها والتّوسل بهم، وهذا يشكّل فشلاً ذريعاً لهم؛ لكون قضيّة الزيارة والاحتفال والتّوسل هي قضيّتهم الكبرى، التي نهض بها إمامهم محمد بن عبد الوهاب.

والهجوم على الشيعة من قبل الوهابيين تمثّلت في عشرات المنشورات، التي ليس لهم جهد يذكر فيها، وإنّما هي منقوله بالكامل من كتب الحنابلة القدامي، وكتب ابن تيمية، وكتب بعض المعاصرين من خصوم الشيعة. حتى أنَّ كل ما ينطّقون به في خطبهم وقنواتهم الفضائية، هو منقول من هذه الكتب. وهذا الأمر إنْ دلَّ على شيء، فإنّما يدلّ على إفلاس الوهابيين، وضحالة عقولهم وضعف لغتهم، في مواجهة خصومهم الشيعة.

ولا يمكن القول إنَّ حرب الوهابيين ضدَّ الشيعة، ونشرهم الأكاذيب حولهم، تنحصر في الدائرة المذهبية، إنَّما حربهم هذه لها وجه آخر، أمني وسياسي، لا مجال للخوض فيه هنا.

ص: ١٤٩

والحق أنَّ الوهابيين -منذ بروزهم في جزيرة العرب- ليسوا سوى أداء لجهات أجنبية متربصة بالإسلام والمسلمين، استخدمتهم من قبل في ضرب الدولة العثمانية، واستخدمتهم في تفريق المسلمين وتوطين الخلافات والتزاعات فيما بينهم، واستخدمتهم في اللعبة الأفغانية، وتستخدمهم الآن في لعبة الإرهاب العالمي، وزعزعة استقرار العديد من الدول، ثُمَّ ضد إيران والشيعة.

وما سوف نستعرضه من خلال هذا الباب، هو كم الاتهامات والطعون والشبه التي يثرونها من خلال هذه المنشورات، التي تؤكِّد أنَّ الوهابيين يعيشون أزمة كبيرة، بسبب شعورهم بالخطر من قبل الشيعة. وهي تؤكِّد من جهة أخرى صدق ما قلناه. ويمكن حصر القضايا التي ترَكَت حولها منشورات الوهابيين فيما يلى:

- * ابن سبأ.
- * تحريف القرآن.
- * سب الصحابة.
- * نكاح المتعة.
- * الوصيَّة والتقيَّة والرجعة والعصمة والغيبة.
- * الشيعة والتترار.
- * الشيعة والصلبيَّين.

ص: ١٥٠

ابن سبأ

في منشورٍ وهابي تحت عنوان: (توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ)، أجهد صاحبه اليمني نفسه، في محاولة إثبات وجود ابن سبأ، من خلال مصادر السنة والشيعة، وهو يهدف من وراء ذلك إدانة الشيعة وربطها بمقالة ابن سبأ. وما دام قد ثبت ذلك حسب تصوره، فهذا يؤكّد يهودية التشيع.

ومن الواضح أنَّ صاحبنا حاله كحال بقية الوهابيين، يفتقد إلى أدوات البحث العلمي، وتحصيل النتائج من خلال المصادر. وبغضُّ النظر عن اتجاه البعض، الذي يؤكّد أنَّ شخصية ابن سبأ وهميَّة، فإنَّ الأمر هنا لا يتعلّق بوجوده من عدمه، وإنما يتعلّق بمقالته. والسؤال هنا: ما هي مقالة ابن سبأ؟

وهل تقول بها الشيعة أم لا؟

والجواب هو: أنَّ المصادر التاريخية والعقائدية نسبت له العديد من الأقوال، إلَّا أنَّ ما يعنينا هنا هو ما قاله ابن تيمية -مَرْجع الوهابية- بشأنه.

قال ابن تيمية: (وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقَة بعد مقتل عثمان، ظهرت بدعة الحرورية (الخوارج)، وتقدم بعقوبتها الشيعة من الأصناف

ص: ١٥١

الثلاثة الغالية، حيث أحرقهم على بالنار. والمفضّل له، حيث تقدّم بجلدهم ثمانين. والسبّيّة، حيث توعدّهم وطلب أن يُعاقب ابن سباً بالقتل أو بغيره، فهرب منه) [\(١\)](#)

ويظهر من خلال كلام ابن تيمية أنَّ السبيّة هم الصنف الثالث من الغلاة، الذين لا يقولوا بإلوهيتِه، والذين لا يقولوا بأفضليته. السؤال هنا هو: إذا كانت السبيّة لم تقل بإلوهيتِه على، ولم تقل بأفضليته، فبماذا قالت حتى توعدّهم الإمام على، وطلب أن يعاقبهم بالقتل أو بغيره، حسب قول ابن تيمية؟

والراجح أنَّهم قالوا بإمامته، فهى الفكرة الباقيَة التي تُنسب للشيعة بخصوص الإمام على.

والسؤال هو: هل القول بالإمامَة هو غُلوٌ في الدين؟

والجواب: عند الحنابلة والوهابيين: بل بالطبع.

إلا أنَّ الإمامة عند الشيعة لها أدلةٍ من الكتاب والسنة، وما دامت لها أدلةٍ، فقد خرجت من دائرة الابتداع والغلو.

وبالطبع هذا الكلام لا يرضي حنابلة العصر من الوهابيين، الذين يتبعُون بالروايات وأقوال الرجال.

قال ابن تيمية: (ذكر أهل العلم أنَّ مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبا، فإنه أظهر الإسلام وأبغض اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام. كما فعل بولص النصراني، الذي

١- مجموع الفتاوى، ج ٢٠، ص ٣٠١.

ص: ١٥٢

كان يهوديا، في إفساد دين النصارى) [\(١\)](#)

وما يظهر لنا من هذا الكلام، أنَّ ابن سِيَّا أظهر مبدأ الرفض، وحاول أن يفسد به الإسلام، ويفعل به كما فعل بولس بال المسيحية. ومبدأ الرفض في مفهوم أهل السنة وابن تيمية، يُقصَّى به تقدير الإمام على القول بإمامته، كما تقول الشيعة، الذين أطلقوا عليهم اسم الرافضة.

وتجمع المصادر التاريخية والعقائدية على أنَّ تسمية الشيعة بالرافضة ارتبطت بزيد بن علي بن الحسين؛ حين تمَّ رد عليه الشيعة بسبب قوله بتولى أبي بكر وعمر.

قال الزبيري عن زيد: (ولحقته الشيعة فسألوه الرجوع معهم والخروج فقبل، فتفرقوا عنه إلَّا نفراً، فنسبوا إلى الزيدية، ونُسبَّ من تفرق عنه إلى الرافضة. يزعمون أنَّهم سأله عن أبي بكر وعمر فتوَّلُاهما، فرفضته الرافضة) [\(٢\)](#) وهذا الكلام لنا معه وقفات.

أولاً: من الواضح، من خلال هذه الرواية، أنَّ الشيعة متواجدون قبل زيد، ولهم موقفهم الثابت من أبي بكر وعمر. ثانياً: أنه لا يوجد مُبِّرٌ منطقي لتوجيه هذا السؤال لزيد من قبل أتباعه.

ثالثاً: إنَّ ابن سِيَّا يسبق فترة زيد بأكثر من قرن، وهذا يعني

١- مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٤٦٨ وما بعدها.

٢- انظر: نسب فريش، ج ٢، ص ٦١، لمصعب الزبيري المتوفى عام ٢٣٦ هـ.

ص: ١٥٣

أنَّ الرافضة بروزاً من بعده، فلا يوجد مُبرِّر لربطه بهم.

رابعاً: إنَّ الرواية تؤكِّد أنَّ المسألة تعلق ببابي بكر وعمر، لا بأصول الدين.

وقال ابن السكيت: (الرفض مصدر رفضت الشيء أرفضه، إذا تركته. قال الأصمعي: ومنه سميت الرافضة، لأنَّهم تركوا زيداً) [\(١\)](#)

وقال ابن كثير حول قضيَّة زيد بن علي: (فلهذا سُمِّوا الرافضة، ومن تابعه من الناس على قوله سُمِّوا الزيدية. وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية، وفي مذهبهم حقٌّ وهو تعديل الشيختين، وباطل وهو اعتقاد تقديم على عليةما.

وليس على مقدَّمٍ عليهم، بل ولاعثمان، على أصح قولى أهل السنة الثابتة، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة) [\(٢\)](#)

وروى ابن حنبل عن الرسول (ص) قوله: (يكون في آخر الزمان قوم يُنبذون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنَّهم مشركون) [\(٣\)](#)

وفي رواية: (يكون في آخر الزمان قوم يُنبذون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنَّهم مشركون).

١- انظر: ترتيب إصلاح المنطق: ج ١، ص ١٧٦؛ وانظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري؛ وكتب الفرق والملل والنحل.

٢- انظر: البداية والنهاية، ج ٩، حوادث عام ١٢١ هـ.

٣- انظر: فضائل الصحابة، ج ١، ص ٤١٧؛ والمسند، ج ١، ص ١٠٣؛ وتاريخ البخاري، ج ١، ص ٢٧٩؛ وفي كتاب السنة لابن حنبل قال: إنَّه ضعيف.

ص: ١٥٤

قلت: يا رسول الله، ما العالمة فيهم؟

قال: يقرضونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي يشتمونهم).

وفي رواية ثالثة: (يكون في آخر الزمان قوم يُنزلون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون، لا يشهدون جماعة ولا جماعة، ويطعنون في السلف) [\(١\)](#)

ويبدو التناقض واضح بين الروايات الثلاثة. ومنذ متى وردت كلمة سلف على لسان رسول الله (ص)؟!

وما يؤكّد هذا التناقض، استحضار صاحبنا اليمني لرواية تقول: (يا علي، يكون في آخر الزمان قوم لهم نبذ يعرفون به، يُقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلوهم، قتلهم الله تعالى، فإنهم مشركون).

وهذه الرواية لا تتناقض فقط مع الروايات السابقة، بل تنسفها نسفاً؛ إذ إنّها تربط مقاومة الرافضة بعلي، وهذا يعني أنّهم ليسوا من أتباعه.

إلا أنَّ المعروف تاريخياً أنَّ علياً قاتل عائشة والزبير وطلحة، ومعاوية، وغيرهم من الصحابة. فهل هذا يعني أنَّ هؤلاء هم الرافضة الذين أشار إليهم الرسول (ص)؟

والعجب أنَّه أراد بهذه الرواية أن يضرب الشيعة بالإمام على!

١- انظر: السنّة لابن أبي عاصم: باب في ذكر الرافضة.

ص: ١٥٥

وقد اعترف صاحب المنشور بأنَّ حكاية ابن سباء رويت عن طريق سيف ابن عمر، المتَّهم بالوضع والكذب عند علماء الرجال، إلَّا أنه أراد أن ينفي هذا بقوله: (والصحيح أنَّه متروك). ولكن قد اشتهرت روایته عن ابن سباء اشتئاراً زائداً مستفيضاً!

ونقل قول ابن حجر العسقلاني عنه: (ضعيف الحديث عهدة في التاريخ). وقول ابن حجر لا يمثل حجَّة على الشيعة، وهو إشارة لغباء الاستدلال عند الوهابيين؛ لكون ابن حجر ليس من فقهاء الشيعة، فقوله لا يمثل حجَّة عليهم.

وما يجب الإشارة إليه هنا، هو أنَّ فقهاء أهل السنة دققوا كثيراً في سند الرواية النبوية وأهملوا متنها، وحتى تدقيقهم في السنَد قام على أُسس مذهبية متعصبة؛ كانت نتيجتها رفض الرواية الذين يخالفون معتقداتهم ومذاهبهم، والتشكك فيهم.

ومن صور ذلك، أنَّ يحيى بن سعيد القطان شكك في الإمام جعفر الصادق (ع)، وقال: (فى نفسي منه شيء، ومجالد أحب إلى منه). وجاء البخاري ثقلياً مقولاً القطان، ولم يرو للصادق في كتابه.

وجاء ابن تيمية من بعدهم في كتابه منهاج السنة، الذي يرد فيه على كتاب العلامة الحلبي منهاج الكرامة، فشكك في

ص: ١٥٦

الصادق على أساس موقف البخاري منه [\(١\)](#)

هذا في الوقت الذي يقر فيه الفقهاء بصدق الخوارج وقبول روایاتهم!

والفقهاء رَكَزوا على الرواية النبوية من حيث السنّد، وأهملوا الرواية التاريخية مع أهميتها، مما فتح الباب على مصارعه لدخول الإسرائييليات والخرافات والموضوعات، ومنها حكاية ابن سباء، والخوارق التي تتعلق بما سُمِّي بالفتوات [\(٢\)](#) من هنا .. اعتُبر سيف بن عمر وأمثاله في عهده التاريخ.

ادعاءات

وتنسب لابن سباء فكرة الرجعة والوصيّة والبداء، التي تقول بها الشيعة. وفكرة الرجعة ليست من الأصول العقائدية عند الشيعة، وهي لا تخرج عن كونها مجرّد تصوّر يرتبط بدور أئمّة أهل البيت وقيمتهم؛ حيث يعتقد أنّ هناك حشر في الدنيا يسبق حشر الآخرة، وذلك للذين ظلموا أهل البيت وانتهكوا هم، وكذلك عقاب يسبق عقاب الآخرة لهم.

وهذا المعتقد له ما يبرره من نصوص القرآن.

مثل قوله تعالى: **يَوْمَ نَعْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**

١- زَكَّى فقهاء أهل السنة الإمام الصادق، أمّا مجالد، فقد جرّه العديد منهم. انظر: كتب التراجم.

٢- انظر أمثلة من هذه الخرافات فيما أطلق عليه الفتوحات في: تاريخ الطبرى، وكتب التاريخ عندهم.

ص: ١٥٧

وقوله: يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً

وقوله: فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا

وقوله: رَبَّنَا أَتَّنَا اثْتَيْنِ وَ أَعْيَتَنَا اثْتَيْنِ ..

أما فكرة الوصيّة، فالشيعة يعتقدون بأنّ الرسول (ص) أوصى لعلى بالإمامه من بعده. وعلى ضوء هذا المعتقد، تُعتبر خلافة أبي وبكر وعمر وعثمان باطلة وغير شرعية، وهذا يعُدّ من نقاط الخلاف الجوهرية بين الشيعة والسنّة، والتي قامت على أساسها فكرة الإمامه، التي اعتُبرت أصلًا من أصول الدين، بجانب الشهادتين.

وفكرة الوصيّة أو الإمامه لا تصطدم بجوهر الدين أو ثوابته، إنّما ضُحِّمت من قبل أهل السنّة والحنابلة الوهابيّين خاصةً، لكونها تصطدم مع معتقداتهم التي تتعلّق بالصحابة وأبي بكر وعمر، المقدّمين على الأُمّة.

أما البداء، فهو فكرة تتعلّق بقوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (١)

وهي فكرة تُشبه فكرة النسخ، وتتعلّق بالقدر المكتوب على ابن آدم.

والوهابيّون وخصوم الشيعة يشيرون عنهم أنّهم يقولون بأنّ الله سبحانه يبدي ويظهر أمراً لم يكن يعلمه.

وليس فكرة البداء عند الشيعة بهذه الصورة.

يقول الشيخ السبحاني: (لو كانوا واقفين على مراد

ص: ١٥٨

الشيعة من تجويز البداء على الله، لتوقفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق) ^(١)

والواضح من روایات أهل البيت: أنَّ فكرَة البداء تشير إلى غير المعنى الذي تلقيه خصوم الشيعة ويعُلنَه الوهابيون.

رُوى عن الصادق (ع) قوله: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فِي شَيْءٍ وَلَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٌ، فَأَبْرَأْهُ مِنْهُ).

وفي رواية أخرى: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فِي شَيْءٍ بَدَاءً نَدَامَهُ، فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ).

ويعد علم البداء في منظور الشيعة من العلوم الخاصة بآل محمد: إلَّا أَنَّ الْوَهَابِيِّينَ لَا يَعْجِبُهُمْ مَثْلُ هَذَا الْكَلَامُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الدِّينَ مِجْرِدَ قَوَالِبِ جَامِدَةٍ، لَا مَجَالٌ فِيهِ لِلْعِلْمِ الْخَاصِّ وَالْكَشْفِ وَمَا شَابَهُ.

ومن الغريب أن تُنسب هذه الأفكار الثلاثة لابن سبأ! مع كونها أفكار لا تصطدم بجوهر الدين ولا تضره في شيء، بل هي من الأفكار الإيجابية النافعة.

وإذا كانت أفكار ابن سبأ تفسد الإسلام، وفعلت به كما فعل بولس بالنصرانية، كما قال ابن تيمية، فهل أفسدت هذه الأفكار الإسلام حقًا؟!

أم هي في الحقيقة أحرجت أهل السنة لمخالفتها عقائدهم؟!

١- انظر: مع الشيعة الإمامية في عقائدهم؛ وانظر: الحق والحقيقة بين الشيعة والستة، ص ٣١٤.

ص: ١٥٩

ويظهر لنا أنَّ كاتب منشور توضيح النبأ قد خرج عن الموضوع، كما هي عادة الوهابيين، وانطلق يلتفت الروايات من هنا وهناك، لينال بها من الشيعة، وليرى كحاطب ليل.

نُقل من العقد الفريد رواية تقول: (كان معنا على سفينة شيخ شرس الأخلاق، إذا ذُكر له الشيعة غضب وعقد حاجبيه، ولما سُئل لماذا تكره الشيعة؟

قال: ما أكره فيهم إلَّا هذه الشَّيْنِ فِي أُولَئِكَ اسْمَهُمْ؛ فَإِنَّ لَمْ أَجِدْهَا قَطُّ إلَّا فِي كُلِّ شَرِّ، مثُلْ: شَؤُمٌ، وشَيْطَانٌ، وشَقَاءٌ، وشَهْوَهُ، وشَتَمٌ، وشُحٌّ، ... الخ).

قال الراوى: فما ثبت لشيعي بعدها قائمة.

والسؤال هنا: هل حرف سين، الذي تبدأ به كلمة سنّي، لا يشير إلى شيءٍ من الشرّ؟!

وقال في منشوره: (وذم الرافضة متواتر بين المسلمين، متکاثر في كتبهم مدون في سجلاتهم، حتى عند الجن). ولا تعلق على مثل هذا الاستدلال الجاهل الغبي، والمُضحك أيضاً.

ويُجاهر الوهابيون بقولٍ منسوب للسيد الخميني، التقطوه من كتاب الحكومة الإسلامية: (إنَّ لائِمَتَنَا مَكَانَةً لَمْ يَصُلْ إِلَيْهَا نَبِيٌّ أوَّلَ مَلَكٍ مَقْرَبٍ).

وهذا الكلام لا يفهمه إلَّا العارفين، أما الجهلاء من الوهابيين، فيستنكرونها ويشنّعون ب أصحابها؛ لكون الدين في منظورهم صخرة صماء.

ص: ١٦٠

ومن المعروف أنَّ الأنبياء درجات، وهم غير الرُّسل، وقد يعلو عليهم الأوَّلِياء أو الحواريُّون؛ لعظيم دورهم ومهمتهم. ودور أهل البيت: ومكانتهم في الإسلام، تعلو بهم فوق مصاف الأنبياء.

أمَّا الملائكة، فهم أقلَّ من ابن آدم في الأفضلية، وهو ما يقرُّ به فقهاء أهل السنة.

يقول ابن حنبل: (إِنَّ بَنَى آدَمَ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَيُخْطِئُ مَنْ يُفَضِّلُ الْمَلائِكَةَ عَلَى بَنَى آدَمَ) [\(١\)](#)

وهناك من أهل السنة من يفضل الأولياء على الأنبياء، وقد ردَّ ابن تيمية هذا القول، والوهابيون ليسوا سوى مرذدين لكلامه [\(٢\)](#)

إِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ -عَلَى عَمَومِهِ- أَفْضَلَ مِنَ الْمَلائِكَةِ، فَكَيْفَ الْحَالُ بِأَنَّمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ؟!

ويحاول الوهابيون دائمًا التأكيد على ربط الشيعة باليهود، سيرًا على سنة ابن تيمية، على أساس شخصية ابن سباء، وأدعاء تشابه بعض المعتقدات الشيعية مع المعتقدات اليهودية.

وقد نصَّ قول ابن تيمية على ما يلى:

(وَقَدْ أَشَبَّهُوا الْيَهُودَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، لَا سِيَّما السَّامِرِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُمْ أَشَبُّهُ بَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ؛ يَشَبَّهُونَهُمْ فِي

١- انظر: اعتقاد الإمام المُبَجل أحمد بن حنبل، ص ٢٠٦، وانظر العقيدة رواية الخلال، ص ١٢٦.

٢- انظر: مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٢٢٢ وما بعدها.

ص: ١٦١

دعوى الإمامية في شخص أو بطن عينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وفي اتباع الأهواء أو تحريف الكلم عن موضعه، وتأخير الفطر وصلة المغرب، وتحريم ذبائح غيرهم.

ويُشَبهُون النصارى في الغلو في البشر، والعبادات المُبتدعة، وفي الشرك، وغير ذلك .. (١) وما يجب ذكره هنا هو أن هذه المقالة للشعبي، وابن تيمية استعار جزءاً منها.

قال الشعبي: (إنَّ محنَّةَ الرافضةِ محنَّةَ اليهود).

قالت اليهود: لا تصلح الأُمَّة إلَّا لرجل من آل داود.

وقالت الرافضة: لا تصلح الأُمَّة إلَّا لرجل من ولد على.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح وينزل سبب من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون صلة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة.

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عذر، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئاً، والرافضة كذلك.

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.

١- مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٤٧٩.

ص: ١٦٢

واليهود يُبغضون جبريل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضيّة يقولون: غلط بالوحى إلى محمد) (١) والوهابيون لو عرروا كلام الشعبى لاستدلّوا به، فهو أوسع وأشدّ من كلام ابن تيمية. لكنّهم ينقولون لا يبحثون. وغفل هؤلاء أنَّ الأديان تتشابه في معتقداتها وشرائعها، وقد تبنَّى الإسلام العديد من شرائع الأديان السابقة. فاليهوديَّة والمسيحيَّة قد حرَّمت القتل والزنا والسرقة.. والإسلام قد حرَّم ذلك .. وجميع الأديان التزمت بالوصيَّة. والإسلام التزم بها.

وكل نبِّيٍّ كان له وصيَّ وأصفياء، أو نخبة صالحة، للقيام بأعباء الدين. والرُّسل والأنبياء سُنتُهم واحدة. والرسول (ص) كان له وصيَّ (علی)، ونخبة (أهل البيت). وإذا كان أهل السنة لم يلتزموا بالوصيَّة ولم يعترفوا بالنخبة، فهو أمر يعود إليهم. وإذا كان الشيعة قد آمنوا بالوصيَّة واقتدوا بالنخبة، فهل هذا يعني أنَّهم يقلدون اليهود ويسيرون على خطاهم؟! والباحث المدقق يكتشف الدور اليهودي المتمثل في الإسرائيليات في تراث أهل السنة بارزاً واضحاً. ويكتشف ما

١- انظر: السنة للخلال: باب ذكر الروافض؛ وانظر مناقشة هذا الكلام في كتابنا: ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

ص: ١٦٣

هو أدهى وأمر، وهو أنَّ هؤلاء الوهابيين المدَّعين، هم الذين تتشابه عقائدهم مع عقائد اليهود، فيما يتعلَّق بصفات الله تعالى. مثل رُؤية الله والعرش، والاستواء والتَّكَلُّم بالصوت، والتَّزوُّل وسائل عقائدهم التجسيمية والتَّشبيهية التي عرضنا لها سابقاً، والتي تتطابق مع نصوص التوراة. وهذا هي الأمثلة:

جاء في سفر الملوك، الإصلاح رقم ٢٢، ما يلى: (قد رأيت الربَّ جالساً على كرسيه).

وفي سفر التكوين، الإصلاح رقم ١، جاء ما يلى: (فخلق الله الإنسان على صورته).

وفيه أيضاً، الإصلاح رقم ٣: (وسمعنا صوت الربِّ في هذا المكان).

والإصلاح رقم ١١: (فتزل الربُّ لينظر المدينة).

وفيه، الإصلاح رقم ٢٨: (حقاً إنَّ الربَّ في هذا المكان).

وفيه، الإصلاح رقم ٣٣: (لأنَّ رأيت وجهك كما يُرى وجه الله).

وفيه، الإصلاح رقم ٤٦: (فقال أنا الله، إله أبيك ... أنا انزل معك إلى مصر).

وفي سفر التثنية، الإصلاح رقم ٥، جاء ما يلى: (وجهه لوجه، تكلَّم الربُّ معنا).

وفيه أيضاً: (إنْ عدنا نسمع صوت الربِّ، إلهنا).

وفي سفر الخروج، الإصلاح رقم ١٩، جاء ما يلى: (وموسى يتكلَّم والله يجيبه بصوت ..).

ص: ١٦٤

وفيه: (ونزل الربُّ على جبل سيناء).

وفي سفر أشعيا، الإصحاح رقم ٢٥، جاء ما يلى: (لأنَّ يد الربُّ تستقرَّ على هذا الجبل).

وفي سفر المزامير، الإصحاح رقم ٢، جاء ما يلى: (يضحك الربُّ).

وفيه، الإصحاح رقم ٤٤: (أنت بيديك استأصلت الأُمم وغرستهم).

وفيه، الإصحاح رقم ٤٧: (الله جلس على كرسي قدسه).

وهذه النصوص التوراتية تتطابق تماماً مع روایات التجسيم والتشبيه، التي تبناها الحنابلة وابن تيمية في الماضي، ويتبناها الوهابيون اليوم.

ولنستعرض مقالة واحد من الوهابيين المعاصرین، يؤكّد فيها مشابهة نصوص التوراة لروایاتهم. قال:

(وأيضاً، فهذا المعنى عند أهل الكتاب، من الكتب المأثورة عن الأنبياء، كالتوراة؛ فإنَّ في السفر الأول منها، (سفر التكوين): (سنخلق بشراً على صورتنا، يشبهنا).

ثمَ يقول: (فمن المعلوم أنَّ هذه النسخ الموجودة اليوم من التوراة ونحوها، قد كانت موجودة على عهد النبي (ص)، فلو كان ما فيها

من الصفات كذباً وافتراءً، ووصفًا لله بما يجب تنزييهه عنه، كالشركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي، أو

الصحابية أو التابعين، كما أنكروا عليهم ما دون ذلك. وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك، فلو كان هذا

ص: ١٦٥

عيّاً، لكان عيب الله لهم به أعظم، وذمّهم عليه أشدّ) (١)

وهذا الكلام يؤكّد تطابق عقائد الوهابيين مع عقائد اليهود، وهو بمثابة اعتراف صريح منهم بذلك. وما قدّمه لتبرير التشابه بين عقائدهم ونقوص التوراة، يدلّ على ضياع العقل وأزمة النقل التي يعيشونها، وهو تردّيد لقول ابن تيمية: (إنَّ التوراة لم تبدل ألفاظها، وإنما وقع التحرير في تأويلها).

وجاء أصحابنا الوهابي ليزيد الطين بلّه بقوله: إنَّ التوراة الموجودة لم يعرض عليها الرسول (ص)، ولا أحد من الصحابة أو التابعين. وهذا كذب واضح.

وفي منشور ليمتّ آخر، حمل عنوان: (اذهبا فأنتم الرافضة)، أكّد فيه صاحبه على عصمة الكتاب والسنة معًا، وأنهما أساس وميزان الخوض في شأن الصحابة، وأنَّ عيد الغدير وعاشرة من الميلاد والصلالات، ودافع فيه عن معاویة.

وقال: (إنَّ الشيعة لم يهتموا بعلوم الحديث، ولا يلقون أىًّا بالعلم الجرح والتعديل).

وقال: (إنَّ كُتب السنن ليس فيها حديث واحد فيه انتقاد أو تجريح لأحد من أهل البيت).

وأصدر فتواه القاتلة التي تقول: إنَّ الشيعة محرومون في الدنيا والآخرة. وأنَّ ابن حنبل قال: (ما علمت أنَّ راضياً ختم الله له بخير).

هذا غير صور السبّ والشتم الأخرى، التي يحشو بها

١- انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، للتويجري.

ص: ١٦٦

الوهابيون كُتبهم عادة.

أمّا ما طرّحه من عصمة الكتاب والسنة، فهو غلو وكلام باطل لم يقل به أحد من الفقهاء، الذين أجمعوا على عصمة الكتاب وحده دون السنة. وكتب السُّنن، بما فيها البخاري، تعرّضت للعديد من صور النقد والتهذيب على مرّ التاريخ. بل إنَّ العديد من الوهابيين

المعاصرين تعرّض لهذه الكتب بالنقد والتهذيب، وقام بتصفيتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة [\(١\)](#)

أمّا كون الكتاب والسنة هما الأساس والميزان في شأن الصحابة، فهذا صحيح، وهو ما تقول به الشيعة وتُبرهن به على مواقفها تجاه الصحابة، وتعتمد على العديد من الروايات الثابتة في كتب السُّنن، لا في كتب الشيعة [\(٢\)](#)

ومسألة إنكار عيد الغدير وعاشوراء واعتبارهما بدعة، لا يعني شيئاً؛ لكون الوهابيين يُنكرون إحياء المناسبات والاحتفال بالأموات، حتى الاحتفال بمولد الرسول (ص)، و موقفهم هذا مرفوض من قبل أهل السنة قبل أن يكون مرفوض من الشيعة.
وفيما يتعلق بمعاوية، فهذه مسألة تعلّق بالموقف من الصحابة.

أهل السنة يعدّون معاوية صحابياً، بينما الشيعة لا تعرف به. ولا يمكن القول بضلال الشيعة بهذا الموقف، إلّا إذا اعتبرنا

١- انظر: هدى الساري، مقدمة فتح الباري؛ وانظر: كتب المحدث الوهابي ناصر الألباني.

٢- انظر: المراجعات لشرف الدين؛ ومعالم المدرستين للعسكري.

ص: ١٦٧

معاوية رُكناً من أركان الإسلام.

ويُجمع أهل السنة على أنه لم تصح في معاوية منقبة، ورغم ذلك يعتقدون في صحيحته وعدالته، وهو أمر يعود لتعريف الصحابي الذي أجمعوا عليه، والذي ينص على أنَّ الصحابي هو كُلَّ مَنْ رأى رسول الله ولو ساعة، أو سَلَّمَ عليه، أو ولد في حياته ومات على الإيمان.

حتى أنَّ بعضهم أدخل الجنَّ في دائرة الصحبة؛ لكونهم شاهدوا الرسول (ص) [\(١\)](#)

وأذاع صاحب المنشور أنَّ الشيعة لم يهتموا بعلوم الحديث أو الجرح والتعديل، يدلُّ على جهله وكذبه، وكونه يُلقى بعبارات منقولة عن غيره بدون وعي.

وكتب الحديث وعلومه كثيرة ومشهورة عند الشيعة، يعرفها الجميع، بل إنَّ شروط الشيعة في الرواوى هي أدق من شروط السنة، وهم ينتقدون الرواية من حيث السند والمتن معاً، ويررون عرض الرواية على القرآن والعقل [\(٢\)](#)

وكتب السنن تكتظ بالرواية من الشيعة. فإذا كان الشيعة على هذه الصورة التي يصورها الوهابيون، فلماذا روى السابقون لهم واعتمدوهم [\(٣\)](#)؟

١- انظر: مقدمة الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط بيروت، ص ٥.

٢- انظر: رجال الطوسي، ورجال الكشى، ومعجم رجال الحديث للخوئي، وصحيح الكافي، والمواضيعات في الآثار والأخبار للحسني.

٣- انظر: هدى السارى، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وميزان الاعتلال في نقد الرجال للذهبي. ووجود الرواية من الشيعة في كتب السنن يكشف أكذوبة الوهابيين التي نقلوها عن ابن تيمية، الذي وصف الشيعة بالكذب وعدم المعرفة بالمنقول والمعقول.

ص: ١٦٨

وفيما يتعلّق بتحريف القرآن، فالمنشورات الوهابية تصيّد العديد من الروايات الشيعية التي تقول بزيادة القرآن ونقصانه. ويعتمدون- بالإضافة إلى ذلك- على كتاب من وضع أحد رجال الشيعة، وهو كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) للنوري. وكتاب النوري ليس حجّة على الشيعة، كما أنَّ العديد من كتب أهل السنة ليس بالضرورة أن تكون حجّة عليهم. والفرق بين الروايات التي توجد في تراث الشيعة، والروايات التي توجد في تراث السنة، هو أنَّ هذه الروايات ضعيفة ومرفوضة من قبل فقهاء الشيعة، بينما هي صحيحة ومقبولة عند فقهاء السنة.

ومن جهة أخرى، فإنَّ هذا الكتاب قد جمع الروايات المتعلّقة بالتحريف من تراث السنة والشيعة على السواء، لكنَّ الوهابيين المُغرضين عتموا على الروايات المتعلّقة بالسنة، وركزوا على روايات الشيعة.

والأهم من ذلك كله، هو أنَّ التراث السنّي حوى الكثير من الروايات التي تتعلّق بتحريف القرآن، ومن أخطر هذه الروايات، ما رُوى حول جمع القرآن وتدوينه، وهو ما يشكّل معتقد أهل السنة حول القرآن. ذلك المعتقد الذي ينصّ على أنَّ الرسول (ص) مات دون أن يجمعه ويبينه للناس، وأنَّ الذي تولّ أمر الجمع هو أبو بكر وعمر.

وهذا الاعتقاد يصطدم بنصوص القرآن، ويفتح الباب للشكّ

ص: ١٦٩

فيه. ويصطدم بقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّيْعُ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [\(١\)](#)
ويشكّك في دور الرسول (ص)، الذي يعيش في كنف الوحي ويلتزم بتوجيهاته.

كيف له أن يترك القرآن غير مجموع وغير مبين، وهو يعلم أنه خاتم الرسل والأنبياء؟!

ويفتح الباب للشك في نصوصه؛ من خلال قصيّة الجمع، كما رواها البخاري وغيره، والتي تكشف لنا أنه لا أبو بكر ولا عمر كان لهما دور في هذا الجمع، إنّما وكلا المهمة لزيد بن ثابت، وليس لأحد من كتبة الوحي المعروفين، مثل أبي بن كعب، أو ابن مسعود.
ومن جهة أخرى، تكشف الروايات أنّ زيداً لم يكن كفؤاً لهذه المهمّة؛ إذ كان إذا اختلفت عليه الآية، يستشهد شاهدين ليشهدوا بصحتها، كى يثبتها في المصحف، ولم يجد الآية الأخيرة من سورة التوبة إلى في حوزة أبي خزيمة الأنصاري، أى لم يشهد هذه الآية ولم يعرفها سوى واحد في المدينة بأكملها.

وهذا يعني اتهام الرسول (ص) بالقصير في تبليغ القرآن [\(٢\)](#)

أمّا معتقد الشيعة، فهو أنّ الرسول (ص) ترك القرآن مجموعاً ومبيّناً، سيراً مع خط القرآن، وهو ما تشير إليه روایاتهم،

١- القيامة: ١٧ - ١٩.

٢- انظر: البخاري، كتاب فضل القرآن؛ وتفاصيل هذه القصة في: فتح الباري، ج ٨.

ص: ۱۷۰

وحتى روایات أهل السنّة الآخرى (١)

وما هو أخطر من ذلك، ما رُوى عن وجود سورتين، غير سور القرآن، لم يذوقنا فيه، وهما: (سورة الح福德) و (سورة الخلع)!؟

روي الطبراني: (أمّنا أميّة بن عبد الله بن أسيد بخراسان، فقرأ بها تين السورتين: إِنَّا نسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُشَّى عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ).

وروى البيهقي وأبو داود: نزل جبريل بذلك على النبي (ص) وهو في الصلاة، مع قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء).

وهناك العديد من الروايات التي تشير إلى أنَّ هناك آيات سقطت من القرآن. والمصاحف التي كانت بحوزة الصحابة، قبل أن يحرقها عثمان، كانت تختلف عن بعضها ^(٢)

وَرَغْمَ ذَلِكَ، يَدْعُ الْوَهَابِيُّونَ أَنَّ لَدِي الشِّيَعَةِ سُورَةٌ تَحْمِلُ اسْمَ الْوَلَايَةِ، وَأُخْرَى تُسَمَّى ذُو النُّورَيْنِ، لَا يَظْهَرُونَهَا فِي مَصَاحِفِهِمْ. كَمَا يَدْعُونَ أَنَّ لَهُمْ مَصَحْفًا سَرِيًّا يُسَمَّى (مَصَحْفُ فَاطِمَةٍ).

1- وردت في كتب السُّنَّة عشرات الأحاديث التي تحض على حفظ القرآن، والتي تدل على أن القرآن كان معروفاً بآياته وسوره في عهد الرسول، منها: خيركم من تعلم القرآن وعلمه وتعاهدوا القرآن وَمَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِّنْ أَوْلَ سُورَةِ الْكَهْفِ، عَصْمٌ مِّنَ الدِّجَالِ وَمَا اجتمع قومٌ فِي بَيْتٍ مِّنْ بَيْتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارُسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَغَنَّوْنَ بِالْقُرْآنِ .. هذا بالإضافة إلى الحديث المشهور، الذي أوصى فيه الرسول بالكتاب، في حجّة الوداع. وكيف يوصي بالكتاب وهو غير

^٢- انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطى؛ والمصاحف للسبطاني؛ والناسخ والمنسوخ.

ص: ١٧١

وهذا من أكاذيبهم وعدم أمانتهم في النقل، فلا وجود لسورة الولاية أو سورة النورين في مصاحفهم، كما لا وجود لشيء اسمه مصحف فاطمة.

والباحث المدقق في مصادر الشيعة لا يجد أثراً لهذه السور، أو هذا المصحف المزعوم، وكل ما في الأمر أنَّ خصوم الشيعة تلقفوا السورتين المزعومتين من كتاب فصل الخطاب، ثمَّ تلقفها منهم الوهابيون. إلَّا أنَّ هؤلاء تعاملوا مصدر هاتين السورتين، الذي ذكره النوري في كتابه، وهو كتاب (دبستان مذاهب)، المنشور في الهند أيام الاستعمار الإنجليزي [\(١\)](#)

أمّا مصحف فاطمة، فهو مجموعة من الوصايا والنصوص التي جمعتها السيدة الزهراء عن أبيها (ص)، المنتشرة في شتى الكتب والمصادر، والتي لا يجمعها كتاب واحد.

وقد استغلَّ هؤلاء كلمة (مصحف)، التي أطلقها بعض الشيعة على كتاب فاطمة، وغاب عنهم لجهلهم أنَّ كلمة مصحف تُطلق على أيٍّ كتاب، وهي كلمة ليست خاصة بالقرآن، وإنما هي من المسئيات التي التصقت به بعد الرسول (ص). ومن المعتقدات التي يدين بها أهل السنة والوهابيون حول القرآن، ما يسمونه بالموافقات. ويقصد بها الآيات التي تنزلت

١- التقى محب الدين الخطيب سورة الولاية المزعومة ونشرها في رسالته الخطوط العريضية، ومنه نقلها الوهابيون.

ص: ١٧٢

موافقة لرأى عمر لا-للرسول، وهم يفتخرون بهذه المواقف، على الرغم من كونها تضرب القرآن في مقتل، وتشكّك في الرسول (ص) (١)

ومعنى ذلك أنَّ القرآن كان يتَنَزَّل على رأى عمر، وأنَّه يشارِكُ الرسول في أمر الوحي، وأنَّ اختيار الرسول (ص) لم يكن دقيقاً، بحيث أنَّ الوحي قد اختار عمر إلى جواره، ليذَّكره ويسانده بآرائه. والأخطر من ذلك أنَّه يتَبَهَّ السماء أيضاً، فتنزَّل الآيات على رأيه. ويحاول الوهابيون، من خلال منشوراتهم، التفرقة بين أهل البيت والشيعة؛ بدعاوى أنَّهم لا يمثِّلونهم، بل يكذبون عليهم. وهذا يعني أنَّهم هم الممثلون لأهل البيت، الحاملين لخلقهم وعقائدهم. فهل هذا صحيح حقاً؟! وقضية سب الصحابة هي بدعة حنبليَّة، تبنَّاها ابن تيمية، وتلقَّفها منه الوهابيون، مستغلين موقف الشيعة من معتقد عدالة الصحابة، الذي يتبنَّاه أهل السنة، ويدينون به في تحريض المسلمين عليهم. وأصل الخلاف في هذه المسألة يعود إلى الخلاف في تعريف الصحابي. ومُعتقد عدالة الصحابة يصطدم بنصوص القرآن، التي صنَّفت من حول الرسول (ص)، وكشفت المناقين والمتأمرين

١- انظر: مناقب عمر في البخاري ومسلم وكتب الشِّئون؛ وانظر: الإتقان في علوم القرآن؛ والدر المسطّاب في مناقب عمر بن الخطاب للعماري؛ وانظر: دفاع عن الرسول. وهو أمر مشهور عند الفقهاء.

ص: ١٧٣

على الإسلام والرسول من بينهم [\(١\)](#)

ومadam هذا حال صحابة الرسول، فهذا ينفي عدالتهم بتلك الصورة المطلقة التي يعتقدونها أهل السنة، والتي تساوينهم بعضهم وتضعهم في درجة واحدة.

وقد عدَ القدامى من أهل السنة توجيه النقد للصحابء، والخوض في الخلافات والواقع التي جرت بينهم، خاصة الشيختين (أبو بكر وعمر)؛ عدوه سبًّا لهم، يقع صاحبه في دائرة الرذء التي توجب الاستتابة أو القتل [\(٢\)](#) والشيعة لا يعتقدون بعدلة جميع الصحابة، ويوجهون النقد لهم، وهذا ما يشير أهل السنة عليهم. ليس فقط بسبب معتقد العدالة، وإنما لكون الصحابة يمثلون الركيزة الأساسية في عقيدتهم، ومحاولة النيل منهم أو المساس بهم، قد يهدم معتقداتهم ويضيئ مذهبهم، الذي يقوم على الرجال أكثر مما يقوم على النصوص.

وإذا كان أهل السنة يؤمنون بعدلة الصحابة، فإن الشيعة يعتقدون بعصمة أهل البيت الاثني عشر، بدايةً من الإمام علي، وحتى الإمام المهدي [\(ع\)](#).

وفكرة تكفير الصحابة التي تُلخص بالشيعة، ليست سوى

١- انظر: سورة التوبه، كمثال يفضح من حول الرسول.

٢- انظر: كتب العقائد؛ وانظر: فتوى السبكى في جواز قتل ساب الصحابة؛ وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى، ص ١٢٨ وما بعدها؛ وانظر فتوى أخرى في: رسائل ابن عابدين. وقد تم قتل الكثير من الشيعة بتهمة سب الشيختين. انظر: حوادث عام ٧٥٥ هـ في البداية والنهاية.

ص: ١٧٤

محاولة من الوهابيين لإثارة المسلمين ضد الشيعة، فالفرق كبير بين أن يكون لهم موقف من بعض العناصر التي كانت حول الرسول (ص)، والتي يعدّها أهل السنة من الصحابة، وبين موقف من عموم الصحابة.

والازمة تكمن في أنَّ أهل السنة لا يفرقون بينَ من كان حول الرسول، والشيعة يفرقون بينهم.
وأساس الإشكال يكمن في معاویة ووالده وأُمّه، ومنْ كان على شاكلتهم. فالشيعة يعتقدون بعدم إسلام معاویة ووالده وأُمّه، وأنَّهم من اللقاء. ويكون أيضاً في أصحاب السقية، وأصحاب الجمل، وأصحاب صفين.

وبالجملة، يتَّخذ الشيعة الإمام على وأهل البيت مقاييساً في مواجهة الآخرين؛ فمَنْ كان مواليًّا لهم، كان مقبولاً عندهم، ومن خاصمهم وعاداتهم، كان مرفوضاً.

وأهل السنة يعتقدون بأنَّ خير الناس بعد رسول الله أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ على في المرتبة الرابعة. وهو الاعتقاد الذي يرفضه الشيعة، مقدِّمين عليناً على الجميع.

قال الأشعري: (وشدَّ قوم منهم أى من أهل السنة فقال: إنَّ علياً أفضَل من الشيفين) [\(١\)](#)

وقال ابن حزم: (ذهب بعض أهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، وجميع الشيعة، إلى أنَّ أفضَل الأمة بعد

١- انظر: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ١٣١.

ص: ١٧٥

رسول الله على) (١)

والسؤال هنا: ما هو الضرر من الاعتقاد بأفضلية على وأهل البيت: على الجميع؟

والجواب: أنه ليس هناك ضرر، لا على الإسلام، ولا على المسلمين، وإنما الضرر يقع على من جعل الصحابة رُكْنَ من أركان الدين. أما مسألة التكفير، فتوجد في بعض مصادر الشيعة، وقال بها البعض من متطرفِهم. إِلَّا أَنَّهَا لَا تَعْبُرُ عَنِ الْمُعْتَقَدِ الْعَامِ لِلتَّشِيُّعِ، تَمَامًا كَمَا لَا تَعْبُرُ أَفْكَارَ وَمَوَاقِفِ ابْنِ تَيْمَةَ وَابْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ التَّكَفِيرِيَّةَ عَنِ أَهْلِ السَّنَّةِ.

وفكرة العصمة من الأمور التي وضعت الشيعة في دائرة الاستهداف؛ لكونها فكرة غير مفهومة من قبل الخصوم، كما هو حال فكرة الغيبة.

إِلَّا أَنَّ الشِّيَعَةَ يُبَرِّهُنَّونَ عَلَى عَصْمَةِ الْأَئمَّةِ بِالْعَدِيدِ مِنِ النَّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالنَّبُوَيَّةِ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ مِنْكُمْ) [\(٢\)](#) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا [\(٣\)](#)

١- انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ١١١.

٢- النساء: ٥٩.

٣- الأحزاب: ٣٣.

ص: ١٧٦

وأقوال الرسول (ص) التي تحضّ على الكتاب والعترة.

والآية الأولى ربطها أهل السنة بالحكام، وجعلوها دليلاً على وجوب طاعتهم. بينما يرى الشيعة أنَّ ربط طاعة أولى الأمر بطاعة الله والرسول يعني عصمتهم، وتقيدهم التام بهذه الطاعة؛ الأمر الذي ينطبق على أهل البيت لا على الحُكَّام.

والآية الثانية خصصها أهل السنة في نساء النبي. بينما اعتبرها الشيعة من الأدلة القاطعة على عصمة أهل البيت.

وفيمما يتعلق بأحاديث الكتاب والعترة، فهى متقدّق عليها بين الشيعة والسنّة، إلَّا أنَّ السنّة لا يعتبرونها ميزة لأهل البيت، فى الوقت الذى يعتقد الشيعة أنَّ ربط العترة بالكتاب يعني عصمتهم؛ لكون الرسول (ص) لا يربط بالكتاب إلَّا من كان ظاهراً أميناً عليه. وكذلك فكرة غيبة الإمام المهدى لها شواهدنا من القرآن والسنة.

القرآن ذكر أنَّ نوحًا لبث يدعوه قومه سنة إلَّا خمسين عاماً، وذلك بالإضافة إلى سنِّ عمره. وذكر كذلك قصة ياجوج وماجوج، المنتظرتين خلف السد النحاسى الذى بناه ذو القرنين من آلاف السنين. وذكر قصة عُزير الذى أماته الله مائة عام ثمُّ أحياه. وقصة أهل الكهف الذين أماتهم الله ثلاثةمائة عام ثمُّ بعثهم.

وأهل السنة يعتقدون في حياة الخضر، وأنَّه عبد الصالح

ص: ١٧٧

الذى رافق موسى (ع).

وطول عمر الإنسان ليس قضية مُستهجنَة، والاعتقاد فيها لا يمس ثواب الدين في شيء، فقط إنَّ هذا الاعتقاد يصطدم بمعتقدات بعض مذاهب أهل السنة، وعلى رأسهم الوهابيين.

وفيما يتعلَّق بنكاح المُتعة، فهو قضية فقهية لا صِلَة لها بأصول الدين. الشيعة يُبيحونه وأهل السنة يحرّمونه. وهو نكاح ضرورة أمر به الرسول (ص) لرفع الضرر عن صحابته في الغزو والترحال، والخلاف يدور حول نسخه أو استمرار العمل به.

أهل السنة يقولون إنَّ الرسول نهى عنه قبل وفاته، وبذلك انتهى أمره. بينما الشيعة يقولون باستمراره من بعد الرسول (ص). إلا أنَّ روایات أهل السنة لا تقطع بنسخ هذا النكاح، بل تُشير إلى استمراره والعمل به من قبل الصحابة بعد الرسول (ص). ومن هذه الروايات:

عن جابر: (كُنَّا نستمتع على عهد رسول الله وعهد أبي بكر، وسنين من عهد عمر).

وأخرى تقول: (نزلت آية المتعة في كتاب الله، ولم ينْهِ عنه أى الرسول - حتى مات). الآية هي: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَمَا تُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ .. (١)**

ورواية أخرى تقول: (خطب ابن الزبير بمكة فقال: إنَّ أنساً

١- النساء: ٢٤.

ص: ١٧٨

يقولون بالمعتة، أعمى الله أبصارهم. فسمعه ابن عباس وكان قد فقد بصره، فأمر سائقه بالتوجّه نحوه، وقال له: إنّما المعتة كانت على عهد إمام المتقين. فقال ابن الزبير: لئن فعلتها لأرجمنك بالحجارة).

وابن عباس كان من القائلين بالمعتة، واستمرّ على قوله حتى مات [\(١\)](#)

ويتحصّن فقهاء أهل السنة بموقف عمر الناهي عن المعتة، بينما هو في الحقيقة يدلّ على استمرارها بعد رسول الله، وفي عهد الخليفة الأول.

والسؤال هنا: هل من حقّ عمر أن ينهى عن حكم شرعى أباحه رسول الله؟

ويرهن أهل السنة على حرمة نكاح المعتة بروايتين، هما:

* رواية خير التي تقول: (نهى رسول الله عن المعتة والحرم الأهلية).

* رواية فتح مكة التي تقول: إنّي قد أبحث لكم المعتة، إلا إنّي أنهى عنها إلى يوم القيمة.).

هذا، بينما يقومون بتأويل الروايات الأخرى التي تُشير إلى إباحته، واستمراره بعد وفاة الرسول [\(ص\)](#)، ويستندون على نهي عمر.

ورواية خير شكّك فيها فقهاء الأثر، وقالوا: إنَّ الثابت هو

١- انظر: مسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المعتة. وشرحه ج ٩، ص ١٨٨ النووى؛ وانظر: كتب الفقه. وابن عباس توفي عام ٦٨ هـ. وزمن هذه الرواية بعد استيلاء ابن الزبير على مكة.

ص: ١٧٩

تحرير الحمر الأهلية لالمتعة.

رواية الفتح شَكْكَ فيها البخاري وغيره.

والامر برمته محل جذب وشدّ بين الفقهاء، مما يشير إلى عدم القطع بحرمة (١)

تفقية

ويحلو للوهابيين دائمًا - أن يتهموا الشيعة بتبنّيهم التفقيه في مواجهة أهل السنة، وإظهار غير ما يبطنون من الكفر والزندقة حسب دعواهم، وهو اتهام لاحق الشيعة من القدم، ولازال الوهابيون يرددونه حتى اليوم.

والتفقيه مبدأ يلتزم به كل من يشعر بالخوف على نفسه من بطش الآخرين به، وهو مبدأ الأقلية المستضعفة المُضطهدة في مواجهة الأكثريّة المستبدّة المستكبرة.

وطوال التاريخ كان أهل السنة يمثلون التيار السائد والظاهر في بقاع المسلمين، ويبطشون - بمساعدة الحكام - بالمخالفين لهم من شتى المذاهب والتيارات، وفي مقدمتهم الشيعة. فمن ثم لم يكونوا بحاجة إلى التفقيه، لشعورهم بالأمن والاستقرار. من هنا اضطر الشيعة وغيرهم لإخفاء عقيدتهم عن العامة، والتظاهر بالتسنن؛ من أجل تجنب البطش بهم والحفاظ على حياتهم. وهو حق مشروع لهم. وهو المقصود

١- انظر: زاد المعاد لابن القيم، باب غزوء خير؛ وكتب الفقه؛ وانظر: زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة.

ص: ١٨٠

من الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق (ع)، مثل: (التفقية ديني ودين آبائي)، ومثل: (من لا تفقيه له، لا دين له). ومثل هذه الروايات كان الهدف منها هو حث الشيعة على عدم إبراز عقيدتهم؛ تجنباً للأذى والملaque والقتل.

وعلى الرغم من ذلك، كانت عقائد الشيعة وأحكامهم ظاهرة ومعلنَة، من خلال كتبهم المنتشرة في كل مكان، ومن قرون طويلة. يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إنَّ المرء مكْلُفٌ بكتابَنَ عقائدهِ أَمامَ المُتَعَصِّبِينَ، الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْمَنْطَقَ، إِذَا كَانَ فِي إِظْهَارِهِ خَطَرٌ عَلَى حَيَاةِ أَوْ شَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْقَبِيلَ، دُونَ أَنْ يَحْقُّ مِنْ وَرَاءِ إِظْهَارِهِ أَئِمَّةٌ تُرْتَجِيُّونَ). ويُطلق على هذا السلوك اسم التفقية، التي أخذناها من القرآن والدليل العقلاني) [\(١\)](#)

ويعتبر فقهاء الشيعة أنَّ التفقية قد تكون في بعض الأوقات من المحرمات.

يقول الإمام الخميني: (تحرم التفقية في بعض المحرمات والواجبات، التي تمثل في نظر الشرع مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والرَّد على الإسلام والقرآن، وغيرها ..) [\(٢\)](#)

والشيعة اليوم ظاهرون في الأرض بعقائدهم ومبراعهم، ولهم دول تساندهم وتبني عقائدهم، بما الذي يدعوهـم

١- انظر: عقيدتنا.

٢- انظر: الرسائل. وهدم الكعبة وقع على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، حين حاصر ابن الزبير في مكة. وعلى يد السعوديين والفرنسيين، الذين استعنوا بهم لإخراج جماعة جهيمان العتيبي، الذين اعتصموا بالحرم عام ١٤٠٠هـ.

ص: ١٨١

لتبّنى التقىءة في مواجهة الآخرين؟!

لقد انتهى دور التقىءة بالنسبة للشيعة اليوم، بعد أن تحقق لهم الأمان والاستقرار في الكثير من البقاع، وبعد أن أصبح صوتهم وكلماتهم تصل لكل مكان.

وبقي على الوهابيّين، الذين لا زالوا يعيشون بعقل الماضي، أن يدرّكوا أن فرقهم المختلفة، من تكفيريّين و الجهاديّين و سلفيّين متطرّفين، هي التي تتبّنى التقىءة اليوم. وأنّهم يعيشون في عصر مفتوح لا يتحمل مثل هذه الأكاذيب الساذجة والدعوى المختلفة. ولا يستحق الوهابيّون من نسبة التكبير إلى الشيعة، وهم الذين يكفرُون المسلمين في كل مكان، سنة وشيعة، وقد ابتلاهم الله مؤخراً بالفرق المتطرفة التي خرجت من تحت عباءتهم، لتشهر سلاح التكبير في وجوههم، حتى ضاقوا بها، وعقدوا مؤتمراً لمواجهتها، وأصدروا البيانات فيها، وتصدّوا لها بالعديد من المنشورات (١)

الشيعة والتتر

وتتبّنى الوهابيّون دعوى تأمر الشيعة مع التتار ضدّ دولة الخلافة العباسية، وهي دعوى أثارها إمامهم ابن تيمية من قبل.

- ١- من نماذج هذه المنشورات: التبصير بقواعد التكبير، والتحذير من المجازفة بالتكفير، والأسئلة الشامية واليمنية والقطريّة والنجدية في مسائل الإيمان والتكفير.

ص: ١٨٢

ومثل هذه الدعوى تكشف لنا مدى حقدهم على الشيعة، الذى أغرقهم فى النقل بلا وعي، والتقط كل دعوى باطلة أو أكذوبة واهية، لينالوا بها منهم.

وقد أصدر الوهابيون مؤخراً منشوراً بعنوان: (خيانت الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية)، وبدا من خلال محتوياته أنَّ صاحبه مجرَّد ناقل بلا وعي، ولاعلم له بالتاريخ ولابحوثه.

ومن نماذج الخيانات التى أبرزها فى منشوره:

- * خيانة الوزير على بن يقطين لهارون الرشيد.

- * خيانة الخليفة الناصر العباسى.

- * خيانة الفاطميين.

- * خيانة القرامطة والبوهيميين.

- * خيانة الوزير ابن العلقمى للخليفة المستعصم العباسى.

- * خيانة نصير الدين الطوسى.

هذا بالإضافة إلى خيانات النصيرية والدروز، والشيعة فى لبنان والعراق والبلاد العربية والهند.

أما ابن يقطين، فبغض النظر عن نوع الاتهام الموجه إليه من قبل هذا الوهابي، فهو مجرَّد مسؤول، وليس فقيهاً من فقهاء الشيعة.

ومن جهة أخرى، فقد تمَّ تعينه وزيراً عن طريق الخليفة (الستي) هارون، والتعيين من قبل الحكومات إنما يقوم على

ص: ١٨٣

أساس الكفاءة، لا على أساس المذهب.

والسؤال هنا هو: إذا كان ابن يقطين شيعياً خائناً، فلماذا قبله هارون وزيراً له؟!

ولو تبيّنا هذه النظرة القاصرة، التي ينظر بها الوهابيون لكلّ شيعي باعتباره خائناً، دون النظر لوضعه ومكانته، لاعتبرنا السنة جميعهم خونة؛ لوجود الكثير من الوزراء والحجّاب والأمراء والقادة والولاة، الذين خانوا خلفائهم وببلادهم، على مستوى الماضي والحاضر. والعقل والمنطق، الذي لا يعرفه الوهابيون، يقول: إنّ هؤلاء جميعاً، سواء كانوا من الشيعة أم من السنة، إنما تحكمهم المصالح، ولا شأن لهم بالدين والمعتقد.

وفيما يتعلّق بال الخليفة الناصر، فقد روى عنه ابن كثير ما يلى: (كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً لهم، فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشيء ضدّه، وإن كان ما ينسب إليه صحيحاً، من أنه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم؛ فهو الطامة الكبرى الذي يصغر عندها كلّ ذنب) (١)

والناصر هو خليفة سنّي متّعصب، كما ذكر ابن كثير في ترجمته، وهو جدّ المستعصم، آخر خلفاء بنى العباس، الذي سقط في قبضة التتار. وصاحب المنشور غاب عنه ذلك بسبب جهله ونقله العشوائي، فنسب الناصر إلى الشيعة

١- نَقَلَ هذا الكلام عن ابن الأثير. انظر: الكامل، ابن الأثير، ج ١٣، حوادث عام ٦٢٢هـ.

ص: ١٨٤

دون تبيّن. وكانت هذه سقطة من سقطاته وأكذوبة من أكذوباته.
أمّا خيانة الدولة الفاطمية، فيقصد بها عملها على نشر التشيع ومحو السنة.

وهذا الوهابي، كما حال الحنابلة القدامي وإمامه ابن تيمية، الذين يحتكرون الدين ويمثّلون رب العالمين، لا يريد أن يسود مذهب في الأرض إلّا مذهبهم، وسيادة المذاهب الأخرى، حتى ولو كانت مذاهب سنّية، فهو يعدّ خيانة للدين وللمسلمين!
والقراطمة الذين ذكرهم لا شأن لهم بالشيعة، وإنّما هي سُنّة ابن تيمية التي يتبعّد بها، والتي أصقت كل الفرق بالشيعة، من باب تزيف الحقائق وتسهيل تشویه الشيعة.

والبويهيون أو (آل بويه) هم من الفرس الذين استعان بهم خلفاء بنى العباس، وقد بروزاً في بغداد وأعلنوا التشيع وأحيوا الشعر الشعريّة من بعد غياب طويل، مما استغفروا الحنابلة المترتبصين بهم، والذين عاظهم هذا الأمر؛ فأعلنوا الحرب على الشيعة، واستكثروا عليهم هذا البروز، والأمن الذي حُرموا منه طويلاً^(١)
ولمّا كان الحنابلة يعتبرون الخليفة العباسى هو ظلّ الله في الأرض، فقد اعتُبر الشيعة البويهيون خونة؛ لاغتصابهم

١- انظر ترجمة آل بويه في: يتيمة الدهر في محسنات أهل العصر للشعالي، ج ٢، ص ٢٥٥؛ ووفيات الأعيان لابن خلkan، ج ٥، ص ١٢٤؛ والغخاري في الأحكام السلطانية لابن طباطبا؛ وانظر أيضاً في كتب التاريخ: حوادث عام ٣٢٠هـ، وعام ٣٥٢هـ.

ص: ١٨٥

السلطة من هذا الخليفة. وكذلك اعتبر حنابلة العصر، من الوهابيين، هذا الحدث خيانة عظمى.

ويأتي دور الحديث عن ابن العلقمي والطوسى.

ومرة أخرى نعيد السؤال: إذا كان ابن العلقمي شيئاً خاتماً، فلماذا جعله المستعصم وزيراً له؟!

والجواب سوف يتضح من خلال سرد الحوادث التي سبقت سقوط بغداد، والحوادث التي واكبت السقوط.

تُشير المصادر التاريخية أنَّ المسلمين كانوا في حالة انقسام وتناحر في البلاد المحيطة ببغداد، وقد فقد الخليفة نفوذه، وخرجت الأمور

من تحت سيطرته. وكانت الشام في قبضة الأيوبيين، من أبناء صلاح الدين، الذين تحولوا إلى فرق متناحرة ودول متصارعة.

كان الملك الصالح إسماعيل، صاحب بعلبك وبصري والشام، وملك دمشق بعد أخيه الملك الأشرف، ثم انزعها منه أخيه

الكامل، مما أدى به إلى الاستعانة بالإفرنج على حرب أخيه.

ونقول للوهابي صاحب المنشور: أليست هذه خيانة؟!

وكان وزيره أبو الحسن السامری، ما كان مسلماً ولا سامرياً -حسب تعبير الذہبی في تاريخه-، بل كان يسْتَر بالاسلام، ويُبالغ في

هداه.

ومرة أخرى نقول للوهابي الحقاد: ما رأيك في هذا الكلام، أليس هو خيانة أيضاً؟!

ص: ١٨٦

قال الذهبي: (واعتصد الصالح إسماعيل بال Afranj وسلم إليهم القدس، وطبرية، وعسقلان. وجناياته على المسلمين ضخم) (١)
 وكانت (حمة) في يد الملك المنصور.
 و (الكرك) في يد المغيث ابن العادل.
 و (الموصل) في يد لؤلؤ.

وفي عام ٦٥١ هـ نزح الكثير من الجنود من بغداد إلى الشام؛ بسبب قطع أرزاقهم.

وفي عام ٦٥٤ هـ، أي قبل دخول التتار بعامين، كان حال المسلمين كما يلى:

- * كان التتار في خراسان وببلاد ما وراء النهر.

- * وكان الخوارزم في بلاد المشرق، بالقرب من العراق.

- * والشام مقسمة بين أبناء صلاح الدين.

- * ودولة المماليك قد بدأت في الظهور بمصر.

- * وبغداد وبعض مناطق العراق للمُستعصم.

- * وكانت هناك صدامات بين الخوارزم والأيوبيين.

- * وبين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام.

- * والttar كانوا يراقبون كل ما يجري.

١- انظر: ترجمته في حوادث عام ٦٤٨ هـ في تاريخ الإسلام الذهبي، ج ٤٧، ص ٣٨٢ وما بعدها، وقال الذهبي عنه: وبدت منه هنات عديدة واستعان بالفرنج على حرب أخيه ... وقال أيضاً: فلما سلطن الصالح إسماعيل واعطى الفرنج الشقيق وصفد نال منه الغربن عبد السلام على المنبر فعزله الصالح وحبسه ...، ج ٤٨، ص ٤١٧.

ص: ١٨٧

* وال الخليفة في بغداد لا حول له ولا قوَّة .. [\(١\)](#)

وكان التتار يرسلون رسلهم وجواسيتهم إلى بغداد، من غير تحاشى ولا خيفة، وال الخليفة والناس في غفلة عما يُرَاد بهم، وذلك قبل دخولهم بغداد عام كما ذكر الذهبي.

ووصف الذهبي حال الشام في ذلك العام بقوله: (أنْ ارتفعت منها البرَّكات، وأحيط بها الظلم والظلمات، والأسوق كاسدة، والرعايا فاسدة، وظهرت الخيانات، وعلَّت المُنَكَرات) [\(٢\)](#)

وهنا نتوَّجه للوهابي صاحب المنشور بالسؤال التالي: من المسئول عن هذا الانقسام والخراب والفساد والخيانات، السنة أم الشيعة؟!
والجواب حسب طريقته هو، أنَّ السنة هم المسئولون. إلَّا أنَّ الحقيقة هي أنَّ كل ما كان يجري لا صلة له بالسنة، فضلاً عن كونه لا صلة له بالشيعة، إنَّما هو صراع نفوذ ومصالح، لا صلة له بالدين من الأصل.
وهذا ما كان يجب أن يفهمه الوهابيون.

وبالطبع، يمكن القول أنَّ العلقمي لا صلة له بما يجري، ولا دور له فيه.

وفي العام السابق لغزو التتار بغداد، غزو بلاد خوارزم،

١- انظر: حوادث عام ٦٥٣ هـ و ٦٥٤ هـ ج ٤٧، ص ٣٣٨ وما بعدها، وج ٤٨، ص ١٧ وما بعدها، وانظر كتب التاريخ الأخرى.

٢- انظر: حوادث عام ٦١٥ هـ و ٦١٦ هـ في المختصر في أحوال البشر، ج ٣، وغيره من كتب التاريخ.

ص: ١٨٨

واستولوا عليها، وهرب من أمامهم شاه خوارزم، ثم أغاروا بعد ذلك على الموصل.

قال ابن كثير عن المستعصم: (كان رحمة الله سنية على طريقة السلف واعتقاد الجماعة، كما كان جده وأبوه، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، ومحبة للمال وجمعه. ومن جملة ذلك أنه استحل الوديعة التي استودعها إياه الناصر داود، وكانت قيمتها نحو ألف دينار، فاستُقبح هذا من مثل الخليفة، وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير، بل من أهل الكتاب من إن تأمه بقسطار يؤدّه إليك) (١)

وقال: (... ولم تكن أيدى بنى العباس حاكمة على جميع البلاد، كما كانت بنى أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار، فإنه خرج عن بنى العباس بلاد المغرب. وقارن بنى العباس دولة الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب وما هنالك، وببلاد الشام في بعض الأحيان، والحرمين في أزمان طويلة، وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر، وتداولها الملوك دولاً بعد دول، حتى لم يبق للخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق؛ وذلك لضعف خلافتهم، واستغلالهم بالشهوات وجمع المال في أكثر الأوقات) (٢)
وقال الذهبي: (لما توفي المستنصر - والد المستعصم، لمير الدویدار والشرابی والکبار تقليد الخفاجی شقيق المستعصم الذى يوصف بالشجاعة والشهامة الأمر، وخافوا

١- انظر البداية والنهاية، ج ١٣، حوادث عام ٦٥٦هـ.

٢- انظر البداية والنهاية، ج ١٣، حوادث عام ٦٥٦هـ.

ص: ١٨٩

منه وآثروا المستعصم؛ لما يعلمون من لينه وانقياده وضعف رأيه؛ ليكون الأمر إليهم، فأقاموا المستعصم، ثم رکن المستعصم إلى وزير ابن العلقمي، فأهللَ الحرج والنسل، وحسن له جمع الأموال والاقتصار على بعض العساكر، وقطع الأكثر. فوافقه على ذلك. وكان فيه شحّ وقلةً معرفةً وعدم تدبير، وحبّ للمال وإهمال للأمور، وكان يتكل على غيره، ويقدم على مالاً يليق وعلى ما يستتبع، وكان يلعب بالحمام ويُهمل أمر الإسلام ..^(١)

ومن خلال ما سبق، يتبيّن لنا ما يلى:
إنَّ المستعصم لم يكن مؤهلاً لتولِّي الخلافة، ولم يكن على دين أو خلق، وقد خان الأمانة. ورغم ذلك يعتبره ابن كثير سَيِّداً سَلَفيَاً على معتقد أهل السنة.

ويبدو من خلال رواية الذهبي أنَّ رجال البلاط أو الحاشية هم الذين اختاروه ونَصَبوه، رغم ضعفه وعدم كفاءته، وأهملوا شقيقه الأجدر منه، والذي كان يقول -حسبما روى الذهبي-: إنْ ملَكَنِي الله، لا عَبْرَنَ بالجيوش نهر جيحون، وانتزع البلاد من التتار واستأصلهم.

وهذا يشير إلى أنَّ هذه الحاشية كانت تخدم مصالحها، لا مصالح الإسلام والمسلمين، ولم يكن يعنيها الخطر التَّترى الذي يقترب من دولتهم.

وإذا كان العلقمي هو الذي زَيَّنَ للمستعصم جمع المال

١- تاريخ الإسلام للذهبي، ج ٤٨، ص ٢٦٠.

ص: ١٩٠

وتسریح الجند، فذلك لكون طبیعته تمیل إلى ذلك. فهو كما وصفه ابن کثیر والذهبی، كان فيه غفلة وحب للمال وميل للشهوات. يروی الذهبی: (كان تاج الدين بن صلایا، نائب إربل، يُحدِّر الخليفة ويحرِّك عزمه، والخليفة لا يتحرَّك ولا يستيقظ). وهذا دلیل على إهمال الخليفة وتقاعسه عن الاستعداد لمواجهة التار.

ويروی: (وركب هولاکو إلى العراق .. وفي جيشه خلق من الكرخ ... ومیَدَ من صاحب الموصل (الملك لؤلؤ)، مع ولده الملك الصالح رکن الدين إسماعيل ...

وحصلا منه هولاکو - على فرمان بتوی القضاء، إلا أنَّ صدر الدين توفى، فقام ابن الزکی بانتراع المدارس لنفسه وأصحابه، وبقى على هذا الحال إلى أن زالت دولة الطاغية هولاکو من الشام ... فبذل أموالاً للمماليک على أن يقر القضاء والمدارس في يده، فأقرَّ على ذلك شهرًا ثم عزل) ^(١)

وهذه صورة أخرى من صور الخيانة لاثنين من فقهاء أهل السنة تعامل عنها الوهابيون، أو لم يعلموا بأمرهما من الأصل؛ لكونهما مجرد ناقلين.

ويروی ابن کثیر في حوادث عام ٦٥٦هـ: (استهلت هذه السنة وجنود التار قد نزلت بغداد، وجاءت إليهم إمدادات صاحب الموصل يساعدونهم على البغادَة، خوفاً من التار

١- انظر: الذهبی، حوادث عام ٦٥٧هـ.

ص: ١٩١

ومصانعه لهم، فتجدهم الله، وأحاطت التمار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى أُصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتُضحكه، وكانت من جملة حظياءه. وكانت مولدة تسَّى (عرفة) جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، وهي ترقص بين يدي الخليفة).

ومثل هذه الروايات إنما تفضح أكاذيب الوهابيين، وتكشف غبائهم وجهلهم بحوادث التاريخ، وتضليلهم للمسلمين.

وكيف يعقل أنَّ هناك خليفة محاصر من قبل عدوه، بينما هو يلهو ويلعب مع جواريه؟!

وهل مثل هذا يستحق أن يُبكي عليه، أو على دولته التي كانت مرشحة للسقوط منذ عقود؟!

وهل بعد هذا كله يمكن لنا أن نُلقى بتبعه سقوط بغداد على العلقمي؟!

وهل مثل هذه الدولة المنهارة في حاجة لمثل العلقمي ليُسقطها؟!

وهل لو كان العلقمي سنياً، كانوا وجّهوا له مثل هذا الاتهام، وركزوا عليه كل هذا التركيز؟!

وهل يمكن لقائد محنك، مثل هولاكو، أن تحرّكه رسالة من العلقمي، دون أن يكون قد أحاط بالأمر وتيقن من النصر؟!

إنَّ الذي أسقط بغداد هم الخوارزميون السنة، والأيوبيون السنة، وحاشية المستعصم السنة، وليس ابن العلقمي سوى الضحية التي

قدَّموها كبش فداء؛ ليداروا بها فشلهم

ص: ١٩٢

وخياناتهم.

قال ابن تيمية: (وكان من أسباب دخول هؤلاء التار ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع) [\(١\)](#). ونقل قول ابن دقيق العيد: (إنما استولت التار على بلاد المشرق، لظهور الفلسفة فيهم، وضعف الشريعة) [\(٢\)](#)

أما الطوسي، فقد أثني عليه المؤرخون عدا ابن تيمية، الذي يعادى الفلسفة والمناطقة. ولم يُشيروا إلى شيء يتعلّق بخيانته، فكُلّ تركيز المؤرخين كان على ابن العلقمي [\(٣\)](#)

ويحاول الوهابيون الربط بين سقوط بغداد في الماضي على يد التار، وسقوطها في الحاضر على يدي الأميركيان، مؤكدين أنَّ المتسبِّب في الحالتين هم الشيعة.

وهذه حقيقة البليد، إذ أنَّ هذا يعني أنَّ صدام الذي أسقطه الأميركيان، مساوٍ للمُستعصم، وهو عند الوهابيين يجب أن يتساوى مادام سِيّاً، ومادام الأمر يتعلّق بالشيعة.

والقوات الأميركيَّة التي غزت العراق، انطلقت من قواعدها في معقل الوهابيَّة التي استوطنت فيها، بفتاويهم التي أجازت الاستعنة بالمرشكيين.

١- انظر: مجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ١٨٠.

٢- المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤١ وما بعدها.

٣- انظر ترزيَّة المؤرخين للطوسي، وفي مقدّمتهم ابن كثير والذهبي، تلميذى ابن تيمية، في: البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٣٧٦، حوادث ووفيات عام ٦٧٢ هـ؛ وتذكرة الحفاظ، ج ٤، ترجمة رقم ١٤٩٤؛ والوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٧٩. وكتب التاريخ الأخرى.

ص: ١٩٣

أليس هذا يعد خيانة للإسلام والمسلمين؟!

وبعد كل هذا، يتحدى الوهابيون عن خيانات الشيعة؟!

وفيما يتعلق بالصلبيين، فقد تبني الوهابيون موقف ابن تيمية، وأخذوا في تصييد بعض المواقف للفاطميين، وبعض الفرق المنسوبة للشيعة في بلاد الشام، من الصليبيين. وخرجوا منها بنتيجة تؤكد عماله الشيعة للصلبيين.

والمسألة، كما تبدو من ظاهرها، عدم وعي بقراءة التاريخ، وعدم فهم لحوادثه، كما هو حالهم فيما يتعلق بربط الشيعة بالتارىخ والدول والحكومات لا يجوز اعتبار مواقفها وممارساتها دليلاً على المعتقد؛ فإن الدول تحكمها المصالح لا العقائد. وهذا الأمر ينطبق على الدولة الفاطمية، المحسوبة على الشيعة، وغيرها من الدول المحسوبة على السنة.

وقد ذكرنا فيما سبق صور لخيانات بعض أبناء صلاح الدين في الشام، وتعاونهم مع الصليبيين ضد أشقائهم ضد المسلمين، واعتبرنا أن هذا الموقف لا صلة له بالسنة ولا بالمستشرقين.

وكذلك مواقف الدولة الفاطمية، أو الصفوية، أو الجمهورية الإسلامية. إن صحت فهى لا صلة لها بالشيعة والتشيع. الدول الشيعية ليست حججاً على التشيع. والدول السنوية ليست حججاً على التسنين. وكذلك النصيرية أو الدروز، أو غيرهم من الفرق البعيدة عن الشيعة الإمامية. لا يجوز لنا أن

ص: ١٩٤

نربطها بهم.

إِلَّا أَنَّ الْوَهَابِيْنَ لَا يُمِيَّزُونَ، سِيرًا مَعَ سَنَّةِ ابْنِ تِيمِيَّةِ، الَّذِي خَلَطَ مَا بَيْنَ الشِّيَعَةِ الْإِمامِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَسَائِرِ الْبَاطِئِينَ، وَجَعَلَ الْجَمِيعَ حُرْمَةً وَاحِدَةً.

وَإِذَا كَانَ الْوَهَابِيُّونَ حَرِيصُونَ عَلَىِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَلْقَوْنَ بِتُهْمَةِ الْخِيَانَةِ عَلَىِ الشِّيَعَةِ مَا بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخِرِ، فَلِمَذَا يُتَغَاضَوْنَ عَنِ الْخِيَانَاتِ السَّنَّةِ عَبْرِ التَّارِيخِ؟!

وَلِمَذَا يُتَغَاضَوْنَ عَنِ الْخِيَانَاتِ آلِ سَعْوَدِ، وَتَعَاوُنِهِمُ الْفَاضِحُ وَالْمُعْلَنُ مَعَ الْمُشَرِّكِينَ الصَّلِيَّبِيِّنَ؟!
وَخِيَانَاتِ الْأَنْظَمَةِ الْحَاكِمَةِ الْأُخْرَىِ، فِي مِصْرَ وَالْخَلِيجِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَرْدَنِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَلَادَنِ الَّتِي تَعْدُ سَنَّيَةً فِي مَنْظُورِهِمْ؟!
وَلِمَذَا يَغْفِلُونَ صُورَ الْبَطْوَلَةِ وَالْجَهَادِ الَّتِي قَامَ بِهَا سِيفُ الدُّولَةِ الْحَمْدَانِيُّ (الشِّيَعِيُّ) ضَدَّ الصَّلِيَّبِيِّنَ، وَالَّتِي تَغْنَىَ بِهَا الشِّعْرَاءُ؟!
وَالْجَوابُ بِبِسَاطَةٍ: أَنَّهُمْ يَنْقُلُونَ لَا يَبْحُثُونَ، وَيَكْفُرُونَ لَا يَبْصُرُونَ.

الألاعيب

وَلِمَ يَكْتُفِ الْوَهَابِيُّونَ بِإِصْدَارِ الْمَنْشُورَاتِ الَّتِي تَنْشَرُ الْأَكَاذِيبُ حَوْلَ الشِّيَعَةِ، بَلْ قَامُوا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، بِعَضِ الْأَلاعِيبِ الَّتِي تُثِيرُ الرَّأْيَ الْعَامَ ضَدَّهُمْ.

ص: ١٩٥

ومن هذه الألاعيب .. قيامهم بإصدار منشورات بأسماء شخصيات وهمية منسوبة للشيعة، تعلن خروجها من دائرة الشيعة، وكفرها بعقائدهم.

ومن بين هذه المنشورات، منشور صدر بعنوان: (الله ثم للتاريخ). وهو منشور صغير، (١١٢) صفحة، نسبة الوهابيون لشخصية مزعومة، نسبوها لعلماء الشيعة في النجف، وهو حسين الموسوي.

كانت أُمنيته أن يُصبح مرجعًا يتَرَجَّعُ إليه الحوزة الدينية، عرض فيه تجربته مع الشيعة، بعد أنقرأ جميع مصادرهم المعتبرة وغير المعتبرة، وكل كتاب وقع في يده، وأخذ يكتب تعليقاته على ما يقرأ، ولما انتهى من قراءاته للمصادر المعتبرة؛ وجد عنده أكداً من قصاصات الورق، فاحتفظ بها، عسى أن يأتي يوم يقضى الله فيه أمرًا كان مفعولًا. وكانت له علاقات حسنة مع كل المراجع والعلماء والساسة، وكان يخالطهم ليصل إلى نتيجة تُعينه على اتخاذ القرار الصعب، الذي اتَّخذه رغم انتقام الشيعة، فأصدر كتابه هذا، وهو على يقين أنه سيلقي القبول عند طلاب الحق، لا أهل الصلاة أصحاب المتعة والخمس، الذين لبسوا العمائم وركبوا المرسيدس والسوبر، حسب تعبيه ..

ويظهر لنا من خلال مقدمة كاتب المنشور، أن لغته ضعيفة وساذجة، ولا تناسب مع لغة عالم كبير، قرأ وتبَرَّ في مصادر الشيعة، والتقي بالكبير والصغير، وناقش وناظر. إذ

ص: ١٩٦

كيف لمَنْ خاض هذه التجربة درس وقرأ، أن يخرج في النهاية بهذا المنشور الصغير والضعف، والذى يُعدّ صورة مكررة من منشورات الوهابيين الأخرى.

من هنا كشفت الحقيقة وتبيّن أنَّ كاتب هذا المنشور هو واحد من الوهابيين المتّبِّعين بالشيعة، وقد تسلّم باسم شيعي لا وجود له. ولو كانت هذه الشخصية حقيقة، وهي بهذا الوزن والتاريخ، حسبما يبدو من كلامها؛ لأحدث ظهورها ضجّة كبيرة، ولبرزت أمام الرأى العام، واحتفل بها الوهابيون.

والطريف أنَّ الشيعة في الكويت مكان صدور المنشور - اكتشفوا هذه اللعبة، ورددوا على الوهابيين بمنشور يحمل نفس الاسم، ولشخصيَّة سنية مزعومة أيضاً.

والسؤال هنا هو: ما هي محتويات هذا المنشور؟

والجواب: هو أنَّ هذا المنشور صورة من منشورات الوهابية الأخرى، وهو ما يُشير الشبهة فيه؛ فقد ركَّز على ابن سَبأ وإثبات أنَّه شخصية حقيقة، ثمَّ تناول نكاح المتعة، ومسألة الخمس، متَّهماً فقهاء الشيعة باستغلاله، وتحدَّث عن الصحيفة الجامعية، والجفر، ومصحف فاطمة؛ باعتبارها من الكتب السرية عند الشيعة، وحاول أن يؤكّد على أنَّ الشيعة يعتبرون أهل السنة العدوّ الوحيد لهم، ومؤكّداً أيضاً دور العناصر الأجنبية في صناعة التشيع. وختم منشوره بقوله: (هل أبقى في مكاني ومنصبي وأجمع الأموال الضخمة من

ص: ١٩٧

البساطة والسُّدُج باسم الخمس، والتبرّعات للمشاهد، وأركب السيارات الفاخرة وأتمّ بالجميلات، أم أترك عرض الدنيا الزائل، وابتعد عن هذه المحرّمات، وأصدع بالحقّ، إنَّ الساكت عن الحقّ شيطان آخرس؟!).

ومثل هذا الكلام لا يتلاءم مع شخصيَّة علميَّة كبيرة، كالمُتى يحاول المنشور تصويرها، بل يدلُّ دلالة قاطعه على أنَّ كاتبه هو واحد من سفهاء الوهابيَّة المتربصين بالشيعة.

وأصدر الوهابيون العديد من المنشورات التي تطعن في حزب الله، وتثير الشُّبهات من حوله، وعلى رأسها منشور عنوانه: (ويل للعرب من شرٌ قد اقترب، نصر الله خميني العرب).

وهي منشورات ساذجةٌ وغبيةٌ، ولا تتمُّ عن وعيٍ بما يجري ويدور من حولهم، وهذا يعُد نتْيَجَة طبيعية لقوم يعيشون ويتَّبعُون بعقل الماضي.

والهجوم على حزب الله من ألاعيب الوهابيَّة، وهو يُظهر مدى الحرج الذي وقعوا فيه؛ نتيجةً ما حقَّقه من انتصارات على المستوى السياسي، ومكاسب على المستوى الإسلامي. وهو ما يظهر - أيضًا - مدى موalaة الوهابيين لأعداء الإسلام والمسلمين، وكونهم أداء طبيعية لهم، يستخدمونهم لضرب الإسلام وتشوييه كلَّما استدعت الحاجة لذلك.

والسؤال الذي يردُّ على خاطر كلِّ مسلم هو:

ص: ١٩٨

ماذا يفعل حزب الله؟

ولماذا يحاربه الوهابيون؟

في منظور الوهابيين .. حزب الله لا يفعل شيئاً، وهو لا يُجاهد في سبيل الله، وإنما يُجاهد في سبيل الشيطان.

وإذا كان هذا هو حال حزب الله عند الوهابيين، فلماذا لا يتقدّموا هم للجهاد في سبيل الله والدفاع عن المقدسات؟!

ولماذا لا يوفّرون رصاصاتهم التي يوجّهونها لصدور المسلمين، وقابليهم التي يلقونها عليهم ما بين الحين والآخر، لأعداء الله؟!

ولماذا لا نرى لهم أثر، ولا نسمع لهم خبر، في المواجهة مع العدو الصهيوني؟!

والجواب ببساطة هو أنَّ الوهابية لم تُوحِّد لهذا، وإنما وُجدت لتفرق المسلمين، وتوجّه أسلحتها إلى صدورهم، فهي صناعة أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن ألاعيب الوهابية محاولتهم استغلال بعض الآراء النقدية والمواقف الخلافية، من قبل بعض الشيعة، لضرب الشيعة والطعن في عقائدهم.

ومثال ذلك استغلالهم لآراء موسى الموسوي، في كتابه (الشيعة والتصحیح)، وتصويره كمرتدٌ عن التشیع. بينما هو في الحقيقة ظلَّ على تشیعه ولم يتحول لأهل السنة [\(١\)](#)

١- طبع الدوائر السعودية والعراقية، أثناء الحرب العراقية الإيرانية، عشرات الآلاف من النسخ من كتابه الشيعة والتصحیح وكتابه الآخر الثورة البائسة، وكانت توزَّع مجاناً.

ص: ١٩٩

ويعمل الوهابيون دائمًا على اللعب بفكرة فارسية التشيع، أي أنَّ التشيع صناعة فارسية لا عربية. وهي فكرة متولدة من كلام ابن تيمية وغيره، من خصوم الشيعة القدامى، الذين يحاولون تصخيم دور المجرم ملكهم في بلاد فارس، وسعدهم لانتقام من المسلمين. فتظاهرًا بالتشيع لأهل البيت من أجل ضرب الإسلام.

إِلَّا أَنَّ الْبَاحِثَ الْمُدَقَّقَ يَكْتُشِفَ أَنَّ التَّشِيعَ أُصُولُهُ عَرَبِيَّةٌ هَاشِمِيَّةٌ، تَحْصُرُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ، الْمُتَمَثِّلُينَ فِي الْإِمَامِ عَلَى وَالْزَّهْرَاءِ وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ؛ وَبَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ الْأَثْنَيْنِ عَشَرَ، وَهُم مِنْ أَرْقَى بَيْوَاتِ الْعَرَبِ وَأَعْلَاهَا.

والشيعة، وعلى رأسهم الإيرانيون، يدينون لهم، بينما أهل السنة، وعلى رأسهم العرب، يُدينون للفرس ويتلقّون منهم الفقه والروايات النبوية، وسائل العلوم الدينية.

والحقيقة هي أنَّ التسنن هو الذي كان من صناعة الفرس، وهو ما يتضح من خلال أصحاب كتب السُّنَّةِ، ورموز فقهاء السنة، الذين تعود أصولهم إلى بلاد فارس. وعلى رأس هؤلاء البخاري، ومسلم، والترمذى، والنمسائى، وابن ماجه، والحاكم، والحسن البصري، وأبو حنيفة، وطاوس، وابن سيرين، وعكرمة، والغزالى، وغيرهم كثیر ..

حتى أنَّ الدولة العباسية، التي نشأ الحنابلة في ظلها وباركتوها، ويدعى الوهابيون أنَّ الشيعة أسلقوها، قامت على أكتاف الفرس.

ص: ٢٠١

أكاذيب أخرى

ابن تيمية

لم يجد الوهابيون من يحتمون به من بين فقهاء أهل السنة سوى ابن تيمية، الذي اعتبروه الأئب الروحي لهم، ومنحوه لقب (شيخ الإسلام).

والسؤال هو: لماذا انحاز الوهابيون لابن تيمية، من دون بقية الفقهاء؟

والجواب عند إمامهم محمد بن عبد الوهاب، الذي اتخذه له إماماً، وبعث بتراثه الذي طوأه النسيان من جديد، بسيوف آل سعود. وابن عبد الوهاب لم يكن يملك مقومات المجتهد أو الفقيه، ولا يصلح ليكون مالكيّاً أو حنفياً أو شافعياً، ولا حتى حنبلياً؛ وذلك لكون اتباع هذه المذاهب يحتاج إلى أدوات لا يملّكها، ومقومات لا تتوفر فيه، وهذا ما دفع به نحو ابن تيمية؛ لتوافق

ص: ٢٠٢

طبعه الحادث المتردّد مع طباعه، وميله المتطرّفة مع ميله. ولو قمنا بمقارنته بين الشخصيتين، فسوف يتبيّن لنا مدى التطابق بينهما في الطبع.

وفتاوى ابن تيمية وكتبه - عموماً - تكتظ بالعديد من النصوص الحادثة والمتردّدة، والمتصادمة مع عقائد أهل السنة، التي وجد فيها ابن عبد الوهاب ضالّته، فهو يستطيع بها أن يتميّز على المذاهب السائدة، التي استراحة من ابن تيمية وضلالاته قرونًا طويلاً. وتسلّم الوهابيون تراث ابن تيمية من إمامهم ابن عبد الوهاب، باعتباره من المسلمين. وزاد من يقينهم بصحة ما فيه، تمسح ابن تيمية الدائم بالسلف والإجماع، وإلصاق أقواله وفتاويه بأهل السنة؛ الأمر الذي أراهم من إتباع عقولهم الضعيفة القاصرة من البحث والتنقيب، وتركيز جهودهم في نقل كلام ابن تيمية، وضرب الخصوم به.

وتاريخ ابن تيمية رصده لنا الكثير من معاصريه، وعلى رأسهم تلميذه الذهبي الذي انشقَّ عليه، وتلميذه الآخر ابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والحسنی، وغيرهم. بما يُفيد شذوذه وتمردَه على الفقهاء، وعدم تقديره بعقيدة أهل السنة؛ مما ينفي بالطبع صفة (شيخ الإسلام) التي أُلصقها به الوهابيون، وينفي - من جهة أخرى - تزكيته والثناء عليه من قبل بعض الفقهاء [\(١\)](#).

١- انظر: ترجمة ابن تيمية في تاريخ الذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، والدرر الكامنة لابن حجر، ودفع شبهة من شبهه وتمرد للحسنی، وذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٣٨؛ وانظر: كتاب ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية. ويحاول الوهابيون دائمًا تجميل ابن تيمية في أعين المسلمين، بنشر بعض الكتب التي يُشتمل فيها أصحابها عليه ويزكونه، وهي كتب قليلة، تكاد تعدّ على الأصابع، ولا تخرج عن محيط بعض الحنابلة المتعصّبين له.

ص: ٢٠٣

وكيف لابن تيمية الذي حاربه الفقهاء وكفره البعض، وطالب آخرون بقتله، غير الذين طالبوا بتعزيره وحبسه، وقد مات في حبسه الأخير، كيف لمن هذا حاله، أن يُمنح لقب شيخ الإسلام؟!

ولا يوجد من بين المصادر المعتمدة ما يفيد منحه هذا اللقب، سوى بعض المصادر الحنبلية المتأخرة، التي تُنسب للمطرّفين منهم، الذين تعصّبوا له.

وممَّا يدلُّ على كذب الوهابيين، إلصاقهم لقب شيخ الإسلام بابن القِيَم، وابن كثير، وابن عبد الوهاب. فلو كان لقب شيخ الإسلام خاصًاً بابن تيمية، ما منحوه لغيره.

ومن أكاذيب الوهابيين حول ابن تيمية اعتباره من المجاهدين، الذين جاهدوا التتار. بينما ابن تيمية ولد في عام ٦٦١ هـ. أى بعد غزو التتار لبلاد المسلمين، وهزيمتهم على يد المماليك في وقعة عين جالوت.

ومن المُضحك أنَّ محقق رساله الرد على الأحنائى، وهو يستعرض سيرة ابن تيمية، نقل عن ابن كثير قوله عنه: (تم الاستيلاء على دمشق من قبل التتار في جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ، وشارك ابن تيمية مشاركة فعالة، وكان يجول

٢٠٤ ص:

في العدو كأعظم الشجعان [\(١\)](#). ونسى أنه ذكر في السطور السابقة أنَّ ابن تيمية ولد عام ٦٦١ هـ، وهو ما يعني أنه عند غزو التatars لدمشق، لم يكن قد ولد بعد.

والثابت أنَّ ابن تيمية جاهد المسلمين لا المشركين؛ حين حَرَضَ المماليك في الشام على غزو جبل كسروان بجنوب لبنان عام ٧٠٥ هـ، وشارك جنود المماليك في قتال الشيعة الذين كانوا يقيمون في هذا الجبل [\(٢\)](#) وحرَضَ المسلمين على قتال التتر، بعد أن أسلموا بفتواه المعروفة بفتوى (الياثق)، التي قال فيها بجواز مقاتلة معطلي الشرائع؛ باعتبارهم مرتدين عن الإسلام [\(٣\)](#)

التقليد

ومن الدعاوى الكاذبة للوهابيين، ادعاؤهم اتباع الكتاب والسنة، ورفض التقليد والمذهبية. وهم يهدفون من وراء هذه الدعوة، إلى حجب أتباعهم وعزلهم عن المدارس والتيارات الأخرى؛ ليظللوا في دائرة مذهبهم، ولا يخرجوا عن عقائدهم. وهي حيلة من حيلهم التي يجذبون بها المسلمين نحوهم؛ إذ أنَّ فكرة التقليد تستفز أصحاب العقول، وهي

١- ذكر ابن كثير هذا الكلام نقلًا عن تاريخ ابن الأثير، ج ٧، ص ١٣. كما ذكر المحقق.

٢- قال ابن كثير: وفي هذا العام عاد شيخ الإسلام منصوراً، بعد قتال الرافضة في الجبال. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث عام ٧٠٥.

٣- انظر نص هذه الفتوى في: مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٨، ص ٥٠٩. والياثق هو كتاب من وضع جنكير خان. انظر: ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

ص: ٢٠٥

منبودة بنصوص القرآن التي يستدل بها الوهابيون على رفضها [\(١\)](#)

إلا أنَّ الوهابيين لبسو على المسلمين بالخلط بين التقليد في العقائد والتقليل في الشرائع. والتقليل في العقائد هو المنبود شرعاً، وهو ما نبهه عليه القرآن. أمّا التقليد في الشرائع، فلا حرج فيه لمن لا يملِك أدوات الاجتهاد، الأمر الذي ينطبق على عامة الناس.

والوهابيون لا يملكون أدوات الاجتهاد بالطبع، لا هم ولا إمامهم ابن عبد الوهاب، فكيف لهم أن ينبذوا التقليد؟!

وتشبيهم بهذه الفكرة يعود لقصورهم وضعف عقولهم، وعجزهم أن يكونوا من أهل العلم والاجتهاد. وهو ما يظهر لنا من خلال رصد عناصر الحنابلة القدامى والمعاصرين من الوهابيين، الذين يغلب عليهم العوام والسوق وضياع العقول، ومثل هؤلاء لا يجدون مكاناً في دائرة التيارات والمذاهب الأخرى، التي تبني قواعد فقهية وأدوات عقلية تلزم المقلَّد وتضبط حرَّكة تناوله لأحكام الدين، وهو ما لا يطيقه الحنابلة، المائلين بطريقهم إلى الغوضى والغلو، وهو ما يدفع بهم أيضاً إلى التعصب لفكرة التحرر من التقليد، والتمسُّك بها وعدم التخلُّى عنها.

والمتَّبع لدعَّاء نفي التقليد، إنما هو في الحقيقة مقلَّد

١- مثل قوله تعالى: وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ، وقوله: بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ...

ص: ٢٠٦

لهم، فهو قد انتقل من تقليد غيرهم إلى تقليدهم. ولذا فإنَّ الوهابيين هم مقلدون لابن تيمية وابن عبد الوهاب، والذين اتبواهم في دعواهم هم مقلدون لهم.

وفتح الأبواب على مصارعها أمام الوهابيين، للخوض في الكتاب والسنة، قد أوقع الوهابيين في أزمة كبيرة؛ إذ أدى الأمر إلى تصدع الوهابية، وبروز العديد من الفرق التي تعدّ نسخة عصرية من فرق الخوارج، على رأس كلٍّ فرقه منها مجتهد يُشهر حرابة في وجه المخالفين.

وقد أخذت هذه الفرق تكفر بعضها وتلعن بعضها بعضاً، واتجه البعض الآخر منها إلى حمل السلاح في مواجهة خصومه، من الوهابيين [وغيرهم \(١\)](#).

وهو ما يbedo لنا من خلال التساؤلات التي تدور في أذهان شباب الوهابيين، ولا يجدون لها إجابة عند أنتمهم. منها سؤال يقول: في هذا الزمان عديد من الجماعات والتفرعات، وكل منها يدعى الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولا ندرى أيهم على الحق فتتبعه، ونرجو من سيادتكم أن تدلُّونا على أفضل هذه الجماعات وأخيرها، فتتبع الحق فيها مع إبراز الأدلة. وكان الجواب هو: كلٌّ من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية، إلا من أتى منهم بمكفر يخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوة وضعفاً، بقدر إصابتهم للحق

١- انظر: ملاحق الكتاب، وكتابنا: الحق والحقيقة وفرق أهل السنة.

ص: ٢٠٧

وعملهم به، وخطئهم في فهم الأدلة والعمل. فأهداهم أسعدهم بالدليل فهماً وعملاً. فاعرف وجهات نظرهم، وكن من أتبعهم للحق وألزمهم له، ولا تخس الآخرين أخوتهم في الإسلام، فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حياماً كان، ولو ظهر على لسان من يخالفك في بعض المسائل. فالحق رائد المؤمنين، وقوء الدليل من الكتاب والسنّة هي الفيصل بين الحق والباطل [\(١\)](#)

وسؤال آخر يقول: إنَّ كثيراً من الجماعات التي تدعوا إلى الإسلام، كُلُّ منهم يقول: أنا على نهج السلف، ومعي الكتاب والسنّة؟! وجوابه هو: الواجب على المسلم أن يتلزم الحق الذي يدلّ عليه الكتاب والسنّة، وأن يوالى على ذلك ويعادي على ذلك، وكل حزب أو مذهب يخالف الحق يجب البراءة منه، وعدم الموافقة عليه [\(٢\)](#)

والفرق الوهابية جميعها لا- تختلف في تحريم شد الرحال والتوكيل، وزيارة القبور والاحتفال بأصحابها. وتقليد ابن تيمية وابن عبد الوهاب، فكيف يمكنه التمييز بينها؟!

والظاهر من هذه الأوجبة هو الحفاظ على الوضع القائم وتبريره، مع إتاحة الفرصة للسائل لمعرفة الدليل وحده، وتميز الخطأ من الصواب، وسط هذه الفرق الوهابية

١- فتاوى اللجنة الدائمة، رقم ٧١٢٢.

٢- مجموع فتاوى ابن باز، ج ٥، ص ١٥.

ص: ٢٠٨

المتناحرة، الأمر الذي قد يؤدى إلى اتباع واحدة من هذه الفرق، أو صنع فرقه جديدة خاصة به. ويظهر لنا من كتب الحنابلة القدامي والوهابيين المعاصرين، أنهم يقاومون بشدة علم الكلام والمنطق والفلسفة. ويعود ذلك إلى خوفهم الشديد من هذه العلوم، التي تتبه العقول وتؤسس للتفكير العلمي، مما يؤدى إلى تفلت الأتباع منهم، ويهدم دعواهم بالوصاية على الدين.

الفرقة الناجية

روى عن الرسول (ص) قوله: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرق النصارى على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة. والذى نفسي بيده، لتفترق أمتى على ثلات وسبعين فرقة، واحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار).

قيل: يا رسول الله، من هم؟

قال: الجماعة

وفي رواية قال: ما أنا عليه وأصحابي.

وفي رواية قال: هي السواد الأعظم. [\(١\)](#)

قال أبو سليمان الخطابي: (قوله: ستفترق أمتى على ثلات وسبعين فرقة، فيه دلالة على أنَّ هذه الفرق كلُّها غير خارجين على الدين؛ إذ أنَّ النبي جعلهم كلَّهم من أمته. وفيه

١- انظر: ابن ماجه، ج ٢، باب افتراق الأُمم؛ وأبو داود: كتاب السنّة؛ والترمذى: باب ما جاء في افتراق هذه الأُمم؛ وكتب السُّئين الأخرى.

ص: ٢٠٩

أنَّ المُتَأْوِلَ لا يخرج من الملة، وإنْ أخْطأً فِي تَأْوِيلِهِ) [\(١\)](#)

وعلى الرغم مما قيل في هذا الحديث، فإنَّ السؤال الذي يجب أن يوجه إلى الوهابيين هو:

أىٰ فرقَةٌ مِنْ فرقِهِمْ هِيَ النَّاجِيَةُ مِنَ النَّارِ؟

هل هي الفرق الجهادية، أم التكفيرية، أم السلفية؟!

أم هي بمجموعها ناجية من النار؟!

وهل من صفات الفرق الناجية من النار إراقة دماء المسلمين، وتكفيرهم، وترويع الآمنين، ونشر الفساد في الأرض؟!

وأنَّمَّا الوهابيين يعتبرون كُلَّ هذه الفرق ناجية من النار، إِلَّا مَنْ أَتَى مِنْهُمْ بِمُكْفَرٍ يُخْرِجُ عَنِ الْأَصْلِ الْإِيمَانَ، وَالْمُكْفَرُ الَّذِي يُخْرِجُ عَنِ الْأَصْلِ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ، هُوَ التَّوْسُلُ وَالْأَسْتِغْاثَةُ وَالنَّذُورُ.

وما دامت هذه الفرق تلتزم بهذه الأصل، فهى ناجية من النار، ولتفعل ما تفعل بالإسلام والمسلمين، فكل ذلك لا يهم عند الوهابيين.

نصرة آل سعود الموالين لليهود والمشركين لا يهم.

إراقة دماء المسلمين وتكفيرهم واستباحتهم لا يهم.

السکوت عن الظلم والفساد، والمؤامرات التي تحيط بالإسلام والمسلمين، لا يهم.

المهم عندهم هو تحريم زيارة القبور والاحتفالات، ووجوب

١- انظر: *سنن البيهقي*، ج ١٠، ص ٢٠٨.

ص: ٢١٠

اللحية والجلباب والنقاب، وتعظيم ولاتهم والتغاضي عن عظام الأمور.
وإذا كان بعض فقهاء أهل السنة يفسرون الفرقة الناجية بالسود الأعظم، فهل الوهابيين
يمثلون السواد الأعظم من المسلمين؟!

ص: ٢١١

ملاحق الكتاب

مُلْحِقٌ ١: موجز مسائل ابن تيمية التي خالف فيها الشَّيْءُ:

ص التمجس.

ص التشبيه.

ص تحريم التوسل.

ص تحريم شد الرحال.

ص تكفير المخالف.

ص نبذ التأويل.

ص إنكار المجاز.

ص فناء النار.

ص وقوعه في الصحابة.

مجموعه مسائل فقهية مثل

ص إباحة طواف الحائض.

ص جواز صلاة التطوع جنباً.

ص

ص: ٢١٢

ص المائعات لا تنجز بموت حيوان فيها.

ص مسألة الطلاق.

ملحق: ٢ نماذج من ردود أهل السنة على ابن تيمية.

الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي

المقالة المرضية في الرد على منكر الزيارة المحمدية للأخنائي

الإشارة بطرق حديث الزيارة لابن حجر العسقلاني

شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي

الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعلم ابن حجر الهيثمي

التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة للتابع الفكهاني

ابن تيمية ليس سلفياً منصور عويس

إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنباء والأولياء الغماري

ملحق: ٣ نماذج من كتب أهل السنة التي تردد على الوهابية

الوهابية ومقليدة الظاهريّة إبراهيم بن عثمان السمنودي

السيف الهندي في إبانة طريقة الشيخ النجدي عيسى بن محمد الصناعي

فصل الخطاب في الرد على ضلالات ابن عبد الوهاب أحمد البصري الشهير بالقطباني

صلاح الإخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفر ان داود الرومي

المنحة الوهابية في الرد على الوهابية داود الرومي

شرح الرسالة الرديئة على طائفه الوهابية محمد عطاء الله الرومي

الرد على الوهابية إبراهيم الرياحي

جلاء الظلم في الرد على النجدي الذي أصل العوام علوى بن أحمد الحداد

تبين الحق والصواب بالرد على أتباع محمد بن عبد الوهاب توفيق سوقية الدمشقى

ص: ٢١٤

النفحة الذكية في الرد على شبه الوهابية ... عبد القادر سليم الكيلاني

النقول الشرعية في الرد على الوهابية مصطفى الشطّى

فضائح الوهابية فتحي الأزهري

بغية الطلاب في الرد على ابن عبد الوهاب عبد الحميد السباعي

التحفة الوهبية في الرد على الوهابية داود النقشبندى

* لم نذكر هنا الكتب المشهورة والتي ذُكرت بين ثانيا الكتاب.

ملحق: ٤ جدول يبين أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابيين

المسألة أهل السنة الوهابيون

صفات الله تؤول لا تؤول

التوسل جائز غير جائز

شد الحال جائز غير جائز

المناسبات جائزة بدعة

التكفير غير وارد وارد

دم المسلم معصوم غير معصوم

ص: ٢١٥

مال المسلم معصوم غير معصوم

القبور جائزه بدعة

التقليد واجب غير واجب

ملحق: ٥ صور من خلافات الوهابيين ووقعهم في بعضهم

- * وقع الألبانى فى ابن تيمية.
- * وقع جهيمان فى الوهابيين.
- * وقع ابن عثيمين فى الألبانى.
- * وقع زهير شاويش فى الألبانى.
- * وقع الوهابيين فى الألبانى.
- * وقع الإسلامبولى فى الألبانى.
- * وقع التويجري فى الألبانى.
- * وقع مقبل الوداعى فى الوهابيين.
- * وقع المدخلى فى الوهابيين.
- * وقع الوهابيين فى ابن عثيمين.
- * وقوعهم فى البخارى.
- * وقوع عبد الرحمن عبد الخالق فى الوهابيين.
- * وقوع التكفير بينهم.
- * وقوع الوهابيين فى آل سعود.
- * انظر: وقع الألبانى فى ابن تيمية من خلال كتاب السقاف: (البشرة والإتحاف فيما بين الألبانى وابن تيمية من

ص: ٢١٦

الخلاف). وال الحرب التي وقعت بين صاحب المكتب الإسلامي زهير جاويش والألباني، والتي تجاوزت حدود الأدب والخلق، وكذلك الحرب التي وقعت بين الألباني وخصومه، وما فصله السقاف في كتابه (قاموس شتائم الألباني).

وكذلك ظهر حركة (جهاز العبيبي)، التي تمَّرت على فقهاء الوهابية والنظام السعودي، واستولت على الحرم المكِّي، وأعلنت ظهور المهدى عام ١٤٠٠هـ.

كذلك وقوع ابن عثيمين في الألباني بسبب مسألة المعية.

كذلك وقوع الوهابيين في الألباني، بسبب تصحيحه لبعض الروايات التي تتعلق بذمِّ الصحابة، أو تحريم أكل لحم البقر، وتحريم لبس الذهب للمرأة. انظر كتاب: (ردع الجانى المتعدى على الشيخ الألباني).

ووقوع التويجري، صاحب كتاب (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) في الألباني. الذي شكَّك في رواية (خلق الله آدم على صورة الرحمن).

ووقوع مقبل الوادعى اليمنى، الشديد التطرف، والذى يدّونه من المحدثين، فى الألبانى وغيره من الوهابيين، وفي آل سعود.

ووقوع المدخلى المتطرف، الذى أطلق مدافعه نحو الوهابيين وكفر بعضهم، وزندق وبذل البعض الآخر، واعتبرهم خارجين عن منهج السلف. وكُوئن فرقه وهابية أطلق عليها

ص: ٢١٧

خصوصه اسم (الخلوف) أو (المداخلة)، واعتبره الوهابيون من الفتن العظيمة في هذا الزمان. انظر كتابه: (جماعة واحدة لا جماعات) وكتبه الأخرى. وانظر كتاب: (نصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، الذي حذر فيه صاحبه من فتنه (المدخلى) واتهمه بسوء الفهم وعدم الاتزان.

وقد وقع العديد من الوهابيين في ابن عثيمين، بسبب قوله بالمعيبة.

ووقع الوهابيون في البخاري، وقاموا بتهذيبه وحذف العديد من الروايات منه.

ووقعوا في عبد الرحمن عبد الخالق، أحد أعمدة التيار الوهابي في الخليج، ووقع فيهم.

ووقع الوهابيون في بعضهم، فكفر بعضهم بعضاً، وهو ما يظهر من خلال منشوراتهم العديدة التكفيرية، والأخرى التي ترد عليها.

ووقع الوهابيون في آل سعود، وأعلنوا الحرب عليهم، من خلال العمليات المسلحة التي تظهر ما بين الحين والآخر في جزيرة العرب.

وهذه الصور هي قليل من كثير مما يجري في واقع الوهابيين، الذين يحاولون شغل المسلمين بالحرب على المخالفين لهم، حتى لا يلفتوا إلى واقعهم المُزرى وضلالاتهم وأكاذيبهم.

مراجع الكتاب

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطء العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله آدم، دار الرأي للنشر، السعودية، ١٤١٨ هـ، الطبعة الثانية.
٢. ابن تيمية ليس سلفياً، منصور عويس، نشر دار النهضة، القاهرة، عام ١٩٦٠ م.
٣. إثبات صفة العلو، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر عبد الله البدر، دار النشر، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦، الطبعة الأولى.
٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة الأولى.
٥. الأربعين في دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروى أبو إسماعيل، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهى، دار النشر، المدينة المنورة، ٦.

ص: ٢١٩

١٤٠٤، الطبعة الأولى.

٧. اعتقاد الإمام البجلي أحمد بن حنبل ذيل طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبوالحسين، دار النشر، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقى.
٨. إنباء الغمر بأنباء العمر، شهاب الدين ابى الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى، تحقيق محمد عبد المعيد خان، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ، الطبعة الثانية.
٩. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى أبو الفداء، دار النشر، مكتبة المعارف، بيروت.
١٠. بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار النشر، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢، الطبعة الأولى.
١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت عام ١٤٠٧ هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري.
١٢. تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محى الدين عبدالحميد، نشر مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١ هـ.
١٣. تاريخ الطبرى، لأبى جعفر محمد بن جریر الطبرى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. تاريخ المذاهب الإسلامية، شيخ محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.
١٥. تاريخ بغداد، أحمد بن على أبو بكر الخطيب البغدادى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. التأمل فى حقيقة التوسل، عيسى الحميرى، طبع بيروت.
١٧. تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى
- .١٨

ص: ٢٢٠

- الحسن الأشعري، تصنیف ناصر السنة حجۃ الحفاظ مؤرخ الشام أبی على بن الحسن بن هبة الله بن عساکر الدمشقی، دار النشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤، الطبعة الثالثة.
١٩. التحف في مذاهب السلف، الشوکانی، دار النشر،
٢٠. التفسیر الكبير أو مفاتیح الغیب، فخر الدین محمد بن عمر التمیمی الرازی الشافعی، دار النشر، دار الكتب العلمیة، بيروت، ١٤٢١-هـ ٢٠٠٠ مـ، الطبعة الأولى.
٢١. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعی، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثری، دار النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨-هـ ١٩٩٧ مـ.
٢٢. تهذیب التهذیب، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانی الشافعی، دار النشر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤-١٤٠٤، الطبعة الأولى.
٢٣. توضیح المقاصد وتصحیح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القیم، أحمد بن إبراهیم بن عیسی، تحقيق: زهیر الشاویش، دار النشر، المکتب الإسلامی، بيروت، ١٤٠٦، الطبعة الثالثة.
٢٤. یسیر العزیز الحمید فی شرح کتاب التوحید، سلیمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أیمن الشبراوی، دار النشر، عالم الکتب، بيروت، ١٩٩٩ مـ، الطبعة الأولى.
٢٥. الثقات، محمد بن حبان بن أبی حاتم التمیمی البستی، تحقيق شرف الدين أبی حمّد، نشر دار الفكر ١٣٩٥ هـ، الطبعة الأولى.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن .٢٧

ص: ٢٢١

أحمد الأنصارى القرطبي، دار النشر، دار الشعب، القاهرة.

٢٨. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى الأصبهانى، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادى عمير المدخلى، دار السر، دار الرأي، السعودية، الرياض، ١٤١٩ - ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية.

٢٩. خريدة القصر وجريدة العصر، أبي عبد الله عماد الدين بن محمد بن صفى أبوالفرج محمد بن نفيس الدين الأصبهانى، تحقيق محمد بهجة الأثرى، نشر المجمع العراقي، ١٣٧٥ هـ.

٣٠. خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفى، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

٣١. درء تعارض العقل والنقل، تقى الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ - ١٩٩٧ م.

٣٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى، دار النشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرباد، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ ق، الطبعة الثانية.

٣٣. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلي، تحقيق: حسن السقاف، دار النشر، دار الإمام التووى، الأردن، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، الطبعة الثالثة.

٣٤. دفع شبه من شبه وتمرد، تقى الدين أبي بكر الحصنى الدمشقى، دار النشر، المكتبة الأزهرية.
٣٥.

ص: ٢٢٢

للتراث، مصر.

٣٦. الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة.

٣٧. الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله، تحقيق: محمد حسن راشد، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣.

٣٨. الرد على المنطقين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر، دار المعرفة، بيروت.

٣٩. رسالة في إثبات الاستواء والفوقيه ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، الطبعة الأولى.

٤٠. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصناعي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، الطبعة الأولى.

٤١. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د عطيه الزهراني، دار النشر، دار الرأي، الرياض، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م، الطبعة الأولى.

٤٢. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار النشر، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦، الطبعة الأولى.

٤٣. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسى، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، الطبعة التاسعة.

٤٤.

ص: ٢٢٣

٤٥. السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، السبكي، مكتبة زهران، القاهرة و معه تكملة الرد على نونية ابن القيم بقلم: محمد زاهد بن الحسن الكوثري تقديم: لجنة من علماء الأزهر.
٤٦. شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: إبراهيم سعدي، دار النشر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥، الطبعة الأولى.
٤٧. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٨. الصفات، على بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله الغنيمان، دار النشر، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢، الطبعة الأولى.
٤٩. العرش وما روى فيه، محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسى أبو جعفر، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، دار النشر، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦، الطبعة الأولى.
٥٠. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار النشر، دار قتبة، دمشق، ١٤٠٨، الطبعة الأولى.
٥١. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد مهدى الاستانبولى، دار النشر، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الثانية.
٥٢. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقى المواهبى الحنبلى، تحقيق: عصام رواس قلعي، دار

٥٣

ص: ٢٢٤

النشر، دار المأمون للتراث، لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الأولى.

٥٤. الغنية في أصول الدين، أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، دار النشر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الأولى.

٥٥. فتاوى وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني، دار النشر، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ١٤٠٩ هـ، الطبعة الأولى.

٥٦. الفخرى في الآداب السلطانية، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى، نشر مكتبة صبيح القاهرة.

٥٧. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عاصم عبد الله القریونى، دار النشر، شركة الشرق الأوسط للطباعة - ماركا الشمالية الأردن، ١٤٠٤، الطبعة الأولى.

٥٨. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٥٩. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله الجوني إمام الحرمين، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار النشر، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الثانية.

٦٠. مجموع كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبوالعباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٦١. معالم أصول الدين، فخر الدين محمد بن عمر

ص: ٢٢٥

٦٢. الخطيب الرازى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الشر، دار الكتاب العربى، لبنان، ١٤٠٤ - هـ ١٩٨٤ م.
٦٣. المنتظم فى أخبار البشر، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن على، بدون ناشر.
٦٤. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى أبو العباس، دار النشر، مؤسسة قرطبة.
٦٥. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمى على المرىسى الجهمى العنيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعى، دار النشر، مكتبة الرشد، السعودية، ١٤١٨ - هـ ١٩٩٨ م، الطبعة الأولى.
٦٦. الوافى بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى، تحقيق أحمد الأرناؤوط وترکى مصطفى، نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

تعريف مركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبه/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحْمَ اللَّهُ عَنْدَ أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بنادر البحار - في تشخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الإسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا، الشیخ الصدق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسسة مجتمع "القائمة" الثقافية بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" - "رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعره بأهل بيته (صلوات الله عليهما) ولا سيما بحضره الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) وباحث صاحب الزمان (عَجَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْجَهُ الشَّرِيفَ)؛ ولهذا أُسس مع نظره ودرايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠هـ) مركز "القائمة" للتحرّي الحاسوبي - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧هـ) تحت عناء سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجماع، بالليل والنهار، في مجالاتٍ متعددة: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السلام) و معارفهم، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأدق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلاط المبتذلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعه ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بياущ نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسيع ثقافة القراءة و إغواء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناة المنابع اللازم لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بشّها بالأجهزة الحديثة متضاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المراقب و التسهيلات - في آكاف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتب، نشرة شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (=بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

د) إبداع الموقع الإلكتروني "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع آخر

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في الفنون القرآنية

و) الإطلاق و الدّعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الأخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التقليدي و اليدوي للبلوتون، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجماع، الأماكن الدينية كمسجد جمکران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربّي (حضوراً و افتراضياً طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/شارع "مسجد سيد/" ما بين شارع "بنج رمضان" و"مفترق" وفائي/ "بنية" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (١٤٢٧=١٤٢٧) الهجرية القمرية

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٣٥٧٠٢٣-٢٥-٩٨٣١١٠٠

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التَّجَارِيَّةُ وَالْمَبَيْعَاتُ ٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شَعَّيْة، غير حكومية، وغير ربحية، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُؤْفَى الحجم المتزايد والمتبقي للأمور الدينية والعلمية الحالية ومشاريع التوسيع الثقافية؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمَى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حد التَّمكُّن لـكلَّ أحدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَاللَّهُ وَلِنَا التَّوفِيق.



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
أرجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيصال من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

